

سيرة الشطار

في

الادب الاسباني

جمل قصص الشطار في أدب العصر الذهبي
الاسباني معاً، ربما وهي مؤلف وعاد مرة
أدع فيه كتاب ذلك العصر اما الادع و
مكتوب من مؤلفاته في محبوسه اذ
رأه على فادامرا حاضره اثارها مؤحو
أدب الاسباني من اساطير وأحاط كسر اهد
وخصوها احاط ودراما مستعصه وكتب
رأه فكر وضع حب واقع حول هذه الطاعره
من الادب الاسباني احاط رأيا من لوح عام

مكتب الترجمة للاسبانية العربية

Checked
1987

فرنسيسكو دي كيبيلو



سيرة الشاطر



1950

مطبعة المخبرن
تطوان

دى طورمس واقدم طبعة لها معروفة ترجع الى
سنة 1554. وهى حكاية صبي فقير اتخذه احد
العيان دلبلا (وكلمة لاثاريو معناها دليل الاعى)
وكان يسيء معاملته حتى انتهى به الامر الى تركه
والانصراف الى خدمة كاهن وبعد ذلك الى خدمة
نبيل معدم. وما زال ينتقل من خدمة سيد الى سيد
آخر حتى نال في آخر الامر وظيفة دلال في اسواق
طليطلة وفيها تزوج بخادمة احد الكهنة. وهنا
تنتهي القصة.

وتمتاز قصة لاثاريو دى طورميس بسهولة
انشائها ودقة تصويراتها وسيطرة روح المرح عليها
رغم بعض المشاهد المؤلمة. لكنها بعيدة كل البعد
عن ذلك العمق التحليلي الذى نتشاهد في القصص
التي جاءت بعدها حين بلغ هذا الفن درجة نضوجه
التامة. وهى بالاجمال تدل على ان فن قصص
الشطار لم يزل في فجره. لكنه فجر يبشر بنهار
جلي.

وفي سنة 1620 ظهرت في باربس قصة القصة

ان تقدم لهذا الكتاب الذي ننشره الان معرباً
بكلمة وان موجزة عن قصص الشطار ليدرك
القارى مكانة الكتاب ادبياً وتاريخياً

وأول واجب علينا هو تحديد معنى كلمة
"الساخر" Picaro . ان الساطر لشخص يعيش على هامش
"تجسّع" وبكره العمل والنظام. ويعشق الكسل
والفوضى في الحياة، لا يحترف حرفة ولا مهنة
مينة. وانما يمد يده الى اللقمة حيث يجدها قانعا
نمنا بسد رمقه دون اجهاد نفسه بعمل منمر مضحك.
ما مشاكل المجتمع الذى يحيط به وأهدافه
ومطامعه فهو يعبرها لا تبت اليه بصلة. فبينما
تتأخر في كفاف مسنميت للحصول على الرفعة
والمحد وببينا المجتمع يسعى بارادة حديدية وعزم
أكيد وز" مثل اعلى اذا بالساطر - على حد تعبير
"تؤرخ الاسناد ذنات بلاخا - ممدد تحت نور
الشمس نساءل بسخرية عما اذا كانت هذه الصفقة
تسحق ان يحاطر المرء من اجلها هذه المخاطرة

وأول قصة من هذا النوع هي قصة "لاثاريو

ثناؤك على ذكاء من يعرف كيف ان في
الاطلاع على حياة الشطار ووصفها وصفنا
ظريفا من اللذة ما لبس في ابتكارات أخرى
اعظم واهم .

اما المؤلف فانك تعرفه . والكتاب لست
تجهله . فهو عندك ، ان لم تكن قد تصفحه
عند بائع الكتب . وذلك امر عليه ثقل . ومن
الواجب استئصاله بصرامة قصوى لان من
الناس من يتطفلون على الكتب كتطفر غبرهم
على الموائد . ومنهم من يطلعون على رواية
بقراءتها فتفا تفتا في مرار مختلفة . ثم يرتقون
اخيرا هذه القطع . وذلك لمن المؤسف حيث
ان فاعله ينم دون ان تكلفه نميمه أي مال .
وتلك دناءة زنبه ونذالة لم يبلغها فارس
الكلابة ، (1)

(1) اشارة الى الكتاب الذي وضعه كيسدو
تحت عنوان فارس الكلابة وهو مجبوءة من

الدامغة على ان مستوى المعيشة الشعبية في ذلك
العهد لم يكن منحطاً كما قد يستنتج من بعض مشاهد
قصص الشطار. وانما تصور هذه في حقيقة الامر
سلسلة حوادث فردية شخصية من حياة مؤلفيها
اضفيت عليها حلة فكاهية بولغ في نسجها.

بقي علينا أن نتساءل: هل استمدت قصص
الشاطار أصلها من آثار أدبية سابقة؟ ان مؤرخي
الادب يجمعون على القول انها وليدة القرن
السادس عشر. لكنه اصبح من الحق اليوم أن
الاجيال المرتجلة، مستحيلة في عالم الادب مثله
في عالم الاحياء. ولذلك تراهم بالرغم من اجماعهم
على القول المذكور يردون بعض أصولها الى
قصص الفروسية والى بضعة كتب أخرى اسبانية
وأجنبية ظهرت بين أوائل القرن الرابع عشر
ومنتصف السادس عشر من أهمها، كتاب الحب
الحسن للارثيبريستي دي هيتا Arcipreste de Hita
و كورباتشواو شجب الحب الدنيوى، للارثيبريستي
دي طلبيرة Arcipreste de Talavera وكتاب سبيل

Spill للمؤلف البلنسي داومي رويح Jaume Roig
والرواية الشهيرة المعروفة باسم . لا ثبلستينا . ففي
كل هذه المؤلفات مشاهد وفلوات نصويرية ومرح
وفكاهة يمكن اعتبارها من حملة الاسرار التي
تسوحى منها مؤلفو قصص الشطار.

وبرى المسعرب الاسباني المرحوم ضوت
اخيل غونصالبص بالتنيا في مقامات الحريري مصدرا
محتملا من جملة مصادر قصص الشطار . فجيل ابي
ريد السروجي في نضره هي نفس الخيل الني
يلجأ اليها أبطال تلك الفصص للحصول على اسباب
العيش . وكلامه عن من الكدنة في المقامة
الساسانية مثلا لجدير بأي كار من هؤلاء الشطار.
ويقول غونصالبص بالتنيا انه وان كان الالمام
بأعرابية في اسبانيا حين ظهرت قصص الشطار
كان قد ضعف أو قد تلاشى بحيث لا يمكن
الاعتقاد بالاطلاع على مقامات الحريري في أصلها
العربي ليس من المستبعد أن تكون حوادث أبي
زعد السروجي قد أصبحت متداولة بين العامة

من جملة القصص الشعبية بعد أن بلغت تلك
المقامات الاندلس وتداولتها أيدي أدبائها ^{في القصص} حها
الشريشي أوفى شرح

هذا واننا في واقع الامر ان بحثنا في الادب
العربي وجدنا كثيرا من قصص الشطار المبعثرة
في المجموعات الادبية. وفي كتاب البخلاء للجاحظ
يشار الى الشطار عدة مرات. ففي مطلع الكتاب
يقول انه وضع رسالة عن «لصوص النهار وما
لصوص النهار في الواقع سوى الشطار بالمعنى
المقصود هنا والذي نراه في القصص الاسبانية. وفي
مكان آخر يسرد لنا الجاحظ عدة أسماء فارسية
الاصل لطبقات من الناس لبسوا في الحقيقة سوى
من نشير اليهم تحت اسم الشطار، اذ يقول في
حديث خالد بن يزيد حين سأله بنو تميم وكان
قد نزل في شق منهم: «وانك لتعرف المكذبين»
فأجاب: «وكيف لا اعرفهم وانا كنت كاخان في
حدائق سني ثم لم يبق في الارض مخراني ولا
مستعرض الاقضية ولا شحاذ ولا كاغاني ولا بانوان

ولا قرسى ولا عوا ولا مشعب ولا مزیدی ولا
اسطیل الا وقد کار تحت یدی- وبعد ان یفرغ
الجاحظ من سرد القصة یسرع بتفسیر معانی تلك
الکلمات فیقول:

المخترانی الذي تأتیک فی زی ناسک ودرک
ان نایک قد قور لسانه من اصله لانه کان مؤذنا
هناک نه یفتح فاد کما یصع من بنشاب فلا ترى
نه لسانا لبنة ولسانه فی الحقيقة کلسان النور
وان حد من خدع بذلك ولا بد للمخترانی ان
یکن مع واحد یعبر عنه او اوج او قرطاس قد
کتب فیه شأنه وقصه. والحکاغنی الذي ینجن
ویزید حتی لا شک انه مجنون لا دوا له لشدة
ما ینزل نفسه وحنی یعجب من بقا مثله علی
مثل علمه. والبانوان الذي یقف علی الباب ویسل
"لعل یتقوا بانوا وتفسیر ذلك بالعربیة باموالی.
والقرسی الذي یعصب ساقه وذراعه عصبا شديدا
وببت علی ذلك لبلة فادا یورم واختنق الدم مسحه
نشی من صابون ودم الاخوين وقطر علیہ شیئا

من سمن واطبق عليه خرقه وكشف بعضه فلا
يشك من رآه ان به الاكلة او بلية شبه الاكلة
والمشعب الذي يحتال للصبي حين يلد بان يعميه
او يجعله اعشم او اعتد ليسأل الناس به اهله
وربما جاءت به امه وأبوه ليتولى ذلك منه بالغرم
الثقيل لانه يصير حينئذ عقدة وغلة فاما ان يكتسبها
به واما ان يكرياه بـكـرا معلوم وربما اذكروا
اولادهم ممن يمضي الى افريقية فيسأل بهم الطريق
اجمع بالمال العظيم فان كان ثقة مليئا والا أقام
بالاولاد والاجرة كفيلا. والكافان الغلام المكدي
اذا واجر وكان عليه مسحة جمال والعواء الذي
يسأل بين المغرب والعشاء وربما طرب ان كان
نه صوت حسن وحلق شجي. والاسطيل هو المتعامي
ان شاء اراك انه منخسف العينين وان شاء اراك
بهما ماء وان شاء اراك انه لا يبصر للخسف ولربح
السبل والمزبدي الذي يدور ومعه الدريهمات ويقول
هذه دراهم قد جمعت لي في ثمن قطيفة فريدوني
فيها رحمكم الله وربما احتمل صيا على انه تقيظ

وربما طلب في الكفن. والمستعرض الذي يعارضك وهو ذو هيئة وفي ثياب صالحة وكأنه قد هاب من الحياة ويخاف ان يراه معرفة ثم يعرضك اعتراضا ويكلمك خفيا. والمقدس الذي يقف على الميت يسأل في كنفه ويتقف في طريق مكة على الحمار الميت و'البعيم الميت يدعي انه كان له ويزعم انه قد احصر وقد تعلم لغة الخراسانية واليمانية والافريقية ونعرف تلك المدن والسكك والرجال وهو متى شاء كان من اى مخاليف اليمن شاء. والمكدي صاحب الكداء،

وانما أردنا هنا مجرد الإشارة فحسب دون أن ننجرأ على تأكيد وجود علاقة بين مؤلفات الجاحظ هذه وغيرها من القصص وهذا النوع من الأدب الأسباني. ونحن نرجو ان وفق الله أن يعود الى بحث هذا الموضوع في المستقبل.

• • •

مرت خمسة عقود وقصة 'لائاريو دي طورميس' وحيدة من نوعها الى أن ظهر سنة 1599 القسم الأول من قصة 'قرمان دي الفرانسي'

التي سماها مؤلفها ماتيو ألمان مرصد الحياة البشرية ، وتقع هذه القصة في مجلد ضخيم وهي تعتبر أنضج ثمرة لهذا النوع الأدبي وأكملها فنا. لكن الكتابة تغلب فيها المرح والمرارة ترافق الفكاهة والتشاؤم يسيطر على التحليل النفسي والاجتماعي.

وفي سنة 1605 طيرت قصة الساطرة حوسميا منسوبة لفرنسيسكو لوبث دي اونيذا. وفي سنة 1613 أصدر سرفانطيس مجموعة القصص المثلث وقد تضمنت بضع قصص يمكن ردها الى هذا النوع وهي الماسحة البيانة ، و رنكونيتي وكورتاديو و الزواج الحادع ، و ومناجاة الكلاب وهذه أهمها.

وقبل ذلك بسنة أي سنة 1612 ظهرت قصة ابنة لاثليسييتينا ومؤلفها الوصو خيرونيمو دي سالاس بارباديو. وفي سنة 1618 ظهرت قصته حياة ماركوس دي أوبريغون ، وهي تصور

كثيرا من الحوادث التي وقعت لمؤلفها بيثينطي
اسبينيل. وتمتاز بدقة التصوير وعمق الملاحظة.

وفي سنة 1624 ظهرت قصة حياة الشاطر،
لفرنسيسكو دي كيبيدو التي نشرت هناعريتها. وهي
الى جانب الاحلام، تعتبر من اكمل مؤلفات
ذلك الكاتب الشهير الذي يوضع في المقام الاول
بين كتاب العصر الذهبي

والقصة صغيرة بحجمها كما يرى القاري
وبالرغم عن صدورها مطبوعة سنة 1624 يرد
المؤرخون تاريخ وضعها الى ما بين سنة 1601 و
1614 أي حين كان كيبيدو في شرح شبابه.
وه حياة الشاطر قطعة فنية خالدة تمثل هذا النوع
الذي في أرقى وأكمل درجاته لأنها تجمع الى
روح المرح والفكاهة براعة في التصوير تؤدي
بالمؤلف الى حد المبالغة في الوصف لخراج الصورة
الفكاهية على شكل يحمل الى نفس القاري أوفر
قدر من المتعة. والمرح يسيطر على القصة بأكملها
بحيث لا يرى فيها أثر للمرارة والالام اللذين يحتلان

المقام الاول في - قزمان دي الفرتشي . أضف الى هذا كله متانة في التركيب تكاد تبلغ في كثير من الاحيان درجة التعقيد . وكثيرا ما يعتمد الى التورية والتلاعب بالكلام بشكل يجعل ميمة المعرب شاقة عسيرة

وقبل ظهور القسم الثاني من قصة لاثرينو دي طورميس . بسنة أي في سنة 1619 ظهرت في باريس أيضا قصة للدكتور كارلوس غرسيا عنوانها «اشتها» مقتنى الغير» . وهي وصف لحيل ومغامرات أحد اللصوص يرويهها للمؤلف وهو في «السجن» . وتسيطر عليها روح التعكم ممزوجة بالمرارة والاله . وممن برعوا في هذا الفن الادبي ضوف الونصو دي كاسطيو سولورثاغو الذي نشر سنة 1632 قصة طريقة تحت عنوان «فتاة الاكاديب» . تريزادتي مانشاريس . وفي سنة 1637 قصة - المأذون تراباا .

وظهرت بعد ذلك خلال القرن السابع عشر عدة قصص اخرى نذكر منها خاصة «الشيطان الاعرج»

المكاتب الشاعر لويس بيليث دي غيبارا و حياة
ضون شريغوريو غوادانيا لانطونيو انريكيث غوميث
و حياة ومآثر اسبانيو غونصالمص التي ظهرت
في مدينة امبيريس البلجيكية سنة 1646

ونعد حياة الكنور ضون ديعو ني طرس
بيارويي، التي بدأ ظهورها سنة 1743 خاتمة المؤلفات
النسبة الى هذا النوع في اسبانيا

وبالجملة يمكن القول ان قسم الستار من
ابرر الآثار الادبية الاسبانية واغناها واكملها فنا.
وقد تعدت شهرتها حدود اسبانيا فنقل معظمها الى
كثير من اللغات الاجنبية واسرعت منذ زمن
بعد اهتمام البحاثة والمؤرخين.

كيبيدو

1580 - 1645

بعد فرنسيسكو دي كيبيدو من أعظم كتاب
العصر الذهبي الأسباني. ولد سنة 1580 ونلقى
المبادئ الأولى في مدريد وفي سنة 1592 دخل مدرسة
الآباء اليسوعيين حيث بقي أربع سنوات. ثم انتقل
إلى جامعة قلعة هاريس حيث بقي حتى سنة
1601 إذ انتقل إلى بلد الوليد وهناك بدأت مؤلفاته
وتنشر بين جميع الأوساط الأدبية والسعوية رغم
عن انخراطه في سلك طلاب جامعة تلك المدينة
وفي سنة 1606 عاد إلى مدريد وفيها أقام حتى
استقدمه إلى صقلية سنة 1613 نائبا الملك فيها
الدوكي دي أوصونا الذي أحقه بخدمته كمستشار
خاص. فأدى له خدمات جليلة وقام بمهام سياسية
خطيرة دلت على قدرته. ثم عاد إلى مدريد سنة

1619 ووقعت بعد عودته قطيعة بينه وبين الدوالي
فانقطع عن خدمته .

وبعد مدة قرب به اليه الوزير الكوندي اوليفارس
لكنه لم يلبث ان نقم عليه واغضب عليه ايضا
الملك فأمر بزرجه في السجن حيث بقي ما يربو
على ثلاثة اعوام ولم يخرج منه الا بعد عزل
الكوندي اوليفارس. لكن صحته ساءت كثيرا
بسبب ما عاناه من مناعب وتوفي يوم 8 سبتمبر
ايلول سنة 1646

هذا واننا قد وضعنا تحت عنوان دكيبيدو
أمير "شراقة" كتابا خاصا درسنا فيه حياته ومؤلفاته
بكل تفصيل .

سيرة الشاطر ضون بابلوس

الى القارىء

كم أراك راضيا أيها القارىء أو المسمع -
اد ان العميان لا يقرؤون - في التعرف الى
خزافة ضون بابلوس امير حاة الشطارة.
فانت واجد هنا في جميع اصواع الشطارة
- وعى في ظني ما بفضله الاكثرون - خدائع
وحبلا وبدئا وطرفا كلها ناشئة عن الفراغ
لنعبر من النحل والكذب. وليس بقليل
ما بمكك ان بحنيه منه اذا أعتت العبرة
لنناهك. وان لم تفعله فاستفد على الأقل
ما فيه من مواعظ لانني اسك في ان واحدا
من الناس شئرى ككتاب نكت ليحيد به
عما يحرص عليه طبعه الفاسد. وعلى كل
حال فليكن ما نريد. صفق له فهو للتصفيق
مستحق. واذا ضحكك من نكته فليكن

حفظك الله من الكتاب الشرير ومأموري
انفضاً (1) والمرأة "شقرة" اللعوج المستدبرة
الوجه.

الرسائل ينصح كاتبها "لقارى" لصيانة جيبه من
كل أنواع الطفيليين والطفيليات
1، استعملنا كلمة مأمور القضاء أو المأمور
القضائي ليعرب لفظة Alguacil وهي عربية الأصل
منسقة من كلمة الوزير. وفي التنظيم القضائي الحالي
ندل على مأمور مكلف نابلاغ أوامر المحكمة.

الى ضنون فرنسيسكو دي كيبيدو

من صديقه لوسيانو (1)

الى ضنون فرنسيسكو! بغير واحد تزن الجد
والهزل فتشير بنصائح صائبة وتجعل ضنون باندوس
شاطرا في آن واحد.

(1) اشارة الى المؤلف اليوناني لوسيانو، الذي
عاش من سنة 191 الى سنة 125 قبل المسيح. وبعد ان
تعاطى المحاماة في انطاكية حال عدة بلدان ملفيا
دروسا ومحاضرات في جميعها. وبعد عودته الى
الشرق انصرف الى الادب. وامتاز بالادب اللدني
وترك اثنتين وثمانين مؤلفا نشرنا ومجموعة من
الاببيغرام التي نقلت الى معظم اللغات الحديثة
وكان كيبيدو بحذو حذوه، ومنهم من يعود
بلوسيانو اسبانيا.

اني لا عنرف بانه سيكون، والكلابة (1) تصحبه.
تباطر (2) مناسا. فحملة اياها لن يفوق الحديث
عن حفظه : لا ير ناعكس فلو أنه سار بدونها
'كن نغص'

12 اشارة الى الكتاب نفسه وهو حبة الشاطر،
1 اشارة الى كتاب المؤلف «فارس الكلابة»،
وفي الاسارة هذا الى الكتانين ثورية حسنة فطاهر
نكلا معناه ان الشاطر اذا سار مصحوبا بالكلابة،
فجارتة فاححة حما وباطنه ان مؤلفه الجديد
حبة الشاطر بكم مؤلفه السابق «فارس الكلابة»
فلا ضرر أحدهما بالآخر ولا يحط من قدره

سيرة الشاطر

المسمى ضون بابلوس

مثال العاطلين ومرءاة المحتالين

الفصل الاول

وفيه الكلام عن نسبه ومسقط رأسه

أنا يا صاح (1) من بلدة شقوبية. ومنها كان والدي - أودعه الله الجنة - واسمه كلمنتي بابلو وكانت حرفته الحجامة حسب قول الكل. غير انه

(1) وضع المؤلف هذا الكتاب بصورة اعراف يدلي به بطل القصة بعد اعتزاله حياة الشطارة. وهو اسلوب متبع في معظم قصص الشطار. وبالشكل نفسه قديماً حكاية لازاريلو وحكاية قزمان دي الفراتشي.

كان لسمو افكاره يأنف من ان يلقب حجاما فيقول
نه حاتم الوحنات وخباط اللحى . ويقال انه كان
عريقا في 'النسب' وكانت سبرته تحمل على الاعتقاد
بصحة هذا القول اما روحه فهي الضوئيا ساتورنو
دي ريبويو ابنة او كسافو دي ريبويو كوديو وحفيدة
لبسبو زور كوني

وكانت تحوم في البلدة ريبة حول عرق
سبها في 'الدبابة' السحبة (٢) بالرغم عن انها
كانت تدعي . فانظر الى اسماء اجدادها . التحدر من
سلالة الملث الروماني (٣) وكانت تهي المنظر
والها صوب أنظار المادحسن بحيث لم يبق في
اسمها واحد من شعراء الزجل الا وتغنى بها .

٢) كان الاسماء الى نسب عريق من اعز
'ماني' الاسمان في مطلع القرن السابع عشر . فادعا
لعدم في 'الدبابة' المسحبة قد نكون حجة على
الاسماء ان حقه الاشراف

٣) إشارة الى 'ملث' الروماني الذي تألف
من 'اودمافو' و'لسديو' و'انطونو'

وعقيب رواجها منيت بانعاب كبيرة، وبعد ذلك أيضا لان السنة بذينة كانت تقول على ابي بان يده تمند الى الجيوب، فقد ثبت عليه ان جميع من كان يحلق لهم اللحى بينما كان يرفع وجوههم الى المغسلة ليصب عليها الماء كانت بد اخي البالغ من العمر سبع سنوات تتسرب بخفة الى جيوبهم فنستخرج مخها. وقد توفي ذلك الملاك على 'نر' جلدات جلدها في السجن فحزن عليه والذي حزنا شديدا لانه كان يسئولي على افئدة الجميع. وهذه النر هات واخرى غيرها ادخل السجن ولكنني اخبرت فيما بعد انه غادره باصع الصحيفة مصحوبا بمئتي حدة (4) وان لم تكن واحدة منها ممن نثار اليها بلقب البياقة. ونقال ان 'السا' كن بطلين من النوافذ لبريه لانه كان حسن الطلعة

14. أي المؤلف هنا نوربة لا يمكن ترجمتها ومداره كلمة 'كردينال' التي تعني 'حدره' وهو المقصود أولا ونعني أيضا الرتبة الكنسية المعروفة وهو المعنى المقصود ثانيا.

ان ماشيا وان راكبا. ولا اقول هذا متاخرا
 فالكل يعلم كم انا عن المفاخرة بعيد. فانت ترى
 اذن ان نبي لم نصب نكوارث. وذات يوم كانت
 نمدحها في محضري عجور ربي فقالت انها كانت
 من اللطافة على جانب كبير ففسحرا (٥) كل من
 عاترته. وقالت انها افشت لها مرة بكلام عن
 ببس (٦) وكان ذلك يؤدي الى حملها على معاطانه
 علانية (٧) واشهرت بتجدد الغيات ونعت الشعر

(٥) بكرر المؤلف هنا التورية في كلمة 'سحر'
 فيستعملها بالمعنى المجازي اي استمالة الارادة
 وبالمعنى الحقيقي 'ي معاطاة' السحر وهو المقصود
 في الجملة التالية.

(٦) كان 'ليس بعبر رمزا للشيطان. و'دابو'
 -رووز ان الشيطان يتخذ شكل نيس حين يظهر
 لتسحرات ليجلنه

(٧) لتقصود انه اشهر امرها نانا تعاطي
 'سحر'. وكان تعاطيه في ذلك العهد من الجرائم
 'الخطيرة'.

واخفا الشيب. فالبعض كانوا يسمونها مرقعة
للأذواق والآخرين جابرة للارادات المضطربة.
وباسم سفيه بدعونها قوادة و.فلوش. (8) لما
الجميع. وكانت امي تسنم مبتسمة الى كل هذه
الاقاويل فيزداد بذلك امتلاكها للخواطر والقلوب
ولن اتوقف لأصف ما كانت تأثني به من امانة
وكفارة. فعرفتها التي لم يكن ليدخلها سواها
وانا ايضا - لان ذلك كان مباحا لي نصغر سني -
كانت محاطة من داخلها بالجماجم. وعنها تقول
انها لتذكيرها بالموت بينما البعض يقولون على
وجه الظم انها لممارسة السحر. وكان سريرها
منصوبا على حبال المشانق وكانت تقول لي:

١٨ >فلوش Flux لفظة تسعمل في بعض انواع
اللعب بالورق وتدل على اجتماع كل الأوراق
التي هي من لون واحد ومن اجتمعت لديه كان
هو الرابع. فقولهم Hacer flux عمل فلوش، معناه
مجازا ذهب بماله ومال غيره دون ان يدفع
لاحد ما عليه

تأمل يا بني ! اني بذكري هذه الحبال انصح
 حديثي 'سحوا' من الوقوع فيها بالعيش كمن يحال
 دقه على كفه (٩) بحيث لا يمكن الاطلاع على
 عمالهم ولو بأصغر الدلائل . وقد وقع نزاع كبير
 بين والدي في نقرر اية واحدة من حرفيهما بحب
 ان 'نبح' أم 'ما' - وقد ساورني منذ صغري
 افكار انس والتهامة - فلم اكن لاميل الى
 واحدة منهما وشار والدي يقول لي : يا بني
 ليست 'المصوبة' من الحرف البدوية (10) بل
 'العقلية' وبعد ان يسكت قليلا يتنهد ثم يضم يديه
 ويتابع قائلا : ان من لا يسرق في هذه الدنيا لا يعيش

٩ - حبل دقنه على كفه - مثل اسباني قديم
 قصد به العيش بحشمة واحراس كما يفعل من
 له عدو فنه يمشي ملتفتا يمينا وبسارا.

(10) أني المؤلف هنا بموزة في كلمة : *mecanica*
 التي يمكن تأويلها على وجهين 'المشبهة' و 'البدوية'
 فالمؤثر الاول هو المناسب لوصف الناصب
 والمؤثر الثاني هو المطلوب لمناقضة التعبير التالي.

ولماذا يكرهنا في ظنك المحكام ومأمورو القضاء بهذا المقدار
فيقتضون علينا بالنفى احيانا وبالجلد اخرى وبالشنق
غيرها؟ اجل لا أقدر ان اقول ذلك دون ان نسيل
دموعي - وكان الشيخ المسكين حين يصل في كلامه
الى هذا الحد يبكي كالطفل متذكرا المرات العديدة
التي رضت فيها اضلعه - لانهم حيث يكونون لا
يرضون بان يكون من اصوص خبرهم ومعاونتهم
اكن الحيلة ننجينا من كل شئ فقي سباني طائلا
كنت أغشى الكنائس (11) ولم كنت حملت على
الجمار (12) لو اعترفت في كرسى التعذيب ولكني

(11) لان الكنائس كانت تعتبر حرما فلا
يمكن لمأموري السلطة دخولها للقبض على المجرمين
الذين يلتجئون اليها. وهذه العادة لم نزل نسعى
في المغرب بشأن المساجد واضرحة الاولياء. فمر
التجأ اليها اسنحال القبض عليه ما دام فيها.

(12) كان المحكوم عليهم بالجلد يطاف بهم
راكبين على حمار. ويجلدون في الطواف

لم أعرف (13) قط إلا في المواعيد التي تأمر بها
 أمنا الكنيسة المقدسة. فهذا وممارسة حرفتي كفيت
 أمك انصرف عيش قدرت عليه. فمنور حينئذ ثائرة
 أمي التي كانت تنأله لقلة مبلى الى معاطاة السحر
 والشعوذة فتصيح قائلة: كيف تقول انك اعلتني؟
 الست انا التي اعلتك واحرجتك من السجن بحيلة
 وأسعفك نأمال واذت فيه؟ وان لم نقر افكان هذا
 من دلقاً نفسك ام بفضل ما سقيتك اياه من اشربة؟
 أجل، ان الفضل لبواقيلي. ولولا خوفي من ان
 يسع كلامي خارجاً لأبحث بتلك الحادثة حين
 دخلت من المدخنة واخرجتك من السطح. ولو لم
 تنفكك من شدة الضربات سبحة من اضراس الموتى
 شادت بين بديها لبالعت في القول لما كان يبدو
 عليها من العصب

13) أتى المؤلف بصورة في استعمال كلمة
 اء. ف فاراد بها أولاً اقرار المجرم بجريمته امام
 السلطة وبأنها السر الكنسي المعروف وهو الاقرار
 بالخطايا للكاهن

وبعد ان ضرب السلم خيامه فوقهما قلت
لهما اني عازم ان اسلك جادة الفضيلة واواصل
السبر الى الامام بنو ابي الطيبة وطلبت منهما ان
يدخلاني المدرسة لانه لا شيء ممكن بلا قراءة ولا
كتابة فاستصوبا رأيي بعد ان تهاكما بشانه حينما
ثم عادت امي الى تنظيم الاضراس في السجدة
ومضى اني ليخلق لاحد زبائنه - حسبما قال -
ولست اشرى ان اعيته او جيبه . وبقيت وحدي
اشكر الله الذي جعلني ابنا لوالدين بلعا هذا الخد
من المهارة والاهتمام بصالحني .

الفصل الثاني

في ذهاني الى المدرسة وما وقع لي فيها

ما أصبح اليوم التالي حتى كانت الكرامة
بهن بي واختبرة مع المعلم قد نمت. فذهبت
يا صبح الى المدرسة. فاستقبلني المعلم باشا وقال
لي ان امارات الفطنة والادراك مرتسمة على
وجهي فحملي قوله هذا على نادبة المدرس في
ذلك الصباح نادبة حسنة لكى لا اخيب ظنه في
وكان انعلم بحاسبي الى جانبه. وفي اكثر الايام
زيت الجائرة لاني كنت اول من يصل وآخر من
يخرج فاقضي بعض الحاجات للسيدة - وهو اللقب
لدي بطنه على زوجه انعام - وبسل هذه التملقات
صبح الجميع مدبنين لي وبالفوا في احظائي فازداد
نقبة الصبية حسدا مي اما انا فكنت أنصل
بأناء "لاشراف وخاصة واحد ابنا ضون ألونصو

كورونيل دي زونيغا فأتحدنا اتحادا وثيقا وصرت
أذهب الى داره في ايام الاعياد ورافقه في كل يوم
واصبح الآخرون، اما لاني لم اكن احادثهم واما
لانهم كانوا يعتبروني متعجرفا يطلقون علي القبا
تشير الى ابي. فالبعض يسمونني ضون ناباخا (1)
والبعض الآخر ضون بنطوسا (2) وهذا يقول ثبربرا
لحسده انه يكرهني لان ابي سرقت ليلا اخيه
الصغيرتين وذاك ان ابي قد استدعي الى داره
لبنظفها من القبران قاصدا بذلك تسميه قطا (3)
والبعض يصيحون بي حين امر بجانبهم ساني.
(4) والآخرون مس، (5)

وحاصل الامر انه بالرغم عن كل ما اضربوني
به لم تبلغني منهم اهانة قط والله الحمد واني وان

(1) Navaja اي الموس

(2) Ventosa اي المحجم

(3) اي لصا

(4) لفظة تستعمل لطرد القطط

(5) لفظة تستعمل لدعاء القطط

كنت أخجل مما يقولون فقد كنت احسن اخفا
حولي . محملا كل شيء الى ان نجراً يوماً أحد
الاولاد على القول لي بصوت عال يا ابن الباغية
الساحرة وبما انه لفظ تلك العبارة بوضوح لا يترك
محالاً للسكوت - اد لو انه قالها مهمة لفضضت
انظر عنه - فما كان مني الا امسكت حجراً
ورمته به ففجعت رأسه . ووليت راكضاً شطراً
امي تتخبتني

وأخبرتها بكل ما جرى لي فقالت : نعم ما
فعلت يا امي . وقد برهنت عمن انت وانما اخطأت
في اتفالك عن سؤاله من قال له ذلك فحين
سمعت كلام امي - وقد كنت اخسر دائماً افكاراً
سامية - التفت نحوه قائلاً : آه يا أماء! انما يؤلمني
أشدّ ألأم ان بعض الذين كانوا حاضرين الحادثة
قالوا لي انه لا داعي لعضي بسبب ذلك الكلام
وهم سألهم ان كان ما يقولونه لي يرجع الى صغر
عمر فائله ام نسب آخر . ثم رجوتها ان تحبرني
داً كان توسعي ان اكذبه عن حق وان نعلمني

اذا كنت ابن ابي حقا ام ان في حبلها بي اشتراكا
 لعدة رجال؟ فضحكت وقالت: خزيا لك! اهذا
 القول نعرف ان تقول؟ او ابله انت؟ أجل ان
 كلامك مدعاة للعبث ولقد احسنت صنعا حين
 فججت رأسه واعلم ان هذه الامور وان كانت
 صحيحة يجب الا نقال فهت كالميت حين سمعت
 هذا الكلام وعزمت على حمل ما أقوى عليه ضمن
 ايام قليلة ومغادرة دار والدي من سدة ما غسله
 الحبا في نفسي عبر اني اخفنت ما في خاطري
 وسار اني الى دار الصبي فضمم جراحه وهدأ
 خاطره وردني الى المدرسة حيث استقبلني المعلم
 بغضب شديد لم نخف قائله الا بعد ان سمع
 وعرف سبب المشاجرة فاعسر اذاك ان الحق كان
 بجائبي.

وحلال هذا كله كان ابن ضور أنوفصو
 دي رونغفا واسمه ديبغو لا ينقطع عن زيارتي
 اذ كان يضر لي الود والعطف. فواصلت ببني
 وسنه روابط الصداقة والاتحاد وصرت اعطيه

واعطيه مما أتغدها دوز ان اطلب منه مما يأكله
واشتري له صورا واعلمه المصارعة والعب واياه
نعة الثيران واسليه دائما. فحين شاهد والداه
مقدار فرحه برفقتي اصبحا يرجوان والسدى في
اكثر الايام ان يسمحا لي بالبقاء معه لاتغدى
وانعشى وفي معظم الايام لانام الليل ايضا

وحدث ذات مرة في الايام الاولى التي عدنا
الى المدرسة فيها بعد عيد الميلاد ان رجلا مشهورا
بالاحتيال يدعى بنصيو دى اغيرى كان مارا في
السارغ فقال الى صون ديينغو: «ناده باسم بنصيو
بيلاطو واطلق ساقيك للريح فناديته بهذا الاسم
ارضا خاضر صاحبي. فما كان من الرجل الا ان
غضب وجرى ورائي مجردا خنجره ليقتلنى
فاضطرت الى الالتجاء في هربى الى دار معلمي
ودخل الرجل ورائي صائحا. فتقدم معلمي لحمايتي
فقال: من الرجل ان يعفو عن حياتي مؤكدا له انه
سعاقي عاقبا صارما وهكذا كان بالرغم عن
نوسلات زوجته وتوسطها من احلي لما كنت

أقدم لها من خدمات. فأمرني بنزع قميصي ثم
 اخذ يجلدني ويقول بعد كل جلدة: اعود الى
 القول بنصيو بيلاطوس؟ فاجيبه. لا يا سيدي. ولقد
 اجبته مثني عن كل جلدة جلدها ووجدت في
 تلك الجلدات عبرة للتحامي عن ذكر اسم بنصيو
 بيلاطوس. ونشأ بسببها في نفسي خوف من التلفظ
 بهذا الاسم بحيث انه اد امرني المعلم في اليوم
 التالي على عادته بتلاوة الصلاة على بقية التلامذة
 حين وصلت الى قانون الايمان - ولاحظ حضرتك
 مكري الري - وبلغت فيه حد قواه: ونأله على
 عهد بنصيو بيلاطوس (ii) تذكرت انه ينبغي ان لا
 اعود الى لفظ كلمة بيلاطوس، فقلت: ونألم على
 عهد بنصيو دتي اعيري، فحين سمع المعلم سذاجني
 هذه ورأى الخوف المسحوذ على من أجله ضحك
 حتى بدت نواجذه وعانقني واعتانني وعدا كتابا

(ii) بنصيو بيلاطوس او بيلاطوس البنتي هو الوالي
 الروماني على فلسطين الذي صلب سيدنا يسوع
 المسيح على هذه

بأنه يعفو عني في المرتين المقبلتين اللتين استحق
فيهما الجلد فذهبت راضيا مسرورا

ثم اقبل زمن المرفع (١٧) فأمر المعلم بان تنظم
لعبة املك الديوك (R) فربحا عن نفوس تلامذته
ووقعت القرعة بين اني شتر منا فكان الحظ
حليفي واوعزت الي والدي ان يدبرا لي اثوانا
فاخرة. وحين اقبل اليوم المعين خرجت ممطيا
صهوة جواد ذابل مصدور بحني رأسه كمن يسلم
باحترام لا لأدبا بل لعرج "لم باحدى ساقيه. وكان
كفل عازي الشعر قصير الذيل ككفل القردة
وذا عنق يفوق طولا عنق البعير ولم يكن في
وجهه سوى عين واحدة على 'نها بيضا'. وكان يقرأ
على بدنه ما نحمله المصنف بتغذينه من تقشف

(١٧) هي الالبام الثلاثة السابقة لصيام النصارى
وعند اموارنة هي 'الاسبوع السابق كله
(١٨) هي لعبة تقوم بدفن ذبك مع ثمك رأسه وعنقه
فوق التراب ثم نعصب عينا احد اللاعبين وعليه ان
يتقدم اذاك في مسافة ما باحسا عن الديك والسيف في يده

وصوم وما قام به من شئ في سرائه له العلف، فبينما كنت سائرا على متنه ارتجح دينا ويسارا كفرنسي (٩) في سيره وبقية الاولاد ورأيتي بزينةهم مررنا بساحة البلدة - ان بدني يقشعر لمجرد ذكرها - وحين وصلنا الى موائد البقالات - نجانا الله - خطف حصاني كرنبا لواحدة منهم وباسرع من البرق ارسله الى امعائه حيث لم يصل في تدرجه داخل حلقومه الا بعد وقت غير يسير فاخذت البقالة - وكلهن كما تعلم سفيهات - تزيط، ثم وصلت الاخريات مصحوبات ببعض الشطار، رافعات جزرات كبيرة وسلاجم ضخمة وباذنجانات وغيرها من البقول، وشرعن بمطاردة الملك المسكين، اما انا فحين رأيت انها معركة سلحبية ليس لي ان

(٩) الفريسيون حساة من اليهود كانوا يتظاهرون بالنقشف والعبد ويتمسكون بظاهر السريعة عابثين بروحنا وكثيرا ما حمل عليهم سيدنا يسوع المسيح كما نرى في الانجيل المقدس. وقد اصبحت كلمة فرنسي، في الاسانبة مرادفة لمنافق

اشارك فيها راكبا اردت ان اترجل. لكن حصاني
 تلقى ضربة عنيفة في وجهه وهو يحاول ان يشبو
 فاذا به يهوي بي - حاشاكم - في احد المراحض
 وثركني كما بوسعت ان تصور وكان فنياني قد
 تسلحوا بالحجارة وشرعوا بمطاردة البقالات ففجوا
 رأس اثنين منهن اما انا فقد اصبحت بعد سقوطي
 في المرحاض اكثر من يحتاج اليه في المشاجرة.
 ثم قبل مأمور العدالة فقبض على البقالات والصبيان
 وفشتم يحملونه من الاسلحة فزعتها منهم حيث
 ان لبعض منهم ثانوا قد جردوا خناجر وسيوف
 صغيرة من التي جاؤوا بها للرينة. وحبز وصل
 وانه ير معي ابي سلاح لانهم كانوا قد نزعوه عني
 ووضعوه في احد المنازل مع المعطف والقبعة لتكشف
 طلب مني سلاحي فأجبته والوساخة فحليني ان
 لا سلاح آخر لدى اذ كان هذا لا يؤدي الانوف.
 ولا بد لي ان اخبرك عرضا انه حين بدأت
 يرميني بالباذنجان والسلمج وبقية البقول ظننت
 اذ كنت احمل ريشاتي قبعتني انهن اعتبرنني والدتي

وانهن يرمينها عن قصد كما فعلن مرارا أخري.
فأخذت اصيح على بلاهتي ولفولتي قائلاً: ديا
اخواني اني وان كنت أحمل ريشا لست الدونصا
سانورنو ني ريبوبو والدتي كما لو انهن لم
يكن ليريز ذلك من قامتي ووجهي لكن الخوف
ووقوع المصيبة فجأة معذرة لجهلي

ولنعد الان الى مأمور العدالة فقد اراد سوقي
الى السجن لكنه لم يفعل لانه لم يجد في ممسكا
من حرّ سقّتي ونوحلي. فذهب البعض من جهة
والاחרون من جهة اخرى وعدت من الساحة الى
دارتي معذبا انوف كل من اصادفهم في طريقي.
وما كدت ادخلها واخبر والدي بما حدث حتى
غضبا غضبا شديدا وهما بضربي لما رأاني عليه
من سوء حالة، اما انا فكنت اتقي البعة على
الحصان الذي اعطيته محاولا ارضاها، وحين
رأيت محاولتي فاشلة خرجت من الدار منوجيا
الى دار صديقي ضون ديغو فوجدته قد اصيب
بجرح في رأسه. وقد عزم والداه لسبب ذلك على

إلا يرسله فيما بعد إلى المدرسة وهناك أخبرني
 أن حصاني حين رأى نفسه في ضيق حاول أن
 يرفس لكنه من ضعفه الزائد انقطع كفله وبقي
 في الوحل على شفير الهلاك. وإذا أبصرت العيد قد
 انعك صفوه والبلدة في هرج ومرج ووالدي قد
 نارت فائرتيما وصديقي قد فح رأسه وحصاني قد
 ماتت عزمت ألا أعود أبدا إلى المدرسة ولا إلى دار
 والدي. وقررت أن أبقى في خدمة ضوز ديبغو أو
 بالآخرى في صحبته وذلك برضى والديه النام لما
 كانوا يرثونه من ولأبي نحو القى. فكتبت إلى
 والدي معلما إياهما بأنني لم أعد بحاجة إلى الذهاب
 إلى المدرسة لأنني وإن كنت لا أحسن الكتابة فذلك
 لا يضيرني لأن المطلوب في محاولة النخلق باخلاق
 الفرسان هو ألا نحسنها المر. ولذلك اتخلى عن
 المدرسة حتى لا أحملها نفقة وعن دارهما لاوفر
 عليهما أتعاب. وأعلمتهما بمقرى الجديد والشروط
 التي تقبت فيها وبأنني لن أراهما حتى ألقى منهما
 أدنى بذلك.

الفصل الثالث

في دهبني الى مدرسة داخلية بصفة خادم

اضون ديفغو كورونيل

وعندئذ عزم ضون ألونصو على إرسال ونده
الى مدرسة تقبل طلابا داخلين لسعده من جهة
عز حماة الرفاهية وليوفر على نفسه مشقة القلق
عليه من جهة اخرى وعلم ان في شقوية كاهنا
اسمه كبراء (1) منصرفا الى تربية أبناء النسل.

(1) كابرا Cabra. ويظهر ان الكاهن الذي
وصفه كيبيدو هنا قد وجد حبة. ويستدل على
ذلك برسالة بعثها الى المؤلف صديقه خوان آدان
دي لابارا وفيها يقول: علمت شقوية... وكم
بتول بي القول عما ضحكته حين زرت الاب
كابربنا. ولقد احدث تصويره لكسه لم بعد الان

فارس إلى ابنه وأرسلني معه لإرافقه وأخدمه.
 فسقطنا يوم الأحد الجديد (٢) بين يدي الجوع
 المحسوس لأن ذلك المؤس لا يقبل الزبادة وكان
 الأب كبيراً كالسلطانة. طوبى الغامة لا غير صغير
 الرأس. أشقر الشعر، ولا يحتاج إلى زيادة في التعريف
 به من يعرف مثل القائل لا قط ولا كلب من ذلك
 اللون وكانت عيناه قرينين من قفنه فيبدو كأنه
 نطلع من وراء مقطفين ومن شدة غورهما
 وسوادهما يصلح موضعهما أن يكون حانوتا لأحد
 التجار وقد أكلت أنفه بنور اتجها الزكام وهي

متابعا للصورة التي رسمتها له لأن المسكين قد
 رذلت حاله سوءاً وأصبح على شفير الفناء بجبت
 ندعو إلى الشفقة. وحين علم أنه المعلم الذي صور
 في فصلك قال لي إنه أولى بك أن تكون أكثر مروءة
 وأقل عتوقاً ولم يبق للمسكين تلامذة الآن وليس
 بوسعنا أن نقيم القداس. وإنما هو هيكل عظمي
 نعيش ما وفره في إقامه البيضاء.

(٢) هو الأحد الأول بعد عيد الفصح أو القيامة

ان لم تكن ثمرة الرديلة فلان في ذلك نفقة. أما
 اللحية فقد فقدت لونها خوفا من الغم المجاور الذي كان
 يبدو من الجوع المضى كانه يهددها بالافتراس.
 والاسنان ينقصه معظمها واظن انها نفيت من
 ذلك المكان لتكاسلها وتقاعدها عن العمل (١٣)
 والعنق طويل كعنق النعامة مع جوزة ناتئة كانت
 نستعد لمعادرتها سعيا وراء غذائها بعد ان احدثت
 بها الفاقة، والذراعان ناشقان واليدان كرزمة من
 الزرجون. واذا تطلعت الى نصفه الاسفل حلته
 شوكة او بركازا. طويل الساقين هزيلهما بطيء
 السير. اذا غضب قليلا سمع لعظامه قرقرة كقرقرة
 الواح سان لازارو (١٤) وان تكلم صعد الكلام من

-
- (٣) كان النفي من العقوبات المفروضة على
 اذاك على المتشردين الكسالى
- (٤) الواح سان لازارو، هي الواح ثلاثة تحمل
 مربوطة بخيط يمر في ثقبين وتمسك اللوحة
 الوسطى ونحرك فتحدث قرقرة، وتسمع لاسجداً
 الصدقات لمستشفيات سان لازارو

صدره. كبير المحبة لم نمسها قط بد الحلاق نجنا
 لا لفاق. وكان يقول انه بفضل الموت على ان يرى
 بد الحلاق على وجهه لما تحدثه هذا الامر من كره
 في نفسه. 'ما شعر رأسه فبحره له احد الطلاب. وفي
 الانام الشمس بلبس قلنسوة العمة المقوب مزينة
 بالدم خلت من شيء كان فيما مضى جوحا
 ومبتلة بالحزارة فكان البعض يقولون عند رؤيته
 عارية من الشعر انها من جلود الضفادع والآخرين
 انها من نسيج الوهم. فتخبر عن قرب سوداء وعن
 بعد مائلة الى الزرقة. وكان يرنديها بدون رنار
 ولا قلب ولا اردان فنوح بشعره الطويل وجته
 القصيرة استذلة كما انه من خدام الموت. اما فعلاه
 فصل، انهما كان كافيا لان يكون احدا لفلسطيني
 اذا. 'واما عن مسكنه فماذا نقول؟ انه كان خالما
 حيا من العنكبوت وكان ببعده الغيران عنه خوفا
 من ان تقرض له بعض الكسر التي يحتفظ بها

اذا كان يقال عن شخص انه فلسطيني اذا
 اريدت المبالغة في ضخامة جسمه

ومن الأرض اتخذ سريرا مدفوقه الفراش فينام دائما على جانب واحد ثلثا يلف المقاييم. وبالاختصار كان صاحبنا غاية في الفقر ومثالا للبؤس. فبين بدي هذا الرجل وقعت انا وضون ديفغو وفي ليلة وصولنا دانا على عرفنا والقي علينا عطة قصيرة لم يطلها ثلثا يسرف في الوقت. واثار علينا ما يجب ان نعمله وشعلنا بهذا حتى ساعة الغداء وحينئذ دعبنا الى قاعة الاكل وكانت العادة ان تاكل الاسياك اولا بعدما تقوم نحن الخدام نخدمهم وكانت القاعة المذكورة عبارة عن شرفة ضيقة وقد تجمع حول مائدة واحدة خمسة اشخاص واول ما بحثت عنه عينا في تلك العرفة هي القسط، ولما لم ارها سالت عنها حاءما قدنما نرى عليه اهزاله علامات الإقامة في ذلك الموضع فانسق علي عند سماعه هذا السؤال وقال كيف نسمي عن القسط؟ فمن اخبرك ان القسط نحب "صوم" و"تنسيف" اجل ان سمك بدل على حدانة عهدك بهذا المكان فحين سمعت هذا القول بدأ العم تدب الى نفسي وارددت خوفا حين رايت ان جميع من

سبقونا إلى سكنى هذا المنسوق كانوا شامخا عفا
 كان وجوههم قد طليت بمراهم (الدياكيلون) (٦)
 فجلس الاب كائرا والقي البركة ثم اكل الحاضرون
 اضلة ابدية لا ابدا لها ولا نهاية فجاء اولاً مرق
 في قصاع من الخشب لو اكل نرسيسو (٧) في
 واحدة منها لكان من سمها ذلك المرق في خطر
 اشد من من خطر العذرة ولاحت مغنما ان الاصابع
 الهربلة كانت تسبح سعيها ورا حمة ينيمة وحيدة
 كانت في قعر القتعة وبعد كل حسوة يقول

(٦) الدياكيلون مرهم كان يستعمل في
 الجراحات لالة الدمامل

(٧) نرسيسو Narciso في المينولوجية هو ابن النهر
 بنفسو Celiso وعروس الماء ليريوبيا Liriope وكان
 غاية في الجمال لكنه لم يفتح قلبه لعواطف الهوى
 ونروي الاسطورة انه وقف ذات يوم جانب غدير
 سفا مأوه كالبور فابصر صورته معكوسة فيه وفتن
 بجمال ذاته ايما اقتبان وعطس ذراعيه في الماء ليقبض
 تلك الصورة التي طنعا لشخص آخر

كأبراه الحق يقال انه لا شيء كالقدر (٨) مجما
 تقول المنشدقون: وما عداها رذيلة ونهم وما كاد
 يفرغ من تردد هذه العبارة حتى جرع ما في القصعة
 دفعة واحدة قائلاً: هذا كله عافية وذكا فقلت
 في نفسي: قاتلك الله (٩) حين رأيت غلاماً هزيراً
 كأنه جاء من عالم الأرواح وبين يديه صحيفة فيها
 لحم كأنه قطعة من بدنه. ونقر به لفتة مغامرة.
 فقال المعلم: ألفت لذلك؟ أجل، انه لا بطيب لي

(٨) كلمة Dila في الإسبانية تعني في الأصل
 القدر وهو الإناء المعروف لكننا اطلقت ايضاً على
 اكله تتركب من لحم وشحم وخضر وحمص وبقاها
 يضاف اليها شيء من المقاتق توضع كلياً في قدر
 وتغلى حتى تطيب. وهي الاكلة الوطنية الشعبية
 في اسبانيا الى يومنا هذا.

(٩) اتى المؤلف تنويرية في كلمة ingenio
 فسنعملها أولاً بمعنى ذكاء، ونابياً بمعنى حيلة
 فآثرنا تعريب الجملة الثانية بقولنا: قاتلك الله
 وهو المقصود.

حبل مثلها. كلوا فان صدري لينشرح حين
أراكم تأكلون ثم وزع على كل واحد منهم
قدرا ضئيلا من اللحم بحيث نفذ في ثلثي ما أصاب
كل واحد بين ما التصق بأظافره وعلق بين أسنانه
وأثنا هذا كان كائرا يتطلع اليهم قائلا: كلوا
فإنكم لغتيان ويسرنني ان أرى فيكم هذه الشهية،
فتأمل املحك الله ما أحسنها من جوابل لمن
كانوا يتثأبون جوعا.

وأخيرا فرغوا من الأكل وبقيت فوق الخوان
بعض الكسر وفي الصفحة بعض الألب والعضام.
فقال المعلم: فليبق هذا للمخدم اذ من حقهم ان
ياكلوا أيضا ولا ناكله نحن كله اما انا فكنت
أقول في نفسي: بلاك الله وما اكلته بسوء يا شقي!
فيأله من تهديد رميت أمعائي به. ثم التقى البركة
وقال: فلنترك المكان للمخدم واذهبوا حتى الساعة
الثانية وروضوا اجسامكم لئلا يضركم ما أكلتموه،
فلم اتمالك حينئذ من الضحك مل شدقي وغضب
المعلم غضبا شديدا وقال لي ان تعلم الحشمة وزرد

على مسامعي ثلاث او اربع حكم قديمة وذهب الى
حال سبيله. فجلسنا نحن وحيث رأيت النصفقة
خاسرة وامعائي تطلب الانصاف هجمت على الصفحة
بصفتي اكبر الخدم واقواهم كما هجم الآخرون
ولقمت من الثلاث كسر اثنتين والاهاب الوحيد
الذي كان فيها فاخذ البقية يدمدمون متدمرين
فدخل كائرا حين سمع الجلبة وقال دكلوا
كالأخوة فان الله قد رزقكم ما تأكلونه متحابين
ولا تنازعوا فان لديكم ما يكفي الجميع ثم عاد
يتشسر وتركنا وحدنا. هذا وانى أوكد لحضرتك
انه كان بين الخدم واحد من بسكاي اسم سري
بلغ به نسبته كيف يؤكل ومن اين انه رفع
كسرة اصابته الى عينيه مرتين دون ان يصيب
في توجيه يديه الى فمه. ثم طلبت ان اشرب
حيث ان الباقين الذين كادوا يكونون معائمين
لم يطلبوا ذلك. فاعطوني كأس ماء وما كان
الكأس بمسر شفتي حتى كانت يد الغلام المستحيل
روحا الذي نكست منه. باقيا بسند اليه وتأخذ

منى كما لو كان ما مقدسا فقامت والغم يملا نفسي
حين رأيت أني في دار يشرب فيها القم نخب
الامعاء فتعجز هذه عن مقابلته بالمثل (10)

وشعرت بحاجة الى التبرز وان لم اكن قد
اكتلت فسألت احد الاقدمين عن المرحاض فقال:
لست ادري اذ ليس في هذه الدار من مرحاض وعلى
كل حال ان برازا تبرزه مرة واحدة طيلة اقامتك
هنا يمكنك ان تخرجه اينما كان، فعأناذا قد مر
عني شهران في هذه الدار ولم احتج الى ذلك سوى مرة
واحدة يوم دخولي كما نريد ان تفعل أنت الان
وذلك ما تعشينه في داري عن الليلة السابقة.
فكيف أصف ما استولى علي من الحزن والغم حين
سمعت هذا القول اجل لقد كان ذلك عظيما الى
حد اني بعد ان تأملت في ضآلة ما دخل جسمي
له أحرأ بالرغم عن رغبتني بابرار شئ مما في داخله.

(11) اي ان ما يدخل القم قليل بحيث لا يصل
الى الامعاء فليذا لا تقدر هذه ان تقابل من يشرب
نحبها بالمثل

تسلينا حتى حلول الليل، وكان ضون ديبغو يسألني اثنا ذلك عما تساه ان يفعل ليقنع معدته بأنها اكلت لانها لم تكن لتصدق. وكانت تطوي الساعات خاوية في تلك الدار كما كانت تقضيها متخومة في دار اخرى. واخيرا اقبلت ساعة العشاء لان ساعة العصر مرت دون ان يأتي احد على ذكر العدوقة. فتعشنا اقل مما تغديناه بكثير وله يكن في العشاء لحم عجل بل قليل مشوي من اسم المعلم (11) ونأمل رعاك الله اذا كان البس نفسه يقدر على ابتداء امر كهذا فقد كان المعلم يقول في العشاء الخفيف صحة البدن لان المعدة تبقى عاطلة، ويتبع قوله هذا ثلاثحة لا نهاية لها من الاحبا الجينيين ويكثر اثنا على الحمبة قائلا انيا تنفي شر المر الاحلام المرعجة لعامة ان من في داره لا يمكنهم ان يحلموا بشيء آخر سوى انهم باكلون. فتعشوا ونعشنا جميعا ولم يتعش أحد.

(11) اي من لحم الماعز لان المعلم اسمه كابرًا

Cabra ومعناها ماعز

ثم سرنا لنرقد لكن مضى الليل ولم تغمض لنا
عين لا لى ولا لىضون ديعغو. اذ كان هو يهسى
شكواه الى والده طالبا منه ان يخرجه من ذلك
المكان وأنا انصح به ان يفعل ذلك وان كنت في
الاخير قد قلت له «أتعلم يا سيدي علم اليقين
ان كنا في عالم الاحياء؟ لانى أتصور اننا قتلنا في
مناوشة البقالات وانما نحن الان انفس نتعذب في
المطهر. وعائيه ارى انه من العبث ان تقول لايك
ان بخرجنا من هنا اذا لم يقم احد بالصلاة من
أجلنا بسبحة ذات حبات كبيرة ويخلصنا من العذاب
بتقديمه قداسا يقام في مذبح مميز بغفران كامل،

وبين هذه السمرات والقليل الذي رقدناه
حانت ساعة النهوض اذ دقت الساعة السادسة
فنادانا كابرا الى الدرس. فذهبنا واصغينا اليه
جميعا. اما انا فقد أصبح ظهري وخاصرتاي تسبح
في داخل التقميعين والسراويل تتسع لسبع سيقان
مثل ساقي وعلت الخرامة اسناني فبرزت صفرا
مجلبة نالئاس. وامرت بقراءة الفاعل الاول على

مسمع من بقية التلامذة. لكن جوعي كان كبيرا
 بحيث فطرت بنصف الكلمات وإن يتردد في
 تصديق ما أقوله من عرف ما حكاه لي غلام
 كبيرا إذ قال لي إنه رأى بأم عينه جواديت
 فريسيين (12) دخلا إلى تلك الدار وخرجا بعد
 يومين ضامرين رشيقيين يطيران في الجو بسرعة.
 وأنه رأى دراوس غليظة ادخلت إليها أيضا ثم
 خرجت بعد ثلاث ساعات وقد صارت سلوقية
 عداة. وأنه في مدة الصوم رأى مرة أناسا كثيرين
 منهم من ادخل رجليه ومنهم يديه ومنهم جسمه
 كله في رواق الدار مستمرين على تلك الحالة
 برهة غير وجيزة، وأن أناسا كثيرين غيرهم كانوا
 يفدون من الخارج لهذه الغاية فحسب. وسألته مرة
 عن ذلك لأن كبيرا قد غضب لسؤالي إياه فقال
 لي أن منهم من هو مصاب بالجرب ومنهم من

(12) أي أتبين من فريسيا أو بنمبان إلى
 ذلك النوع من الخيل التي تسار بقوة بالقوائم
 وعرضها.

به تورم من البرد وبوضعهما في تلك الدار يموتان
جوعاً بحيث لا يأكلان بعد ذلك اليوم (13) وقد
أكد لي أن ذلك صحيح. وأنا الذي عرفت الدار
أصدق ذلك القول. وأقول هذا لكي لا تعتبر
كلامي من باب المبالغة

وانتعد الآن إلى كلام عن الدرس. فقد
ألقاه المعلم علينا ثم رددناه كلنا معاً. وعلى هذا
النمط الذي وصفته واصلت العيش. وإنما أضاف
كأبراً شيئاً من شحم الخنزير إلى أكلة
المرق بسبب شيء لم أطلع عليه قيل له خارجاً عن

(13) الجرب والتورم الناشئ عن البرد
Sabañones مرضان ينتشران في الجسم بسرعة كأنهما
يأكلانه. وعن ذلك نشأ في الإسبانية مثل قديم
فيقال «أكل من التورم الناشئ» عن البرد وهذا
ما سمع للمؤلف بالتلاعب في الكلام فشبّه المريض
بشخصين أكولين إذا ادخلا دار كأبراً هلكا
جوعاً ولا يأكلان فيما بعد جسم المريض

صفاً نسبة 114) وكان عنده حنيديق من الحديد كله ثقبوب كالمصفاة. فيفتحه ويضع فيه قطعة من شحم الخنزير. ثم يشده ويدليه مربوطاً بخط داخل القدر ليتسرب اليها شيء من المرق من خلال الثقبوب ويبقى الشحم لليوم التالي (15) ثم : ان

114) كان اليهود اليهودون حديثاً الى النصرانية يحتفظون بشيء من الكره نحو لحم الخنزير وايضا كانت تنكر عليهم صفة القدم في الديانة المسيحية وفي ذلك تحقير كبير

(15) ورعموا انهم (اهل خراسان) ربما ترافقوا وتراملوا قناهدوا وذلارموا في شراء اللحم واذا استبروا اللحم قسموه قبل الطبخ واخذ كل انسان منهم نصيبه فشكه بخوصة او بخيط ثم ارسله في خل القدر والتوابل فاذا طبخوا تناول كل انسان خيطه وقد علمه بعلامة ثم اقتسموا المرق ثم لا يزال احدهم يسل من الخيط القطعة بعد القطعة حتى يبقى الحبل لا شيء فيه ثم يجمعون خيوطهم فان اعادوا الملازمة اعادوا تلك الخيوط لانها قد

له فيما بعد ان في هذا تبذيرا كبيرا فاكتفى
 بان يجعل قطعة الشحم تطل على القدر اطلاقا.
 فعلى هذه الحالة كنا نقضي الايام كما يمكنك
 ان تصوره وقد بلغ الامر بي وبضون ديعو اننا
 حيث لم نجد سبيلا للاكل فتشنا عن طريقة
 نمكننا من الا نقوم في الصباح فسممنا على النمارض
 لكننا لم ندع السخونة لانه اذا لم تكن انكشفت
 الخديعة سهوة. وان ندع الماء في الرأس او في
 الاضراس لم يعتبر هذا الالم عائقا كافيا بالارادة
 الفراش فقلنا اخيرا اننا مصابون بالآلم في الامعاء
 لاننا لم نبرز منذ ثلاثة ايام مؤملين ان المعلم ان
 يبحث لنا عن دواء حارصا على ألا يصرف فلسين
 لشرائه. لكن الشيطان دبر الامور بالعكس حيث
 انه كانت لديه وصفة ورثها من ابيه الذي كان
 حيدليا فحين عرف دائما هيا حقة ودعا سمته وهي
 نجوز قبلغ السبعين من العمر وقال لها ان تضعها

تشربت الدسم. (الجاحظ. كتاب البخل ص 24-25)
 طبعة ليدن سنة 1900

لنا وبدأوا بضون ديبغو فحجل المسكين وارتمك
وبدلا من ان ترميها العجوز في الداخل رمتها بين
القميص وفقر الظهر وبلغت قفاه وهكذا جا زينة
في الخارج ما كان معدا لان يكون بطانة فبقي
الفتي بصيح وعندئذ جا كابرا وحين رآه امر بان
احقن بالباقي ثم تعاود الكرة مع ضون ديبغو.
وكنتم أرندي ثيابي اذات. لكنه لم يجدني نعا
اذا مسكي كابرا واشخاص آخرون وحققتني العجوز
بالحقنة لكنني ارحعتها لها حالا فاصبتها في وجهها
فغضب علي كابرا غضبا شديدا وقال انه سيطرديني
من ديره اذ قد اتضح أن كل ما ندعيه انما هو
خداع صرف لكن لم يشأ سوء طالعي أن يطرءني
فنبغنا ضون انه نصوص شكوانا لكن كابرا كان
يحملة على الاعتقاد باننا انما نعلم ذلك تهريا
من حضور المدرس. ولذلك لم نجدنا النوسلات
ننعا ثم اتخذ المعلم تلك العجوز لتخب وتختم التلامذة
وصرف الخادم لانه رأى معه يوم الجمعة صباحا
بعض فئات من الخبز. أما ما تحملناه من هذه

العجوز فلا يعلمه إلا الله. اذ كانت صماء لا تسمع شيئاً البتة. وتفهم بالإشارة، عمياً كثيرة، الصلاة الى حد ان سبحتها تفككت يوماً فوق القدر فجاءتنا بيا صحبة اتقى مرق 'كلته فاخذ البعض يقولون نعله حمص اسود. ولا شك انه جى به من الحبشة. ويقول الآخرون أ يكون حمصاً في حالة الحداد؟ من منتهى؟، وأما سيدي فقد ابتلع إحدى الخرزات فاذكسرت واحدة من أسنانه وهو يمضغها. وكان من عادتها ان تقدم لنا يوم الجمعة بيضا مكسوا بقدر من الشعر المتساقط من رأسها يؤهله لممارسة الحمامة (16) اذ كان من الأمور العادية اتخاذ الرفش الصغيرة المعدة لنقل الجمر بدل المغرفة وارسال جفنة من المرق مبلطة بالخصي. وقد عثرث ألف مرة في القدر على هوام وعودان ومشاقة مما كانت تغزله فالتهمته كله ليدخل الأمعاء ويزيد في حجم الداخل اليها.

16) كان من عادة المحامين في ذلك العهد

ارخاء لحامهم

وهكذا قضينا حتى حلول الصوم وفي مطلعته
سقط احد الرفاق مريضا وامتنع كائرا عن استدعاء
الطبيب حرصا على المال حتى اصبح الفتى يطلب
الاعتراف اكثر من كل شيء آخر. وحينئذ استدعي
احد المعالجين وبعد ان جس نبضه قال ان الجوع
سبقه الى قتل ذلك الرجل (17) ثم جاءوه بالقربان
الاقდس وحين شاهده المسكين - وكان قد مر
عليه يوم كامل دون ان ينبس ببنت شفة - قال
يا سيدي يسوع المسيح! لقد كان دخولك الى هذه
الدار لازما لاقتنع بانها ليست هي الجحيم، فانطعت
هذه الكلمات في قلبه. ثم لفظ الفتى المسكين
النفس الاخير. فدفناه في جنازة حقيرة لانه كان
شريفا. وبقينا كلنا مدهوشين. وانتشر الخبر المظيع
في المدينة كلها وبلغ مسامع ضون الوصو كورنيل.
وبما انه لم يكن له سوى ابن واحد زال اغتراره
اذاك بقساوة كائرا واخذ يعير اذنا صائبة الى
كلام شبحين - اذ كنا قد بلغنا هذه الدرجة من

(17) تهكم قاس على اطبا ذلك العهد

الهزال. فجاء ليخرجنا من تلك المدرسة وكان يسألنا
عن انفسنا ونحن بين يديه وقد شاهد من حالتنا
ما حمله على الاعلاظ في القول للمعلم (بيخيليا) (18)
وأمر بنا فحصلنا على كرسيين الى الدار وودعنا
رفاقنا الذي كانوا ينبعوننا نرعبانهم واعينهم
مصعدين التاوهات التي بصعدها الاسير الذي يبقى
في الجزائر (19) حين يرى رفاقه يغادرون الاسر

(18) ساء هنا بـيخيليا *vigilia* ومعناها في الاسبانية
التنحس او الانقطاع عن اكل اللحوم والبيض والحليب
مبالغة في وصفه بالشح اي انه جسم التنحس فيه.
(19) كان اسم الجزائر في ذلك الزمن مقرونا
الى فئات الاسر لانها كانت اعظم قاعدة للمقرصان
ومن جملة من وقعوا بين ايديهم في الربع الاخير
من القرن السادس عشر امير الادب الاسباني
ميغيل دي سرفانطيس وبقي في الاسر خمس
سنوات.

الفصل الرابع

في تعافينا وذهابنا للدراسة في قلعة هناريس

دخلنا دار ضون الونصو فالتقونا على سريرجن بعنية كبيرة لثلا تنبدد عظامنا التي أضناها الجوع وجاءوا بكشافة يفتشون عن اعيننا في الوجه كله اما انا وقد كان تعبى اكثر وجوعى اشد - اذ كنت على كل حال اعامل كخادم - فقد مضت برهة غير يسيرة قل ان يعثروا على عيني. ثم جاؤا ناطباً فأمرُوا بان ننظف بمسافر من ريشر كما تنظف الروافد (1) التي وراء المذابح. والحق يقال اننا كنا معذبين ولا عذاب الشهداء وأمرُوا

(1) أنى المؤلف هنا بتورية في كلمة retablo التي معناها رافدة وراء المذبح، ومنها التعبير retablo de duelos أي رافدة الآلام الذي معناه معذب.

أيضا بان أعطى مرق الدجاج.. اه! من لي بمخبّر
اول لعوق واول طائر بالشموع التي اوقدتها
امعاونا فرحا اذ كل شيء كان عندها جديدا.

وأمر الاطباء ان لا يرفع احد صوته في غرفتنا
مدة تسعة ايام لان معدتنا كانت خاوية تبين يسمع
في داخلها صدى كل كلمة تلفظ.

فهذه العناية وغيرها بدأنا سترجع الحياة.
غير ان فكوكنا لم تكن لتقوى على التحرك اذ
كانت سوداء ثابتة. فاشير بان يعدلوها لنا كل
يوم بواسطة يد الهاون. وبعد اربعة ايام بدأنا نخطو
بعض الخطوات ولما نزل كأشباح رجال آخرين.
وبنحولنا وهرالنا كنا كأننا من سلاة نساك
الصحاري.

وكنا نقضي النهار في رفع نشكرا قنا الى الله
الذي فكنا من اسر كابر الغشوم وننوسل الى
المولى عز وجل الا يسمح بوقوع واحد من النصارى
بين يديه القاسيتين واذا حدث اثنا الاكل ان
تذكرنا ما كنا نطعم في دار المعلم ازداد جوعنا

ازديادا تتضاعف معه نفقة ذلك اليوم. وكثيرا ما
كنا نقص على ضون الونصو كيف كان يقبح لنا
النهم حين يجلس امام الخوان مع انه لم يعرفه
قط في حياته. وكثيرا ما بقهقهه حين نخبره بانه
كان يدخل ضمن الوصبة الالهية القائلة لا تقتل،
الحجال والديوك وكل ما لا يريد ان يعطينا اياه
وكنتيجة لكل هذا الجوع نفسه، اذ يظهر انه
كان يعتبر من الخطايا لا قتل الجوع فحسب بل
وتربيتنه حسما يؤخذ من طعامه.

وهكذا انقضت ثلاثة اشهر واخيرا عزم ضون
الونصو على ارسال ابنه الى قلعة هناربس ليتم
دراسة النحو. فسألني عما اذا كنت اريد مرافقته
ولم أكن لأرعب الا في الرحيل عن ارض يسمع
فيها اسم ذلك اللعين مضطهد الحشا. فعرضت عليه
ان اكون خادما لابنه وعين له احد الخدمة قهرمانا
يدبر شؤون الدار ويقدم له حسابا عما ينفق من
المال الذي كان يرسله لنا بحواليات على رجل
اسمه خويلبان مرلونا. ووضعنا الامتعة في عجلة

رجل يدعى ديفغو مونخي وكانت تتألف من
سرير نصفي وسرير آخر من امراس في اسفلها
دواليب لتوضع تحت السرير الاخر الذي كان
لي والمقهرمان المسمى اراندا. ومن خمسة فرش
ومنني ملاحف وثمانى مخدات واربع بسط وحندوق
يحتوى على الملابس الداخلية والسمط وبقيّة عفاش
الدار. وركبنا نحن في عربة عند الاصيل قبل
الغروب بساعة ووصلنا عند نصف الليل الى خان
«بيبروس» (2) لا بارحته اللعنة وكان صاحب
الفندق طرارا من الموريسكوس (3) فبالغ بالحفاوة

(2) خان «بيبروس» Venta de viveros. كان
هذا الخان قائما على الطريق بين مدريد والقلعة
فيحل فيه الطلاب في ذهابهم وايابهم. وقد اشتهر
بما كانوا يقومون به فيه من مداعبات. وورد
ذكره في عدة مؤلفات هزلية من ذلك العهد
(3) الموريسكوس الاسم الذي اطلق على بقايا
المسلمين في الاندلس. ثم ظل مستعملا لمن اعتنق
مذهب النصرانية

بنا. وبما انه كان على اتفاق مع رجال العربّة
 - الذين وصلوا بالامّعة قلنا اذ كنا نسير على
 مهل - النصق بها ومد يده لمساعدتي على
 النزول منها وسألني اذا كنت ذاهبا للدراسة.
 فاجبته ان نعم، فقادني الى الداخل حيث كان
 سفيهان نصّبة بعض الفاسقات وكاهن بصلي، وتاجر
 شيخ شحيح يحاول ان يناسي حاجته الى العشاء
 ومالبان من ذوي المعاطف القصيرة (4) نفثان
 عن شئ بلههاته. فتأل مؤلّي على صعره وحدّنة
 عهده في الفندق: دبا صاحب المنوى! اعطني مما
 عندك لي واخادمين فأجاب فوراً احد السفهاء
 انما كلنا خدام لحضرتك ولا بد لنا من القيام
 بخدمتك! إي صاحب الفندق! فليكن بمالك ان
 هذا السيد يشكرت على كل ما نقوه به. فافرغ
 ما ادخرته وما كاد ينتهي من هذا الكلام حتى

١٤ ذوي المعاطف القصيرة. كان الطلبة
 الفقراء الذين يرافقون طلبة 'عنيا' كخدم لهم
 يتمزون عنهم ناثوانهم

وصل واحد آخر ونزع المعطف عن ضون ديفغو
 قائلا: «فلتسترح حضرك يا سيدي، ووضع المعطف
 على مصطبة هناك اما انا فقد استولت علي عند
 رؤيتي كل هذا روح الكبرياء وصرت كأني
 رب الفندق، وحينذاك قالت احدي الفاجرات
 «ما أحسن سمته وانبله! المدرسة يذهب؛ او
 انت خادمه؟، فاجبت معتقدا بان الامر كما
 يقولون باننا انا والاخر خادماء، فسألوني عن
 اسمه وما كدت اقلظ به حتى وصل احد الطالبين
 متباكيا وعانقه معانقة حارة ثم قال: «آه يا سيدي
 ضون ديفغو. من كان ليقول لي منذ عشر سنين
 اني سأراك اليوم على هذه الحالة! تبا لي من مسكين.
 ان حالتي قد تغيرت الى حد انك لم تعد تعرفني،
 فدهش ضون ديفغو ودهشت انا ايضا بحيث اقسما
 فيما بيننا اننا لم نره قط. واثنا ذلك كان الطالب
 الاخر يتفرس في ضون ديفغو. ثم قال لصديقه أهذا
 هو ذلك السيد الذي طالما حدثتني عن أبيه؟ اجل
 لقد شأ حسن طالعا ان نلتقي به ونعرف عليه على

كبره، صانه الله! ثم أخذ يرسم على صدره إشارة الصليب. وبعد هذا كله من لا يصدق انهما ربيما معنا؟ اما ضون ديينغو فقد عرض عليه مساعدته وبينما كان يسأله عن اسمه خرج صاحب الفندق وبسط السباط واذا شم رائحة الاحتيال قال: «دعوا هذا فبعد العشاء تتحدثون اما الان فقد يبرد الطعام» ثم وصل احد السفهاء فوضع مقاعد للجميع وكرسيا لضون ديينغو، وجاء الآخر بصحيفة وقال الطالبان: «فلننعمش حضرتك الان واما نحن فسنقوم بخدمتك ريتما يهيئون لنا شيئاً مما حضر» فصاح ضون ديينغو قائلاً: «حاشا ان يكون ذلك» لا بل تجلسان وتخدمان، فأجاب السفهاء - مع ان كلام ضون ديينغو لم يكن موجها اليهما - لا يا سيدي! فيما بعد اذ لما يفرغ من اعداد كرسى شىء، اما انا فحين رأيت البعض يدعون والاخرين بدعون انفسهم استولى علي الغم وخفت من وقوع ما وقع لان الطالبين تناولا السلطة التي كانت تملأ قصعة لا بأس بها وتطلعا الى مولاي

قائلين وليس من اللائق ان تبقى هاتان السيدتان
 بلا أكل حيث يوجد سيد من قدرك فلتامر
 حضرتك بان نصيبهما لقمة فما كان منه الا ان
 دعاهما تأديبا فجلسنا امام الخوان وناقل من اربع
 لقم اثنا هما والنايلان على السلطة، فلم يركوا
 منها سوى قلب خسة اردرده ضون ديبغو. وحين
 ناوله اباه ذلك الطالب الخبيث قال: كان احد
 اجدادك وهو عم والدي اذا رأى خسا اضمى عليه
 فرحا. أجل لقد كان رجلا كل الرجل. وما كان
 يفرغ من للامه هذا حتى تناول قريبا من الخبز
 وتناول رفيقه قريبا آخر حيث ان الفاجرتان كانتا
 قد انلعتا رغيفا كاملا غير ان الذي فاق الجميع
 أكل هو الكاهن ولكن بالنظر فقط. ثم جلس
 السفهان امام نصف جلي مشوي وشريحتين من
 شحم الخنزير وفرخي حمام مطهيين وقال: «باحضرة
 الاب! علام انت هناك؟ اقرب ومد يدك فسان
 مولاي ضون ديبغو يغمرنا جميعا بفضله، وما كادا
 يقولان هذا. حتى كان الكاهن جالسا معهم.

وحين رأى سيدي ان الجميع قد تراكموا عليه بدأ
 يغتم. وتقاسموا كل شيء فيما بينهم. واعطوا ضوز
 ديينغو بعض العظام والاجنحة اما البقية فقد التهمه
 السكاهن والآخرين. وكان السفهان يقولان لا
 تتعش كثيرا ياسيدي فانه مضر، فيجيبهم الطالب
 الملعون وعلاوة عن ذلك من الواجب ان نعتاد
 على قلة الاكل للاقامة في القلعة، (٥) وكنا انا
 والخدام الآخر نتضرع الى الله ان ترق قلوبهم
 فتركوا لنا شيئا. وبعد ان أكلوا كل شيء الفت
 جد انسفيين وقال وبجي من خاطي! اننا لم
 نترك شيئا للخدم. الويل لكم! يا صاحب الفندق
 اعطهم ما توافر لديك وهاك هذا الدينار. فقاطعه
 فجأة نسيب مولي الشرير - اعني الطالب الآخر -
 قائلاً اسمح لي باحضرة الشريف ان اقول لك
 انك لا تعرف كثيراً من اصول المجاملة أتري انك
 تعرف ابن عمي؟ أجل! انه ايضا خدمه وحسب
 خدمنا لو كان لدينا خدم كما أطعمنا نحن فرد

(٥) بعني قلعة هنارس

عليه الاول قائلا. لا تغضب يا صاح، فاني لم أكن
لأعرفه حق المعرفة، وحين رأيت انا هذا المكر
الكبير اغدقت عليه من اللعنات ما كنت أعتقد
أنه لا آخر له

ورفع الخوان وأشار الجميع على ضون ديفو
بالرقاد اما هو فاراد ان يدفع ثمن العشاء لكن
الباقين اجابوه بان لديه متسعا من الوقت ليقوم
بذلك في اليوم التالي. وامضوا شطرا من الوقت
في السر واستفسر ضون ديفو الطالب عن اسمه
فاجاب قائلا انه يسمى ضون فلان كورنيل أحرقه
الله بنار جحيمه أنى كان هذا الكذوب! ورأى
الرجل الشحيح قد رقد فقال، أتريد حضرتك ان
تضحك؟ فلنعد لعبة على هذا الشيخ الذي لم يأكل
سوى اجاجة طول الطريق مع انه وافر الثروة،
فقال السفهان نعم ما رأى الطالب؟ افعل ما بدا
لك فانت في ذلك مصيب، فتقدم الطالب وسحب
من تحت رجل الشيخ النائم خرجا وفضه فاذا فيه
صندوق فاقبل الجميع كمن يقل على صوت النفير

يدعو للحرب. وفتحوه فاذا هو مملوء من الحلوى
فاخرجها الطالب ووضع مكانها أحجارا واعوادا
وغير ذلك مما وقعت يده عليه ثم برز فوق ما وضعه
ووضع فوق البراز نحو اثنتي عشرة آجرة قديمة
ثم أغلق الصندوق وقال: ما هذا بكاف فان معه
زقا. ثم اخرج الخمر من الزق واتى بمخدة من
عربنا فجردها من غشائها وبعد ان صب في قعر
الزق قليلا من الخمر ملأه صوفا ومشاقة وسدده ثم
ذهب الجميع ليرقدوا ساعة او نصف ساعة بقيت
ووضع الطالب كل شيء في الخرج وجعل حجرا
كبيراً في قبعة الرداء واخيراً مضى ليرقد. وحين
وافت ساعة الذهاب افاق الجميع سوى الشيخ
فقد ظل نائماً. فنادوه وحين نهض له يقو على
رفع قبة الرداء فنامل ما فيه واذا بصاحب الصندوق
يصيح به عن قصد: يا الله! ألم يجد ابننا السبخ ما
نذهب به سوى هذا الحجر؟ ما رأى حضراتكم لو
انه مضى دون ان اراه؟ وانى لأفضل هذا الحجر

على مائة دكة (6) لأنه يشفي وجع المعدة: وكان
الشيخ يقسم ايماننا معلظة أنه لم يضع هذا الحجر
في القبة.

وحسب السفهان ثمن العناء فاذا به يبلغ
ستين بليوناً. أجل: ان خوان دي لبعانوس (7)
ليعجز عن فهم هذا الحساب وكان الطالبان بقولان
بما اتنا سنخدم حضرتك في القلعة فاننا مقابل
ذلك فعبر انفسنا براً من النفقة، ثم فطرنا قليلاً
وتناول الشيخ خرجه وحل رباطه في الظلمة تحت
الرداء لئلا نرى ما يخرج ولا يتقاسمه مع أحد.
وامسك كسرة اجرة مدهونة والقاهها في فمه وضغط
عليه بخرس ونصف سن كانا باقين له ولولا
اليسير لاضاعهما فاخذ ببصق ويدي امارات الاشمتزاز
والآلم فوصلنا كلنا اليه والكاهن في المقدمة
مستفسرين اياه عما حصل له. وشرع الرجل

(6) دكة ducado نقد ذهبي اسباني قديم

(7) Juan de Leganos يظهر انه شخص خيالي

تضرب به العامة المثل في الذكاء.

يستعيز بابليس ورمى الخرج فوصل اليه الطالب
قائلاً: -وراك يا ابليس، ان الصليب فوقك، وفتح
آخر كتاب صلاة الكاهن وحملوه على الاعتقاد
بان به مسا حتى أقر أخيراً بحقيقة ما جرى
وطلب منهم ان يتركوه يتممض بقليل من
الحمر جاء به في الزق فتركوه واخرج الزق وفتحه
ثم صب في كأس قليلاً من الحمر فخرج من الزق
خمر برى اوبر الحى ممزوج بالصوف والمشاقة
نحبت لا يمكن ان يشرب ولا ان يصفى وحينئذ
عبر صبر الشيخ لكنه عند ما رأى القهقهات
تصاعد فضل السكوت وركوب العربية مع السفهين
والنساء. اما الكاهن والطالبان فامشوا حذرا
وجلسا نحن في العربية وما كدنا نسمع بالسر
حتى أخذ الجميع يهزؤون بنا علانية مبينين ان ما
فعلوه بنا انما كان سخرة. وكان صاحب الفندق
يقول يا حديث العهد تكفيك فاتحات قليلة كهذه
لتشيب ويردد الكاهن قائلاً: كاهن ناقم مقام
لك قداسات بدل هذا. ويصبح الطالب اللعين

قائلا: يا ابن عمي! في المرة القادمة حك جلدك
حين تعض لا بعد ذلك، اما نحن فنغاضينا عما
كانوا يقولونه - والله يعلم كم كان حجلنا كبيرا.
وبين هذه وتلك وصلنا المدينة وحللنا في
أحد الفنادق وامضينا النهار كله - اذ كنا قد
وصلنا الساعة التاسعة - في عد ثمن العشاء الفائت
دون ان نتمكن من تقويم حساب ما انفق.

الفصل الخامس

في دخولنا قلعة هناريس ودفع ضريبة النامضة
وما لحقني من هزّ لجدتي في المدرسة

وقد ان بلغني الليل ردتّه عادرنا القدو
الى الدار التي اكثروها لنا وكانت واقفة خارج
باب شنباقب (1) مقام الطلاب حيث يسكن الكثير
منهم في دار واحدة وان لم يكن في دارنا هذه
سوى ثلاثة طلاب آخرين لا غير. وكان صاحبها
من الذين يؤمنون بالله مجنسة فحسب او مكر
خداعا وهؤلاء هم المعروفون بين العامة باسم
الموربستوس وانتشون الى هذا الحنف كبيرون

1. باب شنتيافب - كان هذا الباب واقفا
في سمالي المدينة قرب الكنيسة والسارع المذبح
تحلان اليوم هذا الاسم

وكذلك ذوو النوف الواسعة نسيم كل رائحة ما
حلا رائحة سم الخمر (٢) اقول غذا مع اعترافي
بالسل الذي تصفه كساره وانهم يعددون
وقد اسقاني صاحب 'دار راحة' عاس ولا
اسقاه العربان 'لافس' ولسب شري أكل صاعه
هذا المحلدا على احرامه أم من صبعه 'د' نس
مر السحر : تكون رحل سو من نان دا
أصل راع فوضعا 'معدنا' واعدنا 'نسر' ونفقه
عداات وندما ذلك 'الده' وحين اصبح الصبح اذا
نجم بلال 'المدق' قد اقبوا امام النور يطانون
مواشي مدح ضربه 'الده' (٣) وثال هو تجهل
معنى ذات قد سي عا حاسوب : اما نا

الاعراب في اللغة

الفتحة من حاء حاء
الفتح من حاء حاء
وغيره من حاء حاء
من الحاء الحاء ضربه
من الحاء الحاء

فانسللت ابن ذلك بين فراشمن اتقا لما قد دفع
ولم يبق خراجا سوى نصف رأسي صاوي سلحفاه
وظلوا درختين من اللباس فاعطوا ما خلصوا
وحسد اخذوا تصحون ناعلي اصوانهم صاحب
سعدنا قائدن نجي الرقيق وانعل في حصن
صدف وربع دهبارات الالقمبه و بكر من
حبه ان ما بال جرب وسبي احبا ونا داني
الحسي كالحج وعبد عدا نابل صحت له
هدد دهبارات سلكوا نرج عور ورسد
حسن الاله حان ومرت حن الرية ما سبي
نعد بعده بعض الطلبة من معارف وند
وعكده دخل داله اما اذا وقد صارت الي ان ارش
ونه آخر فقه اخست مريه سب سب وند
رحنه اريه دما كانت فاي سب ان ارشها حسن
حدهي الاحروز ونداوا نودن حسد فادد
اصحت كمن له نائي نالمر حف لما كان يحول
في نسيه اخين ذلك له نكي انه وعس بي سادده
او نسة ونداوا ضحكون فاحمرت وجنتي! - لا

سمع الله بذلك فيما بعد! - اذ أمسك في الحيق
واحد منهم كان الى جانبي تنقه بديه وابتعد عني
قائلاً: من رائحة هذا العازار ترى انه يحتاج الى
الى من بقيمه من الموت (14) فابتعد الجميع اذاك
عبي وسدوا انوفهم. فقتلت حينئذ اني سأنجس
فسددت ايضا انفي بيدي وقلت: ان حضراتكم
لعلى حق! اجل! ان رائحته لمنسة فضحكوا كثيرا
مما قلته وكانوا قد بلغوا حين ابتعدوا ما يقارب
المائة وابتدأوا حينئذ يستجمعون ما في افواههم
وحاجرهم ومحت من خلال السعال والاشداق تفتح
ونغلق ان نفثات كثيرة تنهباً للمفتك في. واثناً
هذا نقده طالب متنشأوى (15) مزكوم ورماني بنغثة
كبيرة وقال متبهاها: اليك اصع اما انا فرأيت
نفسي اداك في مأرق حرج وقلت: والله اني
س. . . ولكن غيثاً من البصاق الغليظ سقط على
بشدّة فحال نبي وبين امام الجملة التي بدأتها.

(14) يريد بذلك انه تن كائيت البالي

(15) اي اصله من مقاطعة المانتشا

وكان وجهي مغشى بالمعطف. وكنت في حلة من
 البياض بحيث كان الجميع يسددون سهام نفقاتهم
 نحوي وبالله كيف كانوا يصيبون الثرمي. وهكذا
 أصبحت كالغمرور بالكح من أم رأسه إلى أخمص
 قدميه. لكن أحد الماكربين حين رأي مني وراى
 وجهي لم يصب بشي أسرع نحوي قاذلاً بغضب
 كبير: كفى! لا تقلود. وبها اني كنت لا عنقد
 من تصرفاتهم هذه بدنه قائل لا محالة كنت
 عز وجهي لا سطح خبر وإذا بذات الذي كان
 يصيح برمي منة بين عيني. فأمل مبالغ غيبي في هذه
 الحالة! ثم أخذت تلك الجماعة الجهنمية تصيح مباحاً
 تقل على. وقد استنجت مسامير علي من معدهم
 انهم ينتظرون قدوم غلاب جند لسنمشوا توفيراً
 لأجرة الاطباء وتمن الادوية. وبعد هذا كله
 ارادوا صفعي على قفاي. لكنهم لم يجدوا مجاًلاً
 لوضع يديهم علي دون ان يذهبوا نصف الثزبت
 الذي على معطفي الاسود الذي ابيض سبب
 ذنوبي وآلامي عتركوني وشاني وبقيت صحفة

الشبح مللاً بالبصاق، فسرت الى داري وما اصبحت
 في دخولها الا بعد جهد النفس. ومن حسن طالعي
 ان الوقت كان صباحاً اذ لم اصطدم الا باثنين
 او ثلاثة من الغلمان الطيبين القلب دون شك
 لانهم اقتصروا على الهزّ بي ثم مضوا في حال
 سبيلهم. فدخلت الدار وحين راني الموريسكو اخذ
 يضعك ويأتي بحركات كمن يحاول البصق على
 فخفت من ان يفعله وقلت له: بالله عليك يا صاح!
 لست انا بالمسيح المجلود (٤)، ويا ليتني لم اقمه
 بها لانه نفحني برطلين من الضربات على كتفي

(6) Ecc-humo «هذا هو الرجل» هذه هي
 العبارة التي لفظها بيلاطوس البنطي امام اليهود
 بعد جلد المسيح. ويطلق الان هذا الاسم على
 صورة المسيح مجلوداً وكذلك من نوع المجاز على
 رجل انهمش الوجه. وقد اخطأ المؤلف هنا استعمال
 هذا التعبير لان صاحب القندق من اصل مسلم
 لا يهودي فلو كان يهودياً لكان من شان هذه
 الكلمة ان تثير غضبه

دلعبارات التي كانت بين يديه وبعد ان استلمت
 هذا الخاوان سمعت الى الطابق الاسلى شبه كسيح
 وقضبت برهة طويلة في البحث عن نقطة امسك
 بها الجبه والمعطف واخيرا نزعته عنى وعنقه على
 السطح وارتميت على الفراش وبعدئذ جاء سيدي
 وبما انه وجدني نائما وكان يجهر المتأدنة الكريهة
 التي اصابني فقد غضب واخذ يقفسي بسرعة الى
 حد انه لو زاد على ذلك قمصتين لاسفقت اسمع.
 فقامت معرندا مسكبا فانهرني سبلي وقد ازداد غضبه
 قائلا: اهكذا نخدمى يا نابلوس؟ ام انها حياة
 اخرى؟ اما انا فحين سمعت قوله «حياة اخرى»
 علمت انه الموت فقامت: اجل ان حضرتك نشجعني
 في عملي. انظر الى تلك الجبة وذلك المعطف اللذين
 قاما مقام فوف لاكر انوف مودس في عواف
 الاسبوع المقدس وما حدثت اريد في كتابات
 حتى اخذ الدمع ينحدر من عيني «من زنى
 نجبي صدق قولي ونحت عن الحبة وادب سرها
 روق لي وقال: افتح عينك يا نابلوس فان الامر

هنا اشديد وليس لك من بسهر عليك سوى نفسك،
واخرته بكل ما وقع لي فامرني بنزع ثيابي وبحملني
الى مرقدتي حيث كان يرقد اربعة خدام اخرجين
لرؤي لدار وهناك نمت. وعند الليل بعد ان
تناولت غداً وعشاءً طيبين وبفضل ما نمته شعرت
بنفسي قويا كما لو انه لم يقع لي شيء النسيئة
ولكن حين نبدأ الذكبات نالسقوط على المرء يظهر
انها لا نهاية لما فتسر منسلسلة بجر بعضها البعض
فقد اقبل بقية الخدم ليرقدوا وبعد ان حبوسني
ماتوني عن سب ملازمي الفرائش وعما اذا
كنت مريضا فقصصت عليهم قصتي. فأخذوا
رسمون على وجوههم اشارة الصليب كان نفوسهم
لا تضرني مني قائلين: ان شنبعة كهذه لا تقع
حيى بين اللوربين ١٧١ انفسهم! آه كم من الشر
في الناس! ويقول الآخر: ان عيد المدرسة هو
المسؤول لانه لا ينعج حدا بهذه الامور، اعرف الدين
فعلوا هذه الفعلة؟ فاجبته ان لا وشكرتهم على

١٧١ اتباع لور مؤسس المدعة البرتسطنطة

المعروف الذي كانت يلوح انهم سيقومون به
نحوي. وخلال هذه المسامرة فرغوا من نزع اثوابيه
ورقدوا بعد ان اطفأوا الضوء ووقدت انا بدوري
وفد حل لي اني نين والدي واخوتي.

وحوالي الساعة الثامنة عشرة اذا ما حدهم
بغبفي بمساحه قائلا: «آه انه لم يقتلوني! المصوص»
المصوص وكادت ندوي على سريره اصوات ووقع
مقرع فرغعت را-ي وقت: «ما هذا؟ وما تد
'يكسف حتى كانت منفرعة غلطة ذات جدل بهار
على صهري. هذاب نسكي وحاولت النهوض وضان
'الخريسكي ايضا انما المقارع بهار على وحدي. فدرأت
'اصبح قائلا: «لعدا الله» لكر المقارع كانت بهار
علي بسرعة الى حذاءه لم يق لي من وسيانة - ان
كنت ربيت ملاحف الى اسفل - سوى الاخفاء تحت
السريرة. وهذا ما فعلته وفي الحال حذ الملائكة
الاخرون لسنن كانوا قائمين يصحون انصاوس.
ان المقارع كذبت ثم قرأ ندوي خست ان واحد
عريبا عند ضربها حبيعا. وانما هذا اقتدر ذلك

الذي كان بجانبى الى سريري وبرز فوق الفراش
ثم عضى البراز. وبعد ان عاد الى سريره انقطع
دوى المقارع وقام الاربعة صائحين قائلين: -انها
لخدعة كبيرة ويجب ان لا تمضى هكذا، اما انا
فكنت لم ازل تحت السرير اشتكي ككلب شد
الباب على ذنبه. منكمشا كائسلوقي الاشج فتظاهر
الاخرون بانهم يغلقون الباب وحينئذ خرجت من
حت كنت وصعدت الى سريري مستفسرا الباقين
عما اذا كانوا قد اصابوا باذى. فاذا بالجميع يشكون
كمن اشرف على الموت.

فموت وتعطيت ورقدت ثانية. وبما اني
كنت انقلب في الفراش وانا نائم فقد وحدث
نفسي حين اسنفت وسخا من قدمي حتى وسط
جسمي ونهض الجميع وبقيت انا نائما معتذرا عن
اللباس بالمقارع التي فلنها ليلا. وما كنت لاتحرك
من الجانب الذي ارقد عليه، وكان الحجل مستوليا
على بينما كنت افكر فيما اذا كنت ياترى قد
اقبت تلك الفعلة الشنيعة من جراً الخوف وسط

ذلك الاضطراب دون ان اشعر بالامر ام حيث
 كنت قائما. وملخص القول اني كنت بريئا متهما
 دون ان اعرف كيف ادفع التهمة عن نفسي.
 ووصل الرفاق الى شاكين مداحين ليسألوني عن
 حالي فاجبتهم انها مئة للغاية لانني تلقيت مقارع
 كثيرة. وسألته عما يمكن ان يكون ذلك فقالوا
 لعمري انه لن يفلت من ايديا لاف الساحر
 سبعلنا به. واكتب لندع هذا ونر هل اصبت
 بجراح فاك نكسر الشكوى وما كادوا بقولون
 هذا حتى تقدموا لرفع الدحاف رغبة في فضحي. واتنا
 هذا دخل سيدي قائلا: امز المنك يا بلسوس ان
 اعجز عن حملك على اطاني؟ انها الساعة النامنة
 وانت لم تر في الفراش قم قبح الله وجهك، وقص
 عليه البقية القصة كلها مدافعة عني وطلبوا منه
 ان يتركني اذام. وكان احدهم يقول: واد
 كنت حضرتك لا تصدقه فليقم ونمسك بالدحاف
 لبرفعه لكي كنت عاضا عليه نسناني ثلثا بروا
 البرار. وحين رأوا ان لا نسجة من انباج ذالك

السبيل صالح احدهم قائلا: يا الله! يا لها من رائحة كريهة ورد ضون ديبغو الكلام نفسه لان ذلك كان حقا ثم اخذ الجميع يفتشون لعل في الغرفة مبوقة ويقولون انه لا يمكن القاء هنالك. وقال احدهم: ان هذا لحسن جدا لمن اراء الدرس وفتشوا الاسرة ورفعوا الغرض لبروا تحتيا ثم قالوا: لا شك ان تحت سرير بايلوس شيئا ما. فلنقله الى احد اسرتنا ولنغش نحتة اما انا وقد ساهدت ان الصفقة خاسرة وادهم لا حانة مكنشعون امري فتظاهرت بالصرع وقبضت على عيدان السرير مقلبا وجهي وحيث كانوا واقفين على الحقيقة بالغوا في نكايتي قائلين: يا للمسكين، قامسكني ضون ديبغو باصبعي الوسطى واحيرا تمكن الخمسة معا من رفعى. وحين رفعوا الملحفة كادت الدار تميد من قهقهائه اذ وقعت اصباره على شئ جديد لم يكن فرخا وحسب بل حمامة كبيرة (18)

(18) Palomin فرخ حمام. وتطلق مجازا على لطخة من الرزاز في اسفل القمصر وبهذا المعنى

وَكَارَ 'مَاصِرُونَ' بِتَضَاهِرُونَ بِاتِّسَافٍ عَلَى قَائِلِينَ.
 يَا لَهُ مَسْكِينٍ أَمَا أَنَا فَتَضَاهَرْتُ بِالْأَعْمَاءِ فَاسْتَارُوا
 عَلَى مَوْلَايَ بَانَ بِكَثْرٍ مِنْ جَذَبِ أَصْبَعِي الْوَسْطَى
 وَمِنْ كَثْرَةِ مَا جَذَبَ مَعْتَقِدًا أَنَّهُ يَنْفَعُنِي بِذَلِكَ
 فَكَ لِي نَلِكُ الْأَصْبَعِ. وَحَاوَلَ الْبَقِيَّةُ أَنْ يَنْيَلُونِي بِعُضْرِ
 الْمَقَارِعِ عَنِّي فَخَذَنِي وَيَقُولُونَ: لَا شَكَّ أَنَّ الْمَسْكِينِ
 قَدْ نَزَرَ الْأَنْ حَبْنِ أَصَابِهِ الصَّرْعِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
 كَانَ يَحْوُلُ إِذَاكَ فِي نَفْسِي مَا لُحْفَنِي مِنْ حَجَلٍ
 وَمِنْ فَكِّ أَصْبَعِي وَرَقْنِي دَانِي عَلَى وَسْكَ أَنْ
 أَضْرِبَ دَنَسَ الْوَضْءِ وَاحْشِرًا فَتَضَاهَرْتُ بِانْعُودَةِ إِلَى دَانِي
 خَوْفًا مِنْ أَنْ أَضْرِبَ إِذْ كَانَتْ الْأَمْرَاسُ قَدْ وَضَعَتْ
 فَوْقَ فَخْذِي. وَبِمَا أَنَّهُمْ كَانُوا بِتَصَرُّفُونَ عَنْ خَبَثِ
 مَبَارِعِهِمْ عَنِ السَّرَاعِي فِي الْمَضَاهِرِ نَالْعُودَةِ إِلَى دَانِي
 تَرَكُّوْا لِي فِي كُلِّ فَخْذٍ لَامَةً قَدَرِ أَصْبَعِينَ ثُمَّ
 تَرَكُونِي قَائِلِينَ: بِاللَّهِ يَا لَكَ مِنْ هَرِيَالٍ وَكُنْتَ
 أَبْكِي شَضْبَ فَيَقُولُونَ مَنَعْدِنَ. لَا دَاعِي تَنْبِكَا

اسْمِعِلْهُ الْمَوْلُفَ وَقَابِلْهَا بِكَلِمَةِ حَمَامَةِ Paloma دلالة
 عَلَى كِسْرَةِ اللَّطَخَاتِ وَكِبَرِهَا

لان ما نفعله انما هو من اجل صحتك لا عقوبة
على تبرزك ثم وضعوني في السرير بعد ان غسلوني
وذهبوا.

وحين خلوت بنفسي ما برحت أفكر في
كيف ان ما وقع لي في القلعة خلال يوم واحد
يربو على كل ما وقع لي عند كايبرا. وعند الظهر
ارتديت ملابسني ونظفت الجبة قدر طاقتي - اذ
غسلتها كما تغسل الخرق - وانتظرت سيدي الذي
ما كاد يصل حتى استفسرني عن حالتي. واكل
جميع من في الدار واكلت انا ايضا وان يكن
بلا شهية. ثم اجتمعنا لتحدث في الرواق وبعد ان
نهكم الخدم الآخرون علي فصيحوا اخبرا عن الحيلة
التي دبروها لي ليلا. فضحك الجميع وازددت اذا
خجلا وقلت في نفسي حذار حذار يا بابلوس،
وعزمت اذاك على اقتناج حياة جديدة. ومذاك
تصاحبنا وعشنا كل من كنا نسكن تلك الدار
كالاخوة. ولم يزعجني احد بعد ذلك اليوم لا في
المدرسة ولا في صحون الديار.

الفصل السادس

في فظائع الوصيفة وما اتيت به من كياسة

يقول المثل السائد وهو في القول مصيب
وافعل حسبما ترى. ولشدة ما قاملت في هذا المثل
عزمت على ان اكون ما كرا مع الماكرين وان
اكون امكرهم اذا امكن الامر. ولا ادري اذا كنت
حققت رغبتى لكنى اؤكد لحضرتك اني بذلت
جهدى في ذلك

واول ما فعلته اني حكمت بالاعدام على كل
الخنازير التي تدخل دارنا وعلى جميع ديوك ربة
الدار التي تجتاز من حوشها الى غرفتي. فحدث
ذات يوم ان دخل خنزيران من ازهى ما شاهدت
في حياتي وكنت اذاك مع بقية الخدم وسعتيما
ينخران فقلت لاحدهم. امض وانظر من ينخر في
دارنا، فعاد قائلاً انهما خنوصان فما سمعت هذا

حتى استولى على الغضب وبادرت اليهما قائلاً ان
 انجني لدار الغير لمنتهى المصير والقحة واعقت
 كلامي بطعنة خبج في صدر كل منهما بينما
 اوصدنا الساب ثم اجهزنا عليهما قفوا. ولئلا تسمع
 المضجة التي كانا يحدثانها جعلنا نرفع اصواتنا
 بالصباح كما لو كنا نغني. وهكذا قضينا نحبهما بين
 ابدبنا ثم اخرجنا الكرشين وجعلنا لدم وشيئا
 فملا فوق شي من العش في الحظيرة بحث انه
 حبر فل استاذنا كان كل شي منها وان لم
 بصر على عانة ما برام ما عدا الكرشين فاذنا
 ثم نفرغ من حولنا صميدا وما ذلك لعدم الاسراع
 د لنا والحق يقال قد تركنا بهما دوما لما خسر
 نصف ما كان في داخلهما

ثم اطلع ضون ديبغو والقهرمان على الامر
 وحقا علي حقا شديد اجر نفيه النازلين في الدار
 الذين كانوا لا ينالكون من الضحك ان يتصدوا
 للدفاع عني وكان ضون ديبغو يسألني عما اقوله
 فبما اذا انعمت وقبضت علي بد العدالة فاجبته

بأنى استنجد بالجوع الذي هو حرم الطلاب وأن
لم يجدني ذلك نفعا اقل: بما انهما دخلا الدار
نوراً يقرعا الباب كمن يدخل داره ظننت انهما
لما فضحك الجميع من الاعتذار وقال ضون ديفغو
. بالله عليك يا بابلوس! كيف انك تحسن التخلق
بثوب من حولك. فقد كان مما يستلفت النظر
مشاهدة مولاي على غاية ما من الهدوء والتقدير
ومشاهدتي انا على غاية من الشطارة ادكتنا على
خرفي نقيض احدا يبالغ في التفضيلة والاخر في
الرديلة.

اما الوصيعة فكانت لاتتمالك من الفرح لاني
كنت واياها يدا واحدة فاقترنا بيت المؤونة وكنت
انا وكيل اخرج يهوذا (1) ومنذئذ ورثت في هذه
المهنة شغفا بالسل مما اشتره. فاللحم لم يكن
يتبع بين يدي الوصيعة الترتيب المياني لانه كان
يسير دائما من اكثر الى اقل. ومنى امكنها ان

1 اشارة الى يهوذا الاسخريوطي الذي باع

السيد المسيح

نستبدل بالضأن لحم ماعز أو نعجة لم تحجم عن
ذلك. وإذا وضعت في المرق عظاما لم يدخله شيء
من الهبر. وهكذا كانت تعد قدرا من الطعام كانها
مسبولة من شدة الهزال. ومرة أو جمدت لا يمكن
أن تصنع منها سموط من خرر. وتمييزا للعبيدين
كانت تضيف إلى القدر لتسمنها بعض الطراف
من شحم الغنم. وكانت تقول لمولاي
بمحضري: الحق يقال أنه لا مثيل لبابلوس في
الخدمة! أو لم يكن شاطرا، فلتحتفظ به حضرتك
إذا يمكن غش الطرف عن شطارته مقابل اماتته
فإنه باتي بخير ما في السوق فائني على ذلك
مثلما قالت عني. وهكذا كانت الدار واقعة في
أحاييس خديعتنا. فإذا اشترينا زبنا أو صابونا أو
شحم خنزير بالجملة خبأنا النصف. وحين يظهر لنا
الأمر مناسبا نقول أنا أو الوصيفة: رويدا! رويدا
في النفقة. فوالحق إن وأظبتم على الإسراف فإن
خزينة الملك لا تكفيكم. وها قد نفذ الصابون أو
الزيت. احل! لقد نفذ سريعا. ولكن فلتامر حضرتك

بشراً كمية جديدة وانا الكفيلة بانها ستدوم اكثر
 بكثير من السابقة، اعطوا مالا لبابلوس، فيعطوني
 مالاً ونبيع حينئذ النصف الذي كان مخبئاً ونصف
 ما نشتره. وهكذا في كل شيء. واذا حصل اني
 اشترت مرة شيئاً من السوق بتمنه الحقيقي فكنا
 ننزع عن قصد انا والوصيفة فتقول هي غاضبة:
 لا نفل لي يا بابلوس ان هذه السلطة. نسألي
 درهمين، فاتباكي واصبح واذهب الى مولاي
 لا قدم له شكواي ملحا عليه في ان يرسل القهرمان
 الى السوق ليتأكد من الامر كي تسكت الوصيفة
 اني. كانت تصر على رأبها عن عمد. فذهبت
 القهرمان ويسأل عن الثمن وبعره. وبعد نصف
 اني استسلم رب البيت والقهرمان اللذين كانا
 يثنيان على تصرفاتي من جهة وعلى عيرة الوصيفة
 من جهة اخرى. فيقول لها ضون دنيغو مغتسلان
 بي: لو ان بابلوس يجري في ميدان الفضيلة كما
 يجري في ميدان الامانة! هذا هو الاخلاص بعينه
 فما تقولين فيه؟

وهكذا ظللنا نمصهما كالعلق. واني اراهن
على ان فرائضك نترتعد من عظم ما تلغت في
آخر السنة كمية اقال المنفق ولا شك انه كان كثيرا.
اكدته ثم بكن نمة موجب للارجاع لان الوصفة كانت
نعترف وتناول كل ثمانية ايام ومع هذا لم ار منها
قط رغبة في ارجاع شيء ولا نوبة على ما فعله بالرغم
عن قداسها كما احببت ان كانت تحمل في عنقها
سحرة في منهي الخبر بحيث ان حمل حزمة
من الحطب كان ارخس من حملها. وكانت تتدلى
منها ززم من الصور والصلبان والخرزات الكبيرة
وتقول انها تصلي جميعها من اجل المحسنين اليها
وتعد نيفا ومائة قديس شفعا لها. وفي الحقيقة
كانت بحاجة الى كل هذه المساعدات لتعوض عما
ترتكبه من الخطايا. وكانت ترقد في غرفة فوق
غرفة سدي وتردد من الصلوات اكثر مما يردده
الاعمى. فتبدأ بصلاة القاضي العادل. وتنتهي
بعلبك السلام اينها الملكة، وتردد هذه الصلوات
باللغة اللاتينية عن قصد متظاهرة بالبراة مما

يحملنا جميعا على ان نستلقي على ظهورنا من
شدة الضحك وكانت بارعة في امور اخرى
فتستهوى الارادات وتستميل الاذواق وذلك يوازي
ان يقال عنها انها قواعد لكنها كانت تعتذر
'مامي' قائلة ان هذا الفن جاءها عن سبيل الوراثة
كما تلقي ملك فرنسا نعمة شفا' دا' الخنازير (2)

وقد نظن حزينك 'تنا كنا دائما على اتفاق
ثم ولكن من يحجر 'نه اذا كان صدقان جشعان
تعاشر معا لا بد ان يحاول كل منهما غش 'لاخر؟
فحدث ان 'وصيفة كانت تربي دججا في حوش
'الدر وكانت لي رغبة كبيرة في اكل واحدة
منها وكان عندها نحو اثني عشر او ثلاثة عشر
ديكا كبيرا وذات يوم بينما كانت تطعمها اخذت
تناديها مرارا بيو بيو (3) فما كدت اسمعها

(2) كان من حملة الاساطير الرائجة اذ ذاك
ان ميوك فرنسا يتمتعون نعمة شفا' دا' شدة
'لعنق المسماة بالخنازير.

(3) نغمة تستعمل لمناداة الدجاج في 'سانا

تنادي بهذه الكلمات حتى اخذت اصيح قائلاً: يا الله
'بتها الوصيفة! يا لبتك قتلت شخصاً او سرقت
خزانة الملك - وكلاهما مما اقدر على السكوت
عنه - ولا فعلت ما فعلته وهو مما لا يجوز لي
ان اسكت عنه؟ يا لتعسي وتعسك! وحين رأتني
استعيد واستلبذ اضطربت بعض الشيء وقالت:
فعلت يا بابلوس؟ ان كنت نسحر بي فبالله ناله
لا قرء تتسنى.

- كيف اسحر؟ اف لهذا الامر! اذ لا يمكنني
ان اعلم بالقضية، حكمة النفس والحرمت
فصاحت قائلة: «محكمة المغتصب» واخذت
ترتجف واضاعت بقولها: «هل خائفت الايمان شيء»
فقلت: «هذا شر ما في القضية اياك وابر بتضات
المنيش بل اعترفي ببلاهتك وقولي انك فرجعت
عما فهمت به ولكن لا تنكري اللعنة والعصبة
ومر سدة خوفها قالت لي: ودا رجعت يا بابلوس
عما فهمت اعاقوني؟ قلت لا! وانما يصفحون
ذلك فقالت: اني ارجع عما قانه ولكن قل لي

انت الآن عن اي شيء لاني ورحمة موتاي لا
اعرف اني قلت شيئاً، قلت: امن الممكن الا
نشعري بأي شيء؟ فوالله لا ادري كيف اقوله لك
لان المعصية جسيمة الى حد انها تملأ قلبي جناً
الا نذكرين انك فاديت الافراح بقولك: «يو! ييو»
مع ان «يو» اسم لمبابساوان سواب الله ورؤساء
الكهنة؟ فابلعي الآن هذه المعصية»

فحدثت كذبت به فانت احل يا باموس
تدغمت منذ نعول الكبرياء مسيح لك لي ان
خجالت نذك الكلمات قد صدرت عن مكر و...
نية! اني ارجع عنها وبالله عليك هلا رجعت عن
طريق تعذرك عن السعاية بي لاني ان رأيت نفسي
امام محكمة التفتيش مت هلعا قلت: ان تقست
امام مذب مقدس انت لم تضمري مكرراً حين
تفطت تلك الكلمات فانه ممكن اذاك ان تحل
عن النكاته والخصه من اللازم ان تعطيني هذين
الديكبين اللذين كلا حين فاديهما باسم الاحبار
المقدس لاذهب بهما الى احد ضحاك محكمة التفتيش

فيحرقهما لانهما اصبحا محكومين بالهلاك. وبعد
كنه عليك ان تقسى ان لا يعوتي قط اثنى ارنكاب
هذه المعصية،

فقالت وقد تمالكها الفرح: اليكهما الان يا
بابلوس وعدا اقسم البمين، فقلت لا ريدها اطمئنانا
ان شر ما في الامر با سربادا - حيث كان هذا
اسمها - اني اعرض نفسي للخطر. اذ سبقوا لي
ضابط محكمة التفتيش اني انا 'المخطي' وقد يلحقني
منه حور بسب ذلك فاذهبي بهما انت لاني
وحقي خائف على نفسي، وحين سمعت مني هذا
الجواب قالت: «بالله عليك يا بابلوس: هلا اشفقت
على وذهبت بهما اد انت يصيبك ادنى ضرر،
فتركناها تكثر لي من التوسل واخيرا - وهذا ما
كنت اريده - صممت النية وحملت الديكين
واخبأتهما في غرفتي. ثم تظاهرت بالخروج وبعد
ذلك عدت قائلاً: لقد تم كل شيء على احسن مما
كنت اعتقد، فالضابط كان يريد ان يتبعني ليرى
المرأة لكنني خدعته خدعة واقنعتة، فاخذت تضمني

الى صدرها مكثرة من معانقتي واعطتني ديكاً آخر
 فذهبت به الى حيث تركت رفيقه ثم حتمت
 الثلاثة الى صانع المعجنات فطبخها لنا واكلتها مع
 بقية الخدم. وبلغ خبر الحيلة مسامع الوصيفة وضون
 دنيغو. وهلل لها جميع من في الدار تهليلاً كبيراً
 واخذ الحزن من الوصيفة كل مأخذ فكادت ان
 يقضي عليها. ومن شدة حنقها كانت من اقشاً
 سني في الشياً على قاب قوسين ولو لم تكرر
 محيرة هي 'نضا على' لسكوت لاقتت بالامر.

• • •

حين رأيت العلاقات قد ساءت ببني وبين
 الوصيفة بحثت عن وسائل جديدة للانبساط.
 فوقعت على ما كان الطلاب يسمونه عزوا او
 احلاساً. وفي هذا المضمار وقعت لي امور مضحكة.
 ففي احدى الليالي بينما كنت سائراً حواء
 الساعة التاسعة - وفي تلك الساعة نقل التحول -
 في الشارع الاكبر اذا بي اشاهد دكاناً لبيع
 الحلوى وفي داحله محمل من الزبيب فوق منضدة
 فاسرت في السبر ونقدمت وامسكته في سدوت

فعدا ورائي بائع الحلوى وبعض الخدام والجيران،
وبما اني كنت احمل القفة تيقنت انهم سيلحقون
بي رغما عن اني كنت اتقدمهم اذاك. فحين درت
حول احدى الزوايا جلست فوقها ولففت رجلي
بالمعطف سريعا واخذت اقول ورجلي في يدي:
«آه غفر الله له. لقد داسني، فسمعوا مني هذا
القول: وحين وصنوا الي اخذت اقول: «استحلفكم
بهذه السيدة الرفيعة، واضيف اليها العبارات المألوفة
الانبية: «في ساعة نحس وبسبب هوا» فاسد (14) اما
هم فاقبلوا: بزعمون وقالوا لني: «هل مر من
هنا رجل ما ايها الانبياء؟ فقلت: «نعم لقد تقدمكم
وقد داسني هنا حين مر. والحمد لله»
فما كادوا يسمعون جوابي حتى استأنفوا
العدو وابتعدوا وبقيت وحدي فحملت القفة الى

14 هذه عبارات كان التسولون يرددونها
في ذلك العهد وفجواها انهم اصيبوا بما اصيبوا
به من الكوارث في ساعة نحس وبسبب هوا
فاسد.

الدار وقصصت اللعبة التي لعبتها ولم يريـدوا
 تصديقي مما حملني على دعوتهم الى الليلة التالية
 ليروني استلب الصناديق فجاءوا وحين ابصروا
 ان الصناديق داخل الخانوت وانى لا اقوى على
 اخذها بيدي اعتبروا استيلائي عليها من رابع
 المستحيلات وخصوصا ان بائع الحلوى - بعد ان
 جرى امر ما جرى لصاحب الزبيب - كان يتفـقأ
 فجئت وحين اصبحت على اثنى عشرة خطوة من
 المكان قبضت السيف الذي كان عبارة عن حـصاة
 منقوشة بـسم الله ذي رأس ولا شفرة وجربت اعدو
 فدخلت الدكان قائلاً: دمت وعززت السيف ماء
 بائع الحلوى. فارتقى طالباً لأعزاف بينما كنس
 السيف في أحد الصناديق فأخرقه وبواضعة
 خرجته وذهبت به. فتعجبوا كثيراً حين شاهدوا
 الليلة وبقبضوا طوبلا من ان بائع الحلوى كان
 يصيب ان بفحصوه قائلاً انه دون ذلك قد حـبـس
 وان فاعل هذه اللعبة رحل وقع له معه خصماء من
 قبل. لكنه حين انفت - وكانت الصناديق التي

حول الصندوق الذي ذهبت به قد تبعثرت حين
اخرجته - ادرك الحيلة فاخذ يرسم اشارة الصليب
وبكرز رسما مرارا ومرارا. واعترف اني لم النذ
قط بشئ كهذا. وكان الرفاق يقولون اني اقدر
وحدي على تموين البيت من جني غزواتي وهذا
في لغة الشطار (٥) مرادف للسرقة.

وحيث كنت فتيا ورأيتهم يشنون على مهارتي
في النجاة من هذه المكاييد دفعني ذلك على مواصلتها
ففي كل يوم كنت ارد وحول ازرني بعض جرار
استلبتها من الراهبات طالبات منهن ان يسقينني
وقد حملهن ذلك على ان لا يعطين شيئا دون
ضمانة سابقة. ووعدت ضون ديبغو وجميع الرفاق
بان اسلب الحراس الليليين انفسهم سيوفهم ذات
ليلة. فعينت الليلة وذهبنا معا وانا في الطليعة.
فحين لحنا عن بعد رئيس الشرطة اسرعت

(٥) كان الشطار يضعون اسما خاصة لجميع
الاشياء مختلفة عن اسمائها المعروفة. فتألفت لديهم
لغة خاصة يتفاهمون ويتعارفون بها.

إليه مضطرباً بصحبة واحد من خدام الدار وصحت
فأثلاً: أرجال العدالة؟، فأجابوا بقولهم: نعم، قلت:
أعو صاحب الشرطة؟، قالوا: نعم، فركعت على
ركبتي وقلت: يا مولاي! بين يديك دوائي وانتقامي
وخير كبير للدرعية. وإذا كنت راغباً في القبض على
مجرم كبير فاسمح لي بأن اسمعك كلمينز على
حدة فعال إلى ناحية بينما كان الجلاوزة يجردون
سيوفهم وأثامورون يضعون أيديهم على العصي.
وفلت له: يا سيدى! لقد جئت من أشيلية متعباً
سنة رجائ من كبار المجرمين كلهم لصوص وقتلة
وبينهم واحد قتل أمي وأخي ليسرقهما وهذه الجريمة
ثابتة عليه، وهؤلاء اللصوص قدموا مرافقين حسبما
سمعه يقول: جاسوسة فرغسية، ومما سمعته منهم
يلوح لي أنها جاءت - وهنا خفضت صوتي - من
جانب انطونيو بيريث (6) فعند ما سمع صاحب

(6) كان هذا كاتمه أسرار الملك فيليب الثاني
تم غضب عليه فالتجأ إلى فرنسا سنة 1593 وفيها
توفي سنة 1611

الشرطة اسم انطونيو بيريث قفر قفزة في الهواء
وقال: «واين هم الان؟»، قلت: «في الفندق». واني
ارجو حضرتك ان لا تتأخر، وارواح امي واخوتي
ستكافئك بصلواتها. والمملك سيكافئك ايضا. قال:
الى الامام ولا تتأخر، اتبعوني كلكم! اعطوني ترسا
قلت بعد ان ملت به ناحية من جديد: «ياسيدي
ان عملت هذا فانت هناك لامحالة. وانما المناسب
هو ان يدخل الجميع واحدا واحدا بلا سيوف لان
الصوص في الغرف ومعهم مسدسات صغيرة، فاذا
رأوا اناسا يدخلون حاملين سيوفا، وهم يعرفون
انه لا يحملها سوى رجال العدالة اطلقوا مسدساتهم
فالأوفق حصل الخناجر ومبارزتهم من الورا» والقاء
القبض عليهم لاننا كثيرون فانطلت الحيلة على
صاحب الشرطة بسبب طمعه في الفاء القبض عليهم
واننا هذا بلغنا الى مقربة من الفندق. فنبهت
صاحب الشرطة فامر بنزع السيوف واخفائها تحت
الاعشاب في حقل يكاد يكون محاذيا للدار فوضعوها
وساروا في طريقهم. وكنت انا قد اشرت على

الخادم الذي رافقني يان يستولى على السيوف حالا حين يتركونها ويذهب بها الى الدار. ففعل حسبما اشرت عليه وحين دخل الجميع الفندق بقيت في المؤخرة وبما انهم دخلوا ممتزجين باناس آخرين كانوا داخلين ايضا تسلت الى زاوية الشارع وانصببت منها في زقاق ينتهي بالقرب من لابغوربا، عاديا كما لغزال.

'ما هم فدخلوا وانا يجدو' احدا' د'ني يكن عمالك سوى طلاب وطلاب - وكلاهما واحد - اخذوا يبحثون عني ولم يعثروا علي فدخلهم الريب من امرى وذهبوا الى حيث تركوا سيوفهم فلم يجدوها. ومن ذا الذي بقص ما قام به صاحب الشرطة تلك اللبلة من المراجعة'ت لدى العميد؟ فقد دخلا جميع المنازل وكشفا عن الاسرة وبلغنا دارنا اما انا فلكى لا يعرفونني كنت مرتعيا على السرير وقد لففت مندبلا حول رأسي وحملت شمعة ناحدي بدى وصلسا بالاخري ووقف الى جانبي احد الرفاق متزيا بزي كاهن يساعدني

لانتقبل الموت بينما كان الآخرون يصلون مرددين
 'الطلبات. فوصل العميد وصاحب الشرطة. وما أن
 رأوا ذلك المشهد حتى غادروا الغرفة دون أن
 يخطر ببالهم أنه من الممكن أن تكون أسلحة الحراس
 فيها. ولم ينقبوا البتة. وإنما اقتصر العميد على
 مقدمة صلاة قصيرة من التي تقدم عن الموتى لراحة
 نفسي، وسأل الحاضرين عما إذا كنت قد انقطعت
 عن الكلام. فأجابوه بالإيجاب، وخرجا ينلمظان
 غبضا لعدم وقوعهما على أي أثر والعميد يقسم أن
 يسلم المذنب متى عثر عليه إلى يد العدالة، وصاحب
 الشرطة يغلف الإيمان بأنه سيعلقه على أعواد
 السُنَّة ولو كان من أبناء الأشراف.

وبعد ذلك قمت من الفراش. وما زال الناس
 في القبة يتذكرون هذه الحيلة حتى اليوم (7)
 ولتلا أطيل الكلام اضرب صفحا عن وصف

(7) يقولو مؤلفو «محكمة الانتقام العادل» (ص
 162) من المحتمل أن تكون هذه الحادثة قد
 جرت حقيقة وأن يكون كيبيدو نفسه بطلها،

كيف اني انخذت سوق البلدة جيلا فكنت اغذي
مدخنة الدار طيلة السنة من صناديق الجزارين
والصاغة ومناضد البقالات - اذ لم انس قط ما
احسبت به من اهانة يوم انتخبت ملك الديوك، (8) -
كما اني اتجاوز عن الضريبة التي كنت اتقاضها
من مزارع الفول والكروم والبساتين المجاورة
فبهذه الامور وغيرها اخذ نجمي يعلو نجوم النخبة
في سماء الشطارة والحيلة. وكان الاسياد يحمونني
ويتشظونني وقلما يتركونني في خدمة غنوم ديبغو
الذي لم احد قط عن احترامه لما كان يكنه لي
من الحب الشديد.

18 انظر الفصل الثاني

الفصل السابع

في رحلة ضون ديفغو واستخباري بوفاة والدي
وما عزمت عليه في شؤوني للمستقبل

وفي هذه المدة تلقى ضون ديفغو من والده رسالة طيِّبا رسالة اخرى بعث بها الي احد اقاربي واسمه الونصو رامبلون . وهو رجل متصف بكل فضل ومعروف في شقوبية لعلاقته بالعدالة ، اذ ان جميع الاحكام التي نفذت هناك منذ اربع سنوات كان هو منفذها . اجل ! لقد كان جلادا ولكنه كان نورا في هذه المهنة وان رؤيته وهو يقوم بها كان لما يدفع المرء الى تمنى الموت شنقا وهذا نص الرسالة التي بعث بها الي من شقوبية الى القلعة :

رسالة

«ولدي بابلوس - اذ كان يدعوني ولده

لشدة حبه لي - ان المشاغل الكبيرة في هذه المدينة
 حيث استعملني صاحب الجلالة حالت دون قيامي
 بهذا الامر لانه ان كان في خدمة الملك من شر
 فهو كثرة العمل وان كان لنا عوض عن ذلك
 في النشرف بخدمته. وانه ليؤمني ان اوافيك باخبار
 غير سارة. فوالدك توفي منذ ثمانية ايام وقد ابدى
 عند وفاته من الشجاعة ما لم يبده حتى اليوم رجل
 آخر عند ملاقة الحمام. اقول هذا بلسان من رفعه
 على الاعواء. فقد امتضى الان دون ان بدخل
 رجله في الركاب وارتدى قميص الاعداء فكانت
 كانهما فصلت له. ولم يكن كل من رآه على هذه
 الهيئة مسبوقا بالصلبان الا ليعتقد بانه سائر الى
 المشنقة. وكان يقده بلا تصنع ملتصقا الى النوافذ
 محينا بأدب جميع من اهلوا اشغالهم ليشاهدوه.
 واصبح شاربيه مرتين. وكان بامر المرشدين بان
 ياخذوا قسطا من الراحة بينما يغدق الثناء على ما
 يفوهون به من كلام حسن وجميل. واخيرا بلغ
 المشنقة ووطأت احدي رجليه درجها. ولم يصعده

زاحفا ولا مماهلا. واد رأى احدى المراقبي منلفة
 التفت نحو مأمور العدالة وقال له ان من الواجب
 اصلاح تلك المرقاة لشخص آخر لان الجميع لا
 يملكون رباطة جأشه. وان قلبي لعاجر عن وصف
 الاستحسان الذي قوبلت به هذه الملاحظة من جانب
 الجميع. ثم جلس فوق وازاح الى الورا^١ تجعدات
 الملابس وتناول حبل المستنقة واداره حول عنقه
 وحين رأى الراهب يحاول ان يعظه التفت اليه
 قائلا: ايها الاب! اني اعتبر العظة قد القيت فهات
 شيئا من فعل الابدان ولنكمل سريعا لاني لا اود
 ان يقال اني مسهب وهكذا كان. واوصاني ان
 اضع له الكفة من جانب وان امسح لعابه. وهكذا
 فعلت فسقط دون ان تنقبض رحله 'وباني بحركة
 وبقي محنوبا بوقار لا يرجى وراءه وقار. فقطعنه
 'ربعا (1) وجعلت الطريق له لحداء الله بعلم كم

١. كان من جملة العادات القديمة ان تقطع
 حنة الحرم بعد قتله اربع قطع وتعرض كل منها
 في احدى الامكنة العسوية.

يعز علي ان اراه غنيمة باردة تنتهشها الغربان
لكن في ظني ان صانعي المعجنات في هذه الدنيا
سيعزونا بايوائهم اياه في المعجنات التي تصنع باربعة
دراهم الواحدة (2)

اما من حيث والدتك فانها وان نكز ما
زالنا قيد الحياة فالكلام عنها قد يكاد يكون شبيها
بما سبق: وذلك انه مودعة في سجن محكمة
المقبش في طائفة لانها كانت تنشر الموتى دون
ان تكون نامة. ويقال انها كانت تقبل كل ليلة
فحمة في العيز 'المقادة' انسانها. ووجد في داره
من السيقان والاذرع والرؤوس ما لا يوجد في
كنيسة عجائبية واقرا ما كانت تقوم به رفق

(2) اشارة الى اشاعة رائحة اذاك مقاهء ان
بعض صانعي المعجنات كانوا يستنبون الحوم
الموتى ويدخلونها في مصنوعاتهم وقد وردت هذه
الاشاعة في عدة مؤلفات من ذلك العبد كاتب
المبحث التاريخي انت فيها تاسد على . . .
من الصحة

البكارة واعادة العفاف الى العذارى. وية ال انها
اشتركت في الطواف الذي اقيم يوم عيد الثاوث
الاقديس لاربعمائة من المحكوم عليهم بالموت واني
أقالم لما يلحقنا سبب ذلك من العار جميعا وانا
بنوع خاص لاني بعد كل شئ من موظفي الملك
وهذه القريبى لما يشيننى.

يا بنى! ان والديك قد خلفا هنا مالا مخاباً
قد يقارب الاربعمائة دكة. وانما انا خالك وكر
ما لي سائر الى يدك حتماً فبوسعك اذا ان تاتي
الي وبما نعرفه من اللغة اللاتينية والخطابة يمكنك
ان تصبح بارعاً في فن الجلادة اجني حالا حفظك
الله الخ...

ليس بوسعي ان افكر اني اسفت جدا لهذا
العار الجديد لكنني فرحت نوعاً ما. اذ ان من
مفاعيل ثيوب الاباء انها تسلي الابناء في مصائبهم
مهما عظمت. فاسرعت راكضاً صوب ضون ديفغو
وكان يقرأ رسالة ابيه وفيها يامر به بالرجوع وبالا
يستصحبني معه لما كان قد بلغه من حالى وتصرفاتي

فاطلعني على ما امره به والده وقال لي انه يؤمله
 ان يتركسي وار كان يؤمني في الواقع اكثر منه
 واضاف قائلاً انه يدبر لي البقاء في خدمة صديق
 له من النبلاء فضحكت من كلامه وقلت: يا سدي
 لقد اصحت شخصا آخر كما ان افكاري قد تبدلت
 ايضا. وها انذا صرت انطلع الى العلى ويهيمسي
 ان ارداد مطوة ومقدرة. لاني ان كنت املك
 حسي السائة حبرا في الحلقة (١٣) ككل واحد عن
 شي فيها اني والدي (١٤)

وحبرته كيف فارق الحياة ابيا شريفا وكيف

١٣ كانت العادة ان يجتمع الناس للحديث
 فيؤلفون (حلقة) يجلس فيها كل على حجر. وكان
 لكل واحد من ذوي المكانة حجر خاص لا يجلس
 شايه احد فاصح القول عن واحد ان له حجرا
 خاصا في الحلقة مرادفا للقول نانه ذو مكانة
 واعتبار.

١٤ اني المؤلف هنا يتلاعب في كلمة حقيقة،
 فالمقصود بها فانها المنسقة

قطعوه رباعا وكيف كتب لي خالي الجلال عن هذا
وعن حبس والدتي. وقد امكنتني ان اكشف عن
نفسي امامه دون حياء لانه يعرفني حق المعرفة.
فتاسف كثيرا وسألني عما افكر ان اصنع فاعلمته
بما عازمت عليه. وفي اليوم الثاني توجه ضو
ديغو الى شقوبية والالم يحز نفسه وبقيت انا في
الدار مخفيا مصيبتى. واحرقت الرسالة لثلاث تضع
فتقع بين ايدي شخص آخر ويطلع على ما فيها.
واخذت اعد العدة للسفر الى شقوبية بقصد الاستيلاء
على اموالي والتعرف على اقاربي كي ابتعد عنهم.

الفصل الثامن

في الكلام عن الطريق بين القلعة وشقوبية

وما جرى لي فيه حتى ربخاس (1)

حيث بت تلك الملبلة

وحان يوم انفصالي عن خير حياة ارى نفسي
فضبتها. والله يعلم كم آمتى ترك هذا العدد الوافر
من الاصدقاء والمعجبين بي، فبعت سرا للسفر كـ
ما كنت املكه ومن ثمنه وبفض بعض الاكاذيب
جمعت ما يقرب من ستمائة بليون. ثم اكتربت
نغلة وغادرت المثوى الذي لم تكن لي ان اخرج
منه سوى ظلي. من لي بمخبر عن غم الاسكاف
لندنه عني ونتاجها الوصف على احربها وصباح
رب الدار على الكرا؟ فالواحد كان يقول: ...

1، ربخاس Rejas قرية من مقاطعة سوريا

كانت نفسي تحدثني بهذا دائماً ويقول الآخر :
اجل! عن حق كانوا يقولون لي انه مخادع،
وبالاختصار خرجت محفوقا بعطف البلدة واحترامها
الى حد اني تركت بغياي نصف اهلها ليكون
والنصف الآخر يضحكون ممن يكون.

وبينما كنت اقطع الطريق متاملا في هذه
الامور اذا بي التقى بعد مجاوزتي طوروتي (2)
رجل يمتطي حصانا يخاطب نفسه ويمشي مسرعا
وهو غارق في بحر احلامه بحيث لم يرني مع اني
كنت قد وصلت الى جانبه فادلته التحية وسألته
الى اين وبعد ان اجبنا كل على سؤال الآخر
اخذنا نبحث فيما اذا كان الترك مزمعين على
الزحف وفي قوات الملك واخذ يشرح لي كيف
يمكن احتلال الاراضي المقدسة وكيف ان الجزائر
واقعة بين ايدينا لا محالة ففهمت من خلال حديثه

(2) طوروتي Torote جدول ينبع في مقاطعة
وادي الحجارة ويصب في نهر هاربس بين القلعة
وطوربخون

انه مصاب بوسواس الإصلاح العمومي والحكومي (3) وواصلنا هذا الحديث المألوف بين الشطار متقلبين من موضوع الى آخر حتى انتهى بنا الى الكلام عن فلانديس، وهنا شرع صديقي بتنديد وبقول: ان هذه الولايات نكلفتني اكثر مما تكلف الملك حيث قد مرت علي اربع عشرة سنة وانا اظوف بمشروع من شأنه لو لم يكن مستحيلا ان يضع حدا فاصلا لكل هذه الاشاكل، فقالت: واي امر هو هذا الذي فيه ما نذر من نفع كبير لكنه مسحيل وغير ممكن التحقيق؟ فرد علي بقوله: من قال لك انه غير ممكن التحقيق؟ جاب انه يمكن تحقيقه. اما كونه مستحيلا فذاك امر آخر ولولا رغبتي في ان لا اولئك لاحبرتك به غير انه

(3) كانت الفوضى في الشؤون العمومية اذاك سببا لظهور عدد كبير من المؤلفات التي يرمي واصفوها الى اهداء الملك الى سبيل الإصلاح فكثرت من جهة اخرى التلميحات انهجائسة الى هؤلاء المصلحين.

سيعرف فيما بعد لاني مصمم الان على طبعه مع
جملة مشاريع اخرى بينها واحد اطلع فيه الملك
على وسيلة لاحتلال مدينة اوسطند (4) من بطريقين،
فرجوته ان يخبرني بهما. فاخرج من جيبه رقعة
رسم عليها حصن الاعداء وحصننا وقال: انك ترى
ان الصعوبة كلها ليست الا في هذه القطعة من
البحر، فانا آمر بامتصاص ما فيها من الماء بالاسفنج
فيزول ذلك الفاصل فما سمعت هذا الهذيان حتى
بدرت مني قهقهة عالية فنفرس في قائلا: «لم ادل
بهذا الامر لاحد الا ضحك كما ضحكت انت لانه
يبعث في الجميع فرحا كبيرا. قلت: «لا شك اني لم
اسمع قط امرا اكثر جدة وامتن اساسا من
هذا. ولكن فأت حضرتك انه متى امتصت المياه

(4) دامت محاصرة الجيوش الاسبانية تحت
قيادة المركيس دي سبينولا لهذه المدينة من شهر
يوليو (تموز) سنة 1601 الى سبتمبر (البلول) من
1604 وهذه الاشارة نسمح بنعيين تاريخ وضع هذا
الكتاب.

الموجودة حيث عاد البحر فدفن الى مكانها مياها
 اخرى، فقال: «لن يصنع البحر هذا لاني استدركت
 هذه القضية ايضا. فضلا عن ذلك لدى اختراع
 لاغرق في البحر اثني عشرة ولاية من تلك الناحية
 فلم اتجراً على رد كلامه خوفا من ان يقول
 ان لديه مشروعا لاسقاط السماء اذاني لم ارقط
 في حياتي حمقا يعادله. وقال لي انت ما فعله
 خوانيلو (5) ليس شيئا وانما بجأول هو لان رفع
 كل مياه نهر تاجه في طليطة بطريقة اخرى
 اكبر سهولة وما سالته عن هذه الطريقة قال انما
 هي من باب السحر والتعزيم. فتعامل رعاك الله اذا
 كان احد في العالم قد سمع شيئا آخر ككذا.
 واحيرا قال لي: واني لا افكر في تنفيذ هذا
 المشروع اذا لم يعطني الملك او لارسة مبراد وديك

5 خوانيلو Juanelo خوانيلو طوريانو - اصله
 من كريمونا وقد تمكن من رفع مياه نهر تاجه الى
 اعلى نقطة في طليطة باسلوب استنبطه وظل قائما
 نحو ثلث قرن على عهد فيليب الثاني

من حتى الصريح لان لدي حكماً قديماً ينبت
انتمائي الى طبقة الاشراف . وبين هذه المحادثات
والمباحثات بلغنا بلدة طورخون (١٦) حيث بقي
رفيقي اذ اقبل اليها لمشاهدة احد اقاربه..

اما انا فواصلت السبر وقد كدت اموت
ضحكا من المشاريع الخيالية التي كان رفيقي يقضي
فيها وقته. واذا بي لحسن الحظ اشاهد عن بعد بغلة
خليقة والى جانبها رجل واقف بنظر في كتاب
ثم يرسم خطوطا يقيسها ببركار ثم يدور ويقفز من
جهة الى اخرى وبين فترة وفترة يضع اصبعاً فوق
الاخر وبعود الى القفز آتياً بحركات لا تعد ولا
تحصى. فحسبته لاول وهلة ساحراً - اذ وقفت
بعيدا انامله - وكدت لا اجراً على التقدم واخيراً
عزمت على ذلك وحين وصلت اليه احس

(١٦) طورخون Torrejón اسم بلدة من مقاطعة
مدريد والاسم نفسه مستعمل لعدة قرى اسبانية
لكنها تتميز بعضها عن بعض باسم آخر تضاف
اليه هذه اللفظة التي معناها البرج الصغير

بي فاعلق الكتاب وحين وضع رجله في الركاب
 زلت به فسقط. فرفعته وقال لي لم احسن احتساب
 الحد الاوسط لاصنع الدائرة عند الركوب فلم
 افهم ما قاله لي. ثم خفت مما كان لان النساء
 لم يلدن مولودا اكثر حمقا منه. وسألني اذا
 كنت اسلك في اتجاهي الى مدريد خطا مستقيما
 او منكسرا فاجبته ان منكسرا دون ان افهم
 كلامه. ثم سألتني عن السيف الذي كنت احمله
 مدلى فوق حنبي فقنت انه لي. وبعد ان تأمله قال.
 من 'نوح' ن يكون جانبا المقبض اطول مما
 هم عليه الان لانقا الجراح التي يحدثها في الوسط تكرر
 الطعنات. واخذ يرسل القول مل شذقيه حتى اضطرني
 الى استفساره عن اية حرفة يحترفها فقال انه
 فارس حقوقي وان فروسبته نشت في اي مكان
 كان. قلت وقد هزني الضحك: الحق يقال اني
 خنتك لأول وهلة ساحرا حين رأيتك في هذه البرية
 ترسم تلك الدوائر، قال: انما خطرت لي حيلة
 في الدائرة الرابعة مع الانتقال من نقطة الى

اخرى لعقل سيف الخصم وقتله دون ان ينبث
 بينت شقة وكنت اقوم حينئذ بنقل هذا الحاطر
 الى عبارات حسابية. فقلت: وهل في هذا حساب؟
 قال: لا حساب فحسب بل لاهوت وفلسفة
 وموسيقى وطب ايضا قلت: أما الاخير لا اشك
 فيه لان هذا الفن انما يعنى بالقل فقال: تهزأ
 فانك ستعلم الان كيف ستعمل الفرجون ضد
 السيف لتوسيع الضربات الى حد انها تضم الدورات
 الحلزونية التي يرسلها السيف قلت: اني لا افهم
 شيئا البتة من كل ما تقوله لى. قال: ان هذه
 الامور قد ورنث كلها في الكتاب المسمى 'تجاد
 السيف' وهو كتاب حسن جميع من الاعاجيب
 الشيء الكثير وتصدق قولى ساريك حين فصل
 انى نلدة ريخاس حث نيت هذه الليلة ما افعله
 من الغرائب بواسطة سفودين ولا يكن في نفسك
 رعب في ان كل من قرأ هذا الكتاب يمكنه ان
 يقتل كل من اراد، قلت: أما ان يكون هذا
 الكتاب يعلم الناس شر وسائل الفساد او ان

يكون مؤلفه احد الدكاترة ، فقال: كيف نقول
احد الدكاترة فحسب؟ اجل ان مؤلفه عالم كبير
واكاد اقول انه اكثر من ذلك . (7)

وفي هذا الحديث وصلنا الى بلدة رنخاس
وجلسنا في احد الفنادق وحيث نزلنا نبهني
صوت مرتفع ان اؤلف ساقى راوثة منفرجة ثم
اقف مستقيما على الارض بعد ضمهما ليصبحا
منواربين فابصرني صاحب الفندق ضاحكا فصحك
ندوره وسألني اذا كان ذلك القائد هنديا (8) ما
سمعه من كلامه فظننت عندئذ اني فقدت رشدي

17 كل هذا المقطع تهكم لاذع على الكاتب
ضوز لويس بانشيكو دي ناربايث مؤلف كتاب
عضية السف وقد اشرنا مفصلا في كتابنا كبيدو
امير الظرافة الى الخصومة منه وبين كبيدو وما
جرت اليه.

18 لعلها اشارة الى ناتشيكو ناربايث لسكاه
مدة طويلة في الجزائر الحوادث وكان مكانها
الاصليون يطلق عليهم كسكان اميركا اسم الهنود.

ثم وصل الى صاحب الفندق وقال له : «اعطني
ايها السيد سفودين لزأويتين او ثلاث وانني
مرجعهما لك بعد هنيئة» فصاح الفندق متعجبا
يا يسوع! أعطني هذه الزوايا فان زوجتي
تتويعها وان كانت طيورا لم اسمع اسمها قط.
فقال : . انها ليست طيورا ، واطاف بقوله ملتفتا
الي . تأمل رعاك الله ما هو عدم المعرفة ، ثم عاد
الى الفندق وقال : «اعطني السفودين فانما احتاجهما
للمسابقة وربما كان ما ترائي اصنعه اليوم
خيرا لك من كل ما ربحته طول عمرك . ولكن
السفايد كانت مشغولة فاستعصنا عنها بمغرتين
وكان مشهد لم تر في العالم مدعاة الى الضحك
مثيله وكان صاحبنا يقفز قفزة ويقول : بهذا
الدور ابلغ درجات الوجه . الان اغتنم هذه الحركة
التي بدرت عن قنوان لاسدد الضربة القاضية ،
هذه يجب ان تكون طعنة وتلك ضربة . وكان
يدور حولي بمغرفته تفصلني عنه مسافة واسعة وبما
اني لم اكن لاثبت في مكان واحد كانت

مسايفته اشبه ما تكون بمطاردة قدر تفور فوق النار. وقال لى: وفي النهاية هذا هو الصالح لانك السكرات التى يعلمها هؤلاء الماكرون من اساتذة المسايقة الذين لا يحبون سوى تعاطى المدام.

وما كاد يفرغ من كلامه هذا حتى خرج من احدى الغرف خلاسي مكشرا عن انيابه برتدى قبعة ادخلت في مظلة وسربالا من جلد الجاموس تحت كساء قصير واسع ذات كمين وقد هلمي شرطا معوج الساقين كائنسر الامبراطورى معقوف الثلحية، ذو شاربيه بن عريضين يقيان الوجه، وقد تخلصر بخنجر اكثر ثقبونا من شبكة (9) ثم قال وهو يحدد في الارض: انى قد امتحنت وبيلدي لاجازة فبالشمس النى تسخن الحبز اى لمقطع ارباكل من حدثته نفسه بامتهان من يحترف

(9) يظهر انها اشارة الى فرنسيسكو هرناندث المولاتو (اى الخلاسي) الذى كان من ابرء من نقل السيف في تصره وقد انتقده بانشيكو شي ناربايث في احد كتبه.

الفروسية، اما انا وقد رأيت الموقف حرجا فتوسطت
 بينهما قائلا للخلاصي انه لم يوجه الحديث ائيه.
 ولذا ليس له من سبيل الى الغضب. فتابع قائلا.
 'جرد حسامك ان كنت تحمله ولتراية هي الفروسية
 الحقّة. ودعك من المغارف اما رقيقي المسكين
 ففتح الكتاب وقال بصوت مرتفع: «هذا الكتاب
 يقوله. وهو مطبوع برخصة من الملك. وانا أويد
 صحة ما يقوله بمغرفة او بدون مغرفة» هنا وفي اي
 مكان آخر. والافلنقس ذلك». وخرج الفرجار واخذ
 يقول: «هذه الزاوية منفرجة». وحينئذ جرد الآخر
 خنجره وقال: انا لا ادري من هو انغولو ومن
 هو «اوبتوسو» (10). ولم اسمع قط هذين الاسمين
 ولكني بهذا الذي في يدي ساقطعك ارباء، وهجم
 على ذلك المسكين الذي بدأ يفر من امامه قافزا
 داخل الدار وهو يقول: لست تقدر على جرحي لاني
 بلغت درجات وجهك فاصلحنا بينهما انا والفندقى

(10) «انغولو» معناها: الزاوية. و «اوبتوسو»

واشخاص اخرون كانوا هنالك وان كنت اكاد
لا اقوى على النجرك من شدة الضحك.

ثم ادخلوا الرجل الى غرفته وانا معه. فتعشينا
ورقد جميع من كان في الدار وعلى الساعة
النامنة صباحا نهض بلباس النوم واحد يدور في
الغرفة تحت جناح الظلام ويقفز ويردد الف حماقة
بلغة حسابية ثم ايقظني انا ولم يكنف بهذا بل
هبط الى حيث الفندق نائم وطلب منه مشعلا قائلا
له انه قد اكتشف محلا نابيا للطعنة المسددة
مستقبة نحو القوس من وسط وتره اما الفندق
فاخذ يستعيد بالشيطان لايقاظه اياه في تلك الساعة
ولسدة ما بالغ في ازعاجه رماء بالحرق. فاذاك تركه
وصعد الى غرفتنا وقال لي ان احببت ان تنهض
فانك ترى الحيلة التي اكتشفتها لصدا الانراك
وخناجرهم العريضة (11) واطاف قائلا انه سيعرض
اكتشافه هذا على الملك لانه في صالح النصارى. وهنا

11) في كتاب باتشيكو دي ناريناث درس
في الدفاع ضد الانراك وخناجرهم العريضة

اصبح الصبح فارتدينا ملابسنا جميعا ودفعنا اجرة
الفندق ثم وقفوا بين صاحبي والخلاسي الذي ابتعد
بعدئذ وهو يقول ان ما يدعيه رفيقي حسن ولكنه
ينتج محائيز اكثر منه فرسانا لان الاكثرية على
الاقل لا يفهمونه.

الفصل التاسع

في ما وقع لي مع شاعر حتى وحوالي الى مدربد

---o---

سلكت طريق مدريد اما صاحبي فودعني
نسلك طريقا آخر وبعد ان كان قد ابتعد عا
على اعقابه مسرعا واخذ يناديني بصوت عال اذ
كنا في 'البرية حيث لا يسمعون احد وقال لي وفيه
في ادني: بحياتك الا بحث بشئ من هذه الاسرار
الخطيرة التي اطلعتك عليها في علم الغروسية بل
احتفظ بها لنفسك فانك لبيب كيس فوعده بذلك
ثم غادرني من جديد وشرعت اضحك من السر
الظريف.

وهكذا قطعت ما يربو على فرسخ دون ان
اصادف احدا وكنت اسير مفكرا في عظم ما يعترض
سبيلي الى التخلق بالشرف والفضيلة من عقبات
كثيرة اذ لا بد لي من سد ما تركه والداي من نقص

في هذا الميدان ثم الحصول على مقدار كبير بحيث
تستحيل معرفتي من خلال ذلك النقص. واذ بدت
لي هذه الافكار شريفة اخذت اشكر نفسي عليها
واقول في باطنى: «لابد ان اشكر انا الذي
ليس لي من آخذ الفضيلة عنه اكثر ممن ورثها
عن اجداده وبينما كنت غارقا في بحر هذه
التأملات التقيت بشماس عجوز راكب بغلة في
طريقه الى مدريد. قدار بيننا الحديث ثم سأله
عن البلدة التي قدمت منها فقلت انها القلعة قال:
لعمرة الله على هؤلاء الاشرار اذ ليس بينهم رجل
عقل. فسألته كيف ولماذا يقول هذا القول عن بلدة
كالقلعة حوت ما حوته من كبار العلماء فاجابنى وهو
يحترق غيظا: «واي علماء؟ اعلم رعائك الله انى
بالرغم عن مرور اربعة عشر عاما علي وانا انظم
في قرية. ماخالا هوندا. (1) - حيث كنت وافها -
الاناشيد لحemis الجسد وعيد الميلاد. ولم ير هؤلاء

(1) ماخالا هوندا Majalahonda - قرية من

مقاطعة مدريد وتسمى اليوم ماخاداهوندا

الذين تسميهم علماء ان يمنحوني جائزة على بعض
افاشيد قدمتها للمباراة وها اني سائلوها على مسامحتك
انري اجحافهم بحقي في حكمهم. وبدأ بقرأ مايلي.
ايها الرعاية! اليس من النكت اللطيفة ان تكون
اليوم عيد قدس جسد المسيح؟

الا انه يوم حبور بتواضع فيه الحمل الظاهر
الى حد انه يزور بطوننا وفي وسط هذه الافراس
بدخل الافواه البشرية

الا فانفجروا في الابواق الضوينة لان سعادتنا
به ايها الرعاية

اليس من النكت اللطيفة الخ...

ثم قال لي: ما عساه ان يقول افضل من
هذا متدع النكت نفسه؟ فامل ما تنضميه من
المعاني كلمة الرعاية، فقد كلفني اكثر من
شهر درسا فلم انمالك من الضحك اندي كان
يتفجر من عيني وانفي وقهقهت قائلا: انه نشي
عجيب! وانما لي عليك اعتراض وهو انك تقول
عيد قدس جسد المسيح، بينما ان ما يسمى

وجسد المسيح، ليس قديسا من جملة القديسين
 بل اسم اليوم الذي انشئ فيه سر القربان المقدس،
 فاجابني هارثا: « ما شاء الله! اني اريكه في التقويم
 حيث تجده مطوبا في عداد القديسين. واني
 اراهنك على صحة ما اقول. فلم اقو على حاجته
 لاني كنت اكاد اهلك ضحكا لما رايت من جهله
 الفاضح. بل قلت ان اياته جديدة بكل مكافأة
 واني لم اقرأ قط شيئا الطف واعتدب منها. فقال:
 « كيف لا؟ فاسمع اذا لاقرأ عليك جزءا من
 كتيب وضعته اكراما للاحدى عشر الف عذرا
 حيث اخصر كل واحدة منهن بخمسين منظومة
 من ذوات الثمانية ابيات واذك لترى عجبا
 فرحونه تجنبنا لاستماع هذا القدر من ملايين
 الثمانيات الا يردد على مسامعي شيئا من الالهيات
 وهكذا اخذ يتلو علي مهزلة اكثر مراحل من
 طريق القدس. وكان يقول لي: لقد وضعتها
 في يومين، وانما هذه هي المسودة. وكان ما بين
 يديه بربو على خمس ملازم اما عنوانها فهو «سفينة

نوح ، وتدور حوادثها بين الديوك والفيران
والخيل والتعالب والخنزير الوحشية كما في حكايات
جحي. فاثبتت على حق ابتكارها ونظمها فاجابني
قائلا: «ان ذلك من ابتكاري» ولم يسبقني اليه
احد وانما الجدة فوق كل شي. وان تمكنت من
حملها الى المسرح فستلجج الالسنه كلها بذكر
هذا الحدث ، قلت: امن الممكن تمثيلها ما دام
انه لا بد من مشاركة الحيوانات فيها وهذه لا
ننطق؟ قال: اجل، انما هذه هي العقبة الكأداء
ولولاها لما كان لهذه الرواية من متير ولكنني
فكرت بحملها الى المسرح مسنملا فيها البيغاوات
والشعاريير والعقاعة التي تنطق. وفي المشاهد
الهزلية التي تمتل في الفترات المتخللة بين فصل
وآخر استعمل القردة،

قلت: «لقد صدقت في منظومة رفيعة جدا»
قال: «انما نظمت ما هو ارفع منها احتراما لامرأة
اخبها فيها هي تسعمائة منظومة ومنظومة من
الرباعيات - فكان كأنه يحصى الدراهم ثمانر -

نظمتها متغزلاً بساقي مولاتي، فسألته هل رآها
 فاجاب ان لا لارتباطه بحرمة الكهنوت ولكن
 الافكار التي ابتدعتها قد احيلت نبوءات وانا
 اعترف حقاً اني بالرغم عن طربي باستماعه خفت
 من مقدار كهذا من الشعر الردي فحولت الحديث
 الى محار اخرى وكنت اذا قلت له اني ارى
 ازانب قال: سأبدأ اذا بقصيدة اشبههما فيها بهذا
 الحيوان، واخذ يتلوها. فاقول لاهيه: هل ترى
 تلك النجمة التي تشاهد نهارة، فيقول: حين افرغ من
 هذه ساقراً عليك القصيدة الثلاثين حيث اسميها
 نجمة فكأنك تعرف مرامي في هذه القصائد، وحين
 رأيت اني لا افدر ان اسمي حاجة لم ينظم حولها
 جهالة ما حزنت الى حد اني احسست بغبطة واسعة
 حين اطللنا على مدريد مؤملاً ان يسكت حياً
 وخجلاً. وانما جرى الامر بالعكس اذ اخذ يرفع
 صوته حين دخلنا الشارع ليظهر عن نفسه. فرجوته
 ان يعدل عن ذلك مبيناً له انه اذا اشم الصغار
 منه رائحة الشعراء فلن تبقى واحدة من بقايا

البقول الا رمينا بها الرمي الشعرا بالحق في مرسوم
 وضعه لهم واحد كان من جملتهم ثم عاد الى
 الصراط القويم. فسألني جزعا ان اقرأ له ان كان
 لدى منه نسخة. فوعده بان اقوم بذلك في النزل.
 وقصدنا نزلا كان من عاداته ان يحط رحاله فيه
 فوجدنا على الباب اكثر من اثني عشر اعمى.
 فبعضهم عرفه من رائحته والبعض الآخر من صوته
 وهللوا مرحبين به فعانقهم جميعا ثم اخذ فريق
 منهم نسائه حمالة للقاضي العادل شعيرة حكومية
 يحمل على المقطب وسأله فريق آخر حمالة من
 النوع ذاته من اجل نفوس الموتى واخذوا يسهبون
 في الكلام حول غذا الموضوع وتناول رفيقي ثمانية
 بلايين عربونا من كل واحد منهم. وصر فيه ثم قال لي:
 لا بد ان يدر على هؤلاء العميان اكثر من ثلاثمائة
 بليون فاسمح لي الان ان اخنلي قليلا لانظم بعضها.
 وحين نفرغ من تناول الغذاء نسمع قراءة المرسوم،
 بالحياة البائسة! اذ ليس ما يعادل بؤسا
 حياة المجانين الذين يكسبون قوتهم بجنونهم.

الفصل العاشر

في ما فعلته في مدريد وما جرى لي حتى وصلت
الى ثرنديا (1) حيث بت ليلتي

اخلى الوافه قليلا ليعد للعميان خرافات
وترهات وخلال هذا حانت ساعة الغداء فتغدينا
ثم طلبوا ان تقرأ البراءة، وحيث لم يكن لدى
شغل آخر اخرجتها وقرأتها. وها اني انقلها هنا لما
فيها من قارص الكلام وصالحه لما اريد التأنيب
عليه فيها وهذا نصها:
براءة بشأن الشعراء الخالين من كل معنى
وفائدة وجوهر.

(1) ثرنديا Cercedilla بلدة من مقاطعة مدريد
تقع على مقربة من الاسكوريال وهي من اماكن
الاصطياف.

وما كدت اقرأ هذه الترجمة حتى صعد
 الوافه فهمة كبيرة وقال : علام لم تصرح سابقا؟
 فوالله لقد ظننتك في بادى الامر تعينى بكلامك
 واذا به موجه الى الشعراء الخالين من فائدة وجوهر
 فحسب، فاعجبني قوله هذا كما لو انه من الشعراء
 المجيدين الذين لا تحصى لهم فلة. وفركت المقدمة
 وشرعت بقراءة الفصل الاول وقد جا فيه ما ياتي:
 حيث ان افراد هذا النوع من الجواهر المعروفة
 بالشعر هم اقاربنا ونجمعنا وايامهم النصرانية وان
 كانوا فيها من الواهين: وحيث انهم يقضون
 ضيلة سنتهم في عبادة الحواجب والاسنان والشرط
 الحريرية والاحفاف وارتكاب معاصي غلط واكبر
 - ثامر ان يجمع الشعراء العموميون والفاجرون
 خلال اسبوع الاله كما تجمع النساء الباغيات
 ويرشدوا للرجوع عن غواينهم وان يسعى لردهم
 الى حظيرة الايمان. واننا نعين لهذه العاية دورا
 لايوا التائين.

وايضا وبالنظر الى القبط الشديد السائد على

ما ينتجه شعرا" شمس من منظومات حارة لا ترى
الليل ابدا - وهي كالزبيب ذبولا لكثرة ما
يستعملونه فيها من شمس وكواكب - نفرض
عليهم الصمت المطلق في شؤون السما" (2) ونعين
اشهر محرمة على ربات الشعر كما توجد اشهر
محرمة للمصيد والقنص لكى لا تنفذ من جرا" هذه
السرعة التى ينفقونها بها.

وايضا حيث ان هذه الطائفة الجينمية من
الرجال المحكوم عليهم بالتصور الدائم (3) الذين
جعلوا دينهم تشظية الالفاظ وقلب المعاني قد
اعدوا النساء من مرضهم هذا فعلى اننا نعتبر
انفسنا متأورين بهذه الصفقة من الشر الذى حملنا
اباه في يد" العالم واننا حبا بالفقرا" المحتاجين
نامر بان تحرق قصائد الشعرا" كما تحرق الاهداب

(2) يقصد بها الكواكب

(3) النصور - الشعرا" التصوريون هم الذين
غالوا في اتباع مدرسة غونغورا وكان كيبيدو من
الاعدائهم

القديمة ليستخرج منها الذهب والفضة والدرر.
لأنهم في معظم اشعارهم يجعلون محبوباتهم من
كل انواع المعادن.

وهنا لم يقو الوافه على تحمل هذا القول
فانصب واقفا وقال: لا بل الاولى ان نجرد من
اموالنا كفاك قراءة فاني عازم على رفع دعوى
بعذا الشأن لا بالالف والخمسمائة (1). بل ان قاضي
انا ثلا امس ثوبي الاكليريكي وكرامتي بضرر.
وسانفق كل ما لدي في ملاحقة هذه الدعوى
والا لس من الحيف ان اتحمل انا هذه الالهانة
لاني اكليريكي؟ واني سائبت ان قصائد الشاعر
الاكليريكي لا تخضع لهذه البراءة واريد بعد ذلك
ان ابين الامر امام القضاء وعند ما سمعت منه

(1) الف والخمسمائة استئناف نهائي كان
النظر فيه لاحدى غرف مجلس قشانة. فالدعاوي
التي لم تنجح في بقية درحات المحاكم كانت تستأنف
اليها نهائيا. بعد ان يودع المستأنف (1.7.11) دويلا،
ومن هنا بقي هذا الاسم.

هذا القول ساورتنى الرغبة في الضحك ولكنى
منعا للتوقف - اذ كان الوقت قد فات - قلت
له: يا مولاي! ان هذه البراءة انما قد وضعت من
قبيل المداعبة ولا جبر فيها ولا ارغام لانها خالية
من كل سلطة، فقال وهو يضرب نيا لى من
خاطي! ولقد كان الاجدر بك ان تنبهني الى
ذلك اولا فتوفر علي اكبر هم. اتعرف اي وقع
لكلام كهذا في نفس من لديه ثمانمائة الف منظومة
نقدا؟ تابع القراءة والله يسامحك على ما احدثته في
قلبي من ذعر وهلع، فتابعت قائلا:

وايضا حيث انهم بعد ان تخلوا عن اسلاميتهم
- وان كانوا ما برحوا يحفظون ببعض الآثار -
احترفوا حرفة الرعاة فترى الماشية هزيلة لشربها
دموعهم وتشيطها بنفوسهم الملهبة كما ان موسيقاهم
نسحر البايها فلا تكلأ - نامر ان يتركوا هذه
الحرفة. وان تعين مناسك يلتجئ اليها نحو العزلة
منهم اما الآخرون منهم فليصرفوا الى سياسة الخيل

لأنها حرفة تتيح لمحترفيها الفرح والفرصة لصب
قوارص لسانه.

فصاح الواجه قائلا: لا بد أن يكون واضح
هذه البراءة يهوديا متخشا لواطذا قرون. ولو
علمت من هو لهجوته هجا مرا يرنح نحتة الى
الادد وما قولكم في ان فنى أمرد منلي يحب عليه
ان بنعزل في منسك. او ان رجلا واقفا يحب ان
ينصرف الى سياسة البعالي مهلا أيها السيد ان
هذه الاهانات لا تطاق فقلت: «تقد قلت لك سابقا
انها مداعبات وكمداعبات يجب ان تؤخذ
واصليت القراءة:

وأیضا منعنا للنسركات الكسرى سم ان لا
مغل فصائد من اراعون الى قشاة ولا من ابعانيا
الى اسبانيا. ويعاقب الشاعر الذي يرتكب هذه المخالفة
باجباره على تحسين زيه وان تكررت المخالفة يجبر
على ان يكون نظيفا طيلة ساعة فوقعت هذه
النكته من نفسه موقعا حسنا لانه كان يرتدي
جبة خلقا وعليها من الوحل ما يكفي لدفنه

بفركها فوقه اما الشملة فكانت وحدها كافية
لتسميد فدائين من الارض

وهكذا بين هزل وجد قلت له ان البراة
تأمر ايضا بان تدرج بين اليائسين الذين يشنقون
نفوسهم او يرتمون من على النساء اللواتي يعشقن
رجالا ليسوا سوى شعرا. وان يحرم من مثلهم من
الدفن الدينى. واننا بالنظر الى وفرة الغلة التى
حصلت من رباعبات واغانى وقصائد من ذوات
الاربعة عشر بيتا خلال هذه السنوات الخصبة تأمر
بان تحال الملفات التى تنجو من ايدي التبالين
الى المراحىض دون مراجعة، وختاماً وصلت للفصل
الاخير وقد جاء فيه ما يلى:

ولكن بعد الاطلاع بعين الرحمة على ان
في المجتمع البشرى ثلاثة انواع من الناس هم من
البؤس بحيث لا يمكنهم ان يعيشوا بدون هؤلاء
الشعرا نغنى بهم الممثلين الهزليين والعميان
والوافهين، فنأمر بان يسمح بوجود بعض المتدرجين
في هذا الفن على ان ينالوا اجازة من شيوخ

الشعراء الذين في جهاتهم. وبأن يحرم على ناظمي
المهازل انما الفصول المضحكة بقرع العصي وظهور
الشياطين. والروايات الهزلية بالزواج. وعلى
العميان بايقاع الحوادث في تطوان وبقاصا كلمات
اخوى و«شرف» (٥) ونامرهم بألا يقولوا هوى،
حين يقصدون قول «هذا المؤلف» (٦) ونامر الشعراء
من الوافهين ان لا يستعملوا في اناسيدهم الميلادية

(٥) انما المقصود اقصاص كل مني «اخوى»
و شرف على الشكل الذي اسنعملنا به هكذا hermanal
للاولى و pundonores للثانية وهو استعمال خطي.
(٦) تلاعب في الكلام لا يمكن تعريبه لانه
قائم على تقارب في نطق الكلمتين بالاسبانية ومن
المأوف ارتكاب العامة اخطا من هذا النوع عند
الكلام لعدم معرفتهم بنطق بعض الكلمات على
الوجه الصحيح فكان بعض الشعراء الجهلة يقولون
zozobrar «توثوبرار» ومعناها هوى، بدلا من
قولهم la presente obra «البرسني اوبرا» ومعناها
«هذا المؤلف»

قوافي تختتم بكلمة «خيل» او «باسكوال» وألا يتلاعبوا بالالفاظ او يأتوا بأفكار لولبية تتكرر في الاعياد كلها دون ان يتغير منها سوى اسمها.

واخيرا فأمر جميع الشعراء ان يبعدوا المشتري وأبولون والزهرة وغيرهم من الالهة والا كانوا لهم شفعا في ساعة الوفاة.

ولقد اعجب بما في البراة كل من سمعوا قرائتها وطلبوا مني نسخة منها. ما عدا الاويقفه فانه شرع يقسم بصلاة العصر وغيرها من الصلوات بان تلك البراة انما هي هجاء له لما جاء فيها عن العميان وانه لأعلم بما يجب عليه ان يفعله. واخيرا قال: «اني لرجل جالس لينيان (7) في احدى الماثوي وقد آكلت «اسبينال» (8) اكثر من مرتين» وقال

١٧ بدرو لينيان دي رياثا Pedro Liñan de Rianza

شاعر معاصر للوبي دي بيغا.

(8) اسبينال Espinel هو الشاعر الكاتب

شينطي مارتينيث اسبينال Vicente Martinez Espinel

ولد سنة 1550 في مدينة رنדה وتوفي سنة 1624

أيضا انه وجد مرة في مدريد على مقربة من لوبي دي فيغا. بقدر ما هو على مقربة مني الآن وانه شاهد ضون الونصو دي ارثيا (9) اكثر من الف مرة وان عنده رسما للشاعر الالهي فيغيروا (10) وانه اشترى السروال الذي نزعته الشاعر باديا (11)

ترك عدة مجموعات شعرية بالاسبانية واللاتينية
نما أهم مؤلفاته هي قصة ماركوس دي اوبريكون.
التي تنتهي الى فن (قصص المستعار).

(1) "ونصو دي ارثيا Alonso de Ercilla ولد
سنة 1533 وتقلب في عدة وظائف واشترك بافتتاح
تشيلي في أميركا الجنوبية ثم ألف ملحمة شعرية
تدور حول هذا الفتح دعاها لا اراوكانا
La Araucana وتوفي سنة 1594

(19) فيغيروا - فرنسيسكو دي فيغيروا
Francisco de Figueroa (1536 - 1620) شاعر اسباني
لقب بالالهي وُلد بسلم من شعره الا القليل.

(11) باديا - بدرو دي باديا Pedro de Padilla
شاعر اسباني من القرن السادس عشر - وُلد في

حين ترهب وها هو اليوم يلبسه وان يكن في
حالة مزرية. وما كان منه الا ان ارانا اياه مما
اثار قهقهة الحاضر اجمعين الى حد ان واحدا منهم
لم يرد مغادرة المثنوى.

واخيرا حلت الساعة الثانية وبما انه لم يكن
بد من السير غادرنا مدريد فودعت آسفا ووجهت
خطاي شطر المرقأ. فشأت الارادة الالهية دفعا
لكل فكرة سوء قد تجول في خاطري ان التقى
بجندى، فما عتمنا ان بدأنا نتبادل اطراف الحديث
فسألني عما اذا كنت قادما من العاصمة فاجبته
انى عرجت عليها مارا فحسب، فاعقب جوابي
بقوله: .والحق يقال انها لا تصلح لاكثر من هذا
فهى بلدة لسكنى الاناس السافلين. وقسما بالمسيح
انى لا فضل الف مرة ان اقيم في مكان تغمرني فيه
الثلوج الى جسمي مرتجفا كالساعة مقتاتا من الخشب
على تحمل المظالم التى يصاب بها اهل الصلاح

ليناريس وتعلم في غرناطة. انخرط في رهبنة
الكرملين سنة 1585

فيها فاعترضت بقولي ان في العاصمة من جميع
 الاصناف وانهم يقدرون كثيرا ذا المطالع السعيد
 فانتفض غاضبا وقال كيف يقدرون ؟ فقد قضيت
 ستة اشهر ألتمس قيادة فصيلة من الجيش بعد ان
 امضيت عشرين سنة في الخدمة وأرقت دمي في
 سبيل الملك كما تشيد بذلك هذه الجراح وأراني
 في احدي كاذبيه طعنة تبلغ شبرا أوضح من
 الشمس ان سببها احدي المناوشات. ثم أراني في
 عرقوبيه - لامتين أخريين قال انهما أثر رصاصين
 نكنى استنجت من علامتين كانتا في رجلي
 أنهما تقشر وورم من البرد. ورفع قبعته وأراني
 وجهه فاذا فيه ستة عشر رتقا من جرا طعنة شقت
 منخاره، وكانت في وجهه ثلاث ندبات أخرى
 جعلته أشبه بالخریطة من كثرة الخطوط فقال لي
 مشيرا اليها هذه أصبت بها في باريس في خدمة
 الله والملك الذي أرى وجهي مقطعا في سبيله. ولم
 ألق مقابل ذلك الا كلمات جميلة تقوم اليوم مقام
 الاعمال القبيحة. اقرأ هذ الاوراق وحياتك أنت

الذي لم تشترك بمعركة قط. وحق المسيح ان
 رجلا مثلي ليشار اليه بالبنان، (12)
 وكان صادقا في قوله لما فيه من اثار ولكن
 من مجرد الضربات التي تلقاها. وأخذ يخرج مدافع
 من التنك ويريني أوراقا لا بد انها كانت لشخص
 آخر اتخذ هو اسمه، فقرأتها واغرقت عليه الف
 ثنا قائلا انه لا السيد (13) ولا برناردو (14) قاما
 بما قام به فانتفض قائلا:

(12) أنى المؤلف بتورية في كلمة señalar
 فاستعملها أولا بالمعنى المجازى (اشار اليه بالبنان)
 وثانيا بمعناها الحقيقي وهو (ترك أثرا)
 (13) السيد El Cid لقب البطل الاسباني
 رودريغو دياث دي بيار الذي عاش من سنة 1040
 حتى 1099 ومن جملة مآثره الحربية استيلاؤه على
 مدينة بلنسية من أيدي المسلمين.

(14) برناردو Bernardo بطل اسباني من ابطال
 الأساطير واسمه الكامل هو برناردو دل كاربيو
 Bernardo del Carpio ويضاف الى القرن التاسع.

ومن اين لهما مالي؟ لا والله ولا غرسيا دي
 باريديس (15) ولا خوليان روميرو (16) ولا غيرهما
 من كبار المحاربين. لعن الله الشيطان! في ذلك العيد
 لم تكن مدفعية. والله ان برناردو ما كان
 يناضل ساعة في عهدنا هذا. واسأل رعاك الله في
 فلانديس مآثر الميادو، ترما يقولون لك عنه فسألته
 قائلا: هل انت هو؟ فقال: ومن غيري يكون اياه

والمؤرخون غير متفقين على مسألة وجوده حقيقة
 أم لا.

15) دييغو غارسيا دي باريديس 1466-1531
 Diego Garcia de Paredes 'صله من بلدة نروخبو
 كان فارسا مغوارا واشترك في حرب 'يخالبسا' التي
 جانب ملك اسبانياخون فرناندو الملقب بالكاثوليكي
 وقد وضع ترجمته سنة 1621 'الكاتب خون جومس
 تومايو دي بارغانس

16) خوليان روميرو Julian Romero من قادة
 الجيش الاسباني في حرب فلانديس حين كان القائد
 الاعلى لويس دي ريكيسينس

إذا؟ أما ترى الثغرة التي في اسناني (17)؟ ولكن
فلندع الحديث حول هذا الموضوع لأن من العيب
أن يمدح المرء نفسه

وبينما نحن في هذا الحديث إذا بنا نلتقي
بناسك راكب اقلنا يكاد يكنس الأرض بلحيته
هزيل البدن عليه جبة من الجوخ شعباً اللون
فحينئذ بالتحية المعهودة الحمد لله، واخذ هو يثني
على حقول القمح ومعها على رحمة المولى فقاطعه
الجندي قائلاً: آه أيها الأب لقد رايت الحراب حولي
اكثف من هذا الزرع ووالله لقد عملت جهدي
في نهب مدينة أمبريس (18) أجل والله، وكان

(17) كلمة ميادو - mellado معناها أهتم أي
من في اسنانه ثغرة. وهي في الوقت نفسه لقب
لأحد الفرسان الذين امتازوا بأقدامهم في حرب
فلاندس

(18) نهبت مدينة أمبريس عاصمة البلجيك خلال
حرب فلاندس في 18 نوفمبر سنة 1576 حينما كان
ضون خوان دي أوستريا قائدا للقوات الأسبانية

الناسك يوبخه على إكثاره الأيمان فاجاب الجندي
 قائلا: انه لمن الواضح ايها الاب انك لم تكن
 يوما جنديا فانك توبخني على معاطاني ما هو من
 شؤون حرفتي، فاستولى على الضحك من رؤيته
 يجعله قوام الجندي وذهمت انه محنا لانه لا شيء
 اكدره على عظماء الجنود ان لم نقل كلهم من هدد
 العودة ثم بنغنا لحف المرقأ بينما كان الناسك يصلي
 المسبحة في حزمة من الخشب جعلت كرات من
 الخشب بحيث كار يسمع عند نهاته كز سلاء
 غميك بامرهم قرقة كقرقة الكرة في لعبة الخلق (11)
 والجندي يتقابل بين الصخور والقلاع التي شاهدتها
 فاشرا الى اي الاماكن هي المنفعة وفي ايها نجب

وقد دخل الجنود الاسبان المدينة ونهبوها لكن
 القيادة العليا نصدت للقضية حالا واصدرت امرا
 باعدام كل من ينهب شيئا

(11) لعبة يقوم برمي كرات من خشب ليمرق
 داخل حلقة من الحديد ممسوكة بقضيب مغروز
 في الارض

من نفاق تدفعية. وكنت انا انطلع اليهما خائفا
من مسحة الناسك وحررها الكبيرة تقدر خوفي
من كذاب الجندي. وكان هذا بقول: آلو كان
أمر بيلي لمست قسما كبيرا من هذا المرقا
فاحسن نذك في مسافرين حسنا كبيرا.

وبما نحن في هذه الاحداث وغيرها وصلنا
في نردنا فدخلنا امانة فندق وقد حن النيران.
وامرنا فاعدت العشاء. وكنت يوم الجمعة. فقال
لناك اذك فمتنسر حسا لان البطانة نال الردائل
ولكن بعد على تلاوة السلام عليك يا مريم مرارا
وحرج ورفي لعب من كعبه. فاخذ مني الضحك
كل واحد من ريت ذلك وتغيب واقفا انا
حررت مسحة. فقال الجنسي. انزل لعب كاصحاب
نبي نبي من المال لا بنجاور مئة بليون وهي
لحمة انني احبها فقلت وقد داخلني الطمع
نبي اللعب على مئة اخرى. وقبل الناسك بذلك
بحارة ان وقال انه يحمل ثمن زيت مصباح الكنيسة
وهي ببغ نحو مئتي بليون. واني لاعترف بانني

فكرت في ان اكون ائمه فامتصه. وانما تجري
 الرياح بما لا تشتهي السفن. وذلك اننا شرعنا
 بلعة الخط (21) والانكى ان الناسك ادعى في
 نادى الامر جهلاء تلك اللعبة وسألنا ان نعلمه اياها
 ثم تركنا فريح مرتين. وبعد ذلك فنك بنا فتسكة
 تركتنا صفر البدن. فورثنا ونحن فيد الحياة. اذ
 كان المر يجمع تركتنا من على المائدة بقفا يده
 ناعنا في نفوسنا اسفا واسى. فبخسر اللعبة التي
 نكون السداول فيها قليلا نريح نسي عشرة اعمه
 نكون فيها كسرا. ولان اخذنى عند كل لعبة
 ريث انني عشرة ايماننا وقدرها من اللعنات المبطنة
 بلايماننا. اما انا فكنت احض اصابعي بينا كانت
 اصابع الرأهب مشعولة بجمع ما. وفي برك قدس
 دون ان ينشفع به وانتهى به الامر ان نرثا

(21) نوع من ألعاب الورق تدفع فيه ورفه
 المصارف واخرى للنقاط وتكون الراحة الورقة التي
 نلتي اولاً بنسبهنها من الاوراق التي تسحب من
 المجموع

خاني الوفض. فسالناه ان يلاعبدنا على البسة ولكنه
 عد ان ربح مني ستمائة بليون كانت كل ما
 احماه ومن الجندى المئة بليون التى كانت معه.
 قال ان ذلك انما هو من قبيل التسلبة فقط وان
 شلا مما قربه وذلك حب عايله ان لا يفكر
 بملاعننا من غير ذلك. فقبل واضاف بقوله: ولا
 جميعا. فتم ساعدني الحق. لا تكلى على الله. وما
 انتم ثم دكن عاشر تاجارة التي حواها فيما بين
 متابعه ومعصمه صدقنا قوله واقسم الجندي ان لا
 يلعب فيما بعد. واقسمت ذلك ايضا وكان الملازم
 المستبر ان له اعلمني حينئذ برقمه العسكرية
 بلعن ويقول: لقد وقعت فيما قال به لو رغبين
 ومسلمين تكفي له احرر مثلما جردت هذه المرأة
 ما تراغب فكان ضحك من كل هذا. ثم جاء
 فاحرج سبحانه يسنانف الصلاة. فسأته وكنت قد
 تحسنت سقراليدبن ان يعطيني ما انعشي به وان
 يدفع عنا نحن الانبيز اجرة الموى حتى فصل الى
 شقوبية لاننا صرفنا لا نملك فلسا. فوعد بان يقوم

بذلك ثم ازدرد ستين بيضة. واهم الحق اني لم ار
 قط مثل ذلك ثم قال انه ذاهب ليرقد ونمنا كلنا
 في غرفة واحدة مع اناس كانوا هنالك لان الغرف
 كانت مكررة لاشخاص آخرين. ورقدت انا والحزن
 العميق مسنول على نفسي اما الجندي فدعا صاحب
 الثوب واودعه 'وراقه مع سماديق التيك التي حونها
 وصرة من القمصان المجلهلة ورقدنا بعد ان رسمه
 ان نعجب على صدره شارة 'تسلب ورسناك نحن
 بقمم مسعدين من. ثم اتنى ونقبت مسيقنا فكر
 كيف 'نرع المال منه. وكان الجندي يئس في
 اسمه متكبنا عن ائمة تلبون كما لو انها لم تق
 له علاج

وحديث. ائمة 'تقم فسلم نحننى ان يؤنى
 سراج موقد فتوده به واداه 'تقمى 'تصرة تاسد
 'الوراق فاخذ الملامد المسكين بصبح صباحا ن نيب
 له الدار طالما ان فرد اليه خدمته (21) فاضطرب

(21) اسعمل المؤلف هنا كلمة Servizio
 'سرفيسيو ولها معنيان: مولة وخدمة. وفي المعنى

فنندقي واذ كنا نلح عليه بان ياتيه بها ذهب
 مسرعاً وجاء بثلاث مياول قائلاً: هاكم واحدة
 نكر واحد. اتريدون مياول اخرى؟ وذلك انه
 نحن انما مصابون بـ"الزفارية". وعندئذ قام الجندي
 وسيفه بيده وجري ورا "الفندقى مقسماً انه سيقترله لانه
 نهزأ به - هو الذى تهد معركة لبانتو، وسان
 كنعين ومعارك اخرى غيرها - مقدماً له مياول
 ندلاً من الاوراق التى اعطاه اباه فخرجنا كلنا
 وراه لنصده وكدنا نعجز عن ذلك وكان الفندقى
 يقول: ايها السيد! لقد طببت مياول سرفيسيو.
 وليس علي ان اعرف ان هذه الكلمة يعنى بها
 في لغة الجندي الاوراق التي سجلت فيها مآثر كل

"الاخبر تستعمل في الجمع ايضاً للدلالة على سنوات
 الخدمة التي قضاه الموظف او اعسكرى وهذا ما
 قصده الملائم ففهمها الفندقى على المعنى الآخر
 وقد صح فيهما قول الشاعر كل يغني على ايلاده،
 وهذا المشهد كله قائم على اختلاف القصد بين
 'الملائم والفندقى في كلمة 'سرفيسيو،

واحد - ثم هدانا هما وعدنا الى الغرفة . اما الناسك
فبقى في الفراش احترازاً مدعياً ان الهم قد اضر
به . ثم دفع عنا كراً الفندق وغادرنا البلدة شطراً
المرقاً حائقين على تصرف الناسك ومن رؤيتنا اننا
لم نتمكن من تجريد من المال

فالتقينا بجنوى (22) - اعنى بهذا الاسم هؤلاء
الذين يطاردون المال في اسبانيا مطاردة الامسحة
الدحائيز للمؤمنين - بصعد نحو المرفأ ووراه خادم
وببده مظلة شان السوابن . ففانحناد بالحديث نكنه
كان يوجهه كنه الى الكلام عن الدراهم فكانهم
قوم ولدوا للمال ثم شرع يسمى بيزانصون
ويسألنا اذا كان من الموافق ام لا اعطاؤها منا .
ورثد الكلام في هذا الموضوع الى ان سألنا اننا
والجندى تمن يكون هذا السيد فاجابنا ضاحك:
انما هي بلدة من ايطاليا يجتمع فيها رجالات
المال الذين نسميهم هنالك بالمحنائين المريشين (23)

22) نسفة الى مدينة جنوة الايطالية

23) لعله يريد بذلك الاشارة الى علو مكائهم

ليضعوا الاسعار ومن ثم سيضربون على المال وقد
 سخلعنا من ذلك انه في بيرافصون تدار دوة
 مرايين . وسلانا عبلة الطريق قاصا علينا انه
 مشرف على الدمار بسبب 'فلاس' مصرف له فيه
 ما يربو على سمين 'الف' - 'سكودو' وكان يقسم
 لكل امر بدمه وان كنت اعتقد ان الذمة عند التجار
 كالبكارة عند امرئة ليحذر دبع مما ليس له وجود.
 وبكاد ان لا يكون لاحد ممن يعاملون هذه الخدمة ذمة
 لانهم سمعوا بانها اذا نمت قليلا نضت ولذلك اتفقوا
 على تركها في المهد.

وبينما نحن نجادب احراف هذه الاحاديث
 اننا نذكر اسوار مدينة مغربية فشح نارق من
 اعنه في تسي بالرشع عن تضدي ذكرى ما جرى
 مع 'علمه كبر' لهذه الغدنة فلغت 'مدبنة' وعند
 مدخها رأيت ابني على قارعة الطريق منتظرا
 فرقت نفسي لذلك المشهد ودخلت وقد تغيرت

ان كان ذوو المكانة الرفيعة يضعون ريشة في
 قبعاتهم.

شيئاً عما كنت عليه حين غادرتها اذ وصلت اليها
 الان ملتجياً حسن الملبس وتركت رفقتي وجعلت
 انحث عن يعرف خالي حق المعرفة في المدينة
 فلم اجد احدا يبرد غليلي. وهكذا سألت كثيراً
 من الناس عن الونصو رامبلون فلم يداني عليه
 واحد منهم بل كان جوابهم انهم لا يعرفونه ففرحت
 كثيراً لرؤيتي هذا القدر الوافر من اهل الصلاح
 في بلدي. وبينا ان في هذا اذا بي اسمع منادى
 بصيح معجبا بصوته وخالي يتفرع بمقرعته ودنست
 من خالي كان يسوق جماعة من العراة المنكشوفى
 الرؤوس في طوافهم ويعزف بمقرعته على ضلع خمسة
 اعواد تحمل بدل الاوتار حبلاً موسيقى احلى
 الاغانى الشعبية التى تغنى في الشوارع. وكنت
 اراقب هذا المشهد برفقة رجل قلت له حين سأله
 عن خالي اني من عائلة بيئية. وادا بى ارى
 خالي وراى بدوره مروره بجانبى فارتمى علي
 بعانقنى ويدعونى بابتن اخته فكادت اموت خجلاً
 وابتعدت دون ان اودع الرجل الذى كنت

حادثه. وذهبت مع خالي فقال لي: «بممكنك ان
 درافقني رسما افرغ من هؤلاء القوم؟» فها نحن الان
 عائدون من الطواف ولا بد لك اليوم ان تؤاكلني
 «ما انا وقد رأيت نفسي على من حصان واني
 بين تلك الجمعة اكاد اظهر كواحد من المجلودين
 وحينه فاني «نظرة هالك ومكذبة» انفصلت عنه
 وقد اخذ مني الحجر كد مأخذ انا حد انا لو
 بكن استلام تركني موقفا عليه يا كلسه في
 حياتي وانا تنهزت بين الناس.

وفرغ من قرع اصفهم ثم عاد وذهب بي
 الى داره حيث حات واكلنا

الفصل الحادي عشر

في ضيافة خالي وزائريه وقبض نركني
وعودني الى العاصمة

- - -

كان مسكن حالي بالقرب من الجزر في دار
سقا، فدخلناه وقابلنا السيد همدان مدير
المركز صدقي بن يحيى نائب منسقة
نصرف شؤوني، وصعدنا درجا انظرت من
ابلع اعلاه لاري اذا كان يتميز عن المشقة شيء
ثم دخلنا عرفة منخفضة السقف اضطررنا ان
نحرك فيها مضاعتي الرؤوس كمن يلقى البركة
وعلق خالي المقرنة في مسمار كان هناك الى جانب
مسامير اخرى فندى منها حالاً وتأتيت وحاجر
وخطائف وغيرها من ادوات حرفته فسألني
لي سبب لا اترع عني شملني واجلس فاحمه من
ذلك ليس من عادتي والله يعلم على أي حال

كنت حين شاهدت دناة خالي وقال لي ان جنبي
 كان كبيرا لالتقائي به في فرصة حسنة كهذه اذ
 انني سألني خد " شيئا وانه قد دعا بعض اصحابه
 واذنك دخر في الباب واحد من الذين يطلبون
 صدقات لاسعاف انفس موتى مرتديا جبة بنفسجية
 الملون نعنني حتى اخضر قدميه وقال وهو يقرع
 صندوق الذي يجمع فيه الصدقات لقد كان
 تنفاسي اليوم من نفس الموتى بقدر ارتفاعك من
 المحلودين. فهات يدك ووضع كل منهما اصابع
 ندد الخمس على وجه الآخر دلالة على الموافقة
 والاتحاد ثم شر جامع الصدقات جبينه عن ساقين
 معوجتين وسروال من نسيج الكتان واخذ يرقص
 سائلا من جاء بكلمة علي. فقال ان لا ولكنه ما
 كاد يلفظ كلمته حتى اطل علينا في ساعة سعد
 زمار بلوط، اعني به راعي خارير ملتفا بقبعته
 محتذا بقبانا. فعرفته - حاشاكم - من القرن
 الذي كان بحمله بيده. ولم يكن تنقصه ليسير

على ما هو مألوف إلا ان يحمله على رأسه (1)
 فحياتا على طريقته . ودخل وراءه خلاسي اعسر
 ازور يحس قبعة يزيد اطارها على لحف جبل
 ورأسها على رأس شجرة جوز . ويرتلي سروالا
 من جلد الجاموس وعلى حنبه سيف مقبضه اكثر
 رؤوسا من مصيدة الملك صقورا (2) اما وجهه فهو
 عبارة عن نسيج مسرد لانه كثير النذب كانه
 مشرح . فدخل وجلس وبعد ان حيا اهل الدار
 نمت في خالي قائلا وحتك بي الونصو : لقد
 احس الدفع لخلاد في مر "الرومو و العارسو
 فصدي دو الانفس قائلا : انما اعطيت انا فلتشيا
 جلاد اوكتا اربع ذكات ليهن الحمار ولا باخذ
 المقرعة ذات الثلاث صفائر حين جلدت فقال

11 يكني في الاسبانية بذي قرون من تخذته

روحه

12 اتى بنورية في كلمة garilan فاسنمنها

اولا بمعنى الحدائد النانئة التي نحمي مقبض السيف ،

وثانيه بمعنى صقر

الجلوار دوالله لقد كافأت لودرثو في مرسية احسن
مكافأة فقد كان الحمار يسير كأنه يقلد السلحفاة
ببطئه لكن ذلك الماكر اناثي المقارع خفيفة
نحت لم يحدث لي سوى بعض الانفخات في
الجند وذاك فاضعه راعي الخنازير مسحاً بقوله:
"من صني ما ر" "نكر" فقال المسول باسم
"نوس" نقتعه. ما من خنزير "ا" ناتي علمه
يوم سان مارتن الا وقال حاتي نصائح: "نوسعي
ن امحر على كل من يحملون المقارع ن من
وصي به اعامه كما يجب. فمجلودو اليوم دفعوا
ني سنز ابونا وناتوا مني مقاتل ذلك مقارع
صدبق نالمقرعة الوحيدة الصغيرة،

ا) تقع عند القديس مارتين في 12 نوفمبر
اتشربن "ناسي" وفي هذا اليوم كان يبدأ دسح
الخنازير المعروفة بمقدد الحومها تنصر "شنا". فبقي
سلاقولهم ما من خنزير الا باتيه يوم سان مارتن
لي ان كر واحد لا بد ان نأذبه مصصة ما عاجلا
او آجلا.

اما انا وقد رأيت ما هم عليه من النبل
 احمداً حالي فاعترف بان ما الحياء ورد وجنتي
 بحيث لم نستطع ان اكتب خطي ولا حظ ذلك
 علي الجوار فقال: «والدك هو الذي جلد منذ
 ثمة» فقلت ان والذي لبس ممن يعاقبون منهم
 وحيد تصدى حالي للكلام فقال: «انه ابن احبي
 وهو اسناد في القلعة ودو مقام رفيع هالك
 فاعدرو» «ي وعرضوا علي كل عطف ومساعدة
 وكنت في ناظي بحرق علي ان آكل واقص
 نرسي وبعده عن حالي.

ثم مدوا الخوان واصعدوا الطعام من مطعم
 زري قائم وراء الدار برتاً لف حول قبة كما
 تصعد انصداقات الي المساجين في بقايا قصاع واباربق
 ودفان لعبت بها ادي لقدم وأي لاحد ان يصف
 شمي وعاري! انه جلسوا حول الخوان وتصدر المسو
 واحداً الاخرون مقاعدهم دون ترتيب ولا زبد
 ان ادلي بما اكلمناه وانما افول ان درسي
 كان مما تسرب فجرع الجوار ثلاث كؤوس

من النبذ الاسود. اما راعي الخنازير فحبن راني
على تلك الحالة احدث بده مساو الا يربق من ندي
على الطائر، وتجرع من الكؤوس اكثر مما نفوه
ه ساعها من الكلمات ولم تحط انا على ذهن
احد ولم يكر احد رعه فيه

نه حرر قوى الخوان خمسة قرص من الحلوى
من ثوبت اربعة درهم. مساو حدهم مرمة
ما مقدس وبعد ان ارانوا من الاقرص المعجب
المصنع تلوا صلاة قصيرة خموعا بالدعاء وتمسى
الراحة اللينة نفس انبت نني اخذ من حسنه
لحم الاقرص 14. وقال حان لا سك لك تذكر
يا نيز حى ما كنت اليك نشان وذلك فعاودنني
ذكرى ما في تلك الرسالة. واكل البقية اما انا
فاقصرت على تناول اسعار الاقرص ونقبت تلك
العادة عاتقة نى ولهذا ما زلت حى اليوم حبن آكل

14 راجع ما قلناه سابقا في الفصل السابع عن

استعمال لحم الموني

'قراصا من 'أخوي' اتلو ، 'سلام عبدك يا مريم
 من أجل نفس من أخذ لحم 'الأقراص من جسمه.
 وامتدت الأيدي مرة ثلث مرة إلى الأبن من
 'أخبر ونلع نالجلوار والسائل ما حرعاه ان قال
 'أحدهما وقد 'حضرت صحيفة من التقائق التتبعية
 نالاصابع السوداء' انه اذا نؤني نالبحريرة مطبوخة
 وكانت حال حالي حيث انه مد يده وقبض على
 واحده منه قتلًا - وقد حانط 'أخبره صوته
 وعثر على عنبه فيما ثابته 'أخبر نعوذ في
 'سرف - 'أخبر 'أخبر: بحق هذا 'أخبر 'أخبر
 خلفه 'أخبر على صورته وماله له آكر فط الحما
 مطبوخة 'أخبر من هذا 'أخبر 'أخبر 'أخبر
 نبيد له وبساول 'أخبره قتلًا - بن عبد 'أخبر
 'أخبر - 'أخبر 'أخبر 'أخبر 'أخبر 'أخبر
 فيه قتلًا 'أخبر ما 'أخبره من منه 'أخبر
 أهدت 'أخبر من جهة 'أخبر 'أخبر من جهة
 'أخبر 'أخبر 'أخبر 'أخبر 'أخبر 'أخبر
 نبيه قاتلًا ، ان الله قد برك النطاقة، وبدلاً من ان

بضعها على نفسه ليحسبها وضعا على خده ثم قلبها
 وإذا به يشوى بذلك المرق. وأصبح كله من أعلى رأسه
 إلى أخمص قدميه على هيئة مززية. وحين شاهد نفسه
 على هذه الحالة حاول أن يقف ولكنه أحسن بثقل في
 رأسه فسقط على المائدة - وكانت من الموائد التي
 حرت بسببها - ففسحها وأصبح الآخرين يبعدون هذا كله
 'دعي' زراعي خنجر دفعه. وقد رأى هذا أن الآخر
 ساطع عليه ولائحة قام بدوره ووجه القرن وضربه به
 ضربة ثم تماسكا بالأيدي. وعرض المتسول زراعي الخنازير
 في خده. وحيث كانا متلاصقين إذا بهذا من
 جرة المبحر شوالسقوط بقي في وجه المتسول
 بل ما كان قد كنه.

أما خالي وكان أكثرهم تماكنا لنفسه فصاريسا
 ممن جاء إلى داره بكر هو "الكلبريكين" وحين
 رأيت أنهم صاروا يضربون في الجمع ١٥ أعدت السلم

١٥ كناية للدلالة على أنهم في حالة سكر
 لا يعون ما يقولون فكأنهم في عملية الجمع
 يضربون الأرقام بدلا من أن يجمعوها

الى نصانه بسهم. وقلت لكلبهما من يد الآخر
 وزعت الجلواز الذي كان منظرها على الارض
 يبكي بحزن عميق. ودفعت بخالي الى الفراش
 فما كان منه الى ان ارتعى على مائدة ذات
 قائمة واحدة ظنا منه انه احد الضيوف ونزعت
 البوق من يد راعي الخنازير الذي لم اكن لاقوى
 على اسكاته بعد ان رقد الآخرون اذ كان يصبح
 مطالبا بوقه وتلايه لا احد يعرف ان سمع به
 الخنا من ما يعرفه هو وانه يربذ ان يعرف
 نارعد و'خير' لم يفارقهم اذ بعد ان رأيتهم غائمين
 وخرجت من الدار وقضيت ما بقي من النهار في
 'الخلع' على 'راضى'. وعرجت على دار المعلم كادرا
 فقبر لي انه توفي. وفيه احيى الى 'سؤال' عن
 سبب وفاته لعلمي انه لم يزل في 'الديما' شيء
 يسمى جوعا

عدت الى الدار ليلا بعد ان قصبت خارجا
 منها 'ربع' ساعات فوجدت 'أحمد' مستيقظا ددب
 على يديه ورجليه في 'الغرفة' باحثا عن 'الباب' وهو

بقول انه قد 'ضاع' الدار فابھضه وتركته الاخرين
 سائمين حتى 'حادثة' عشرة لبلا واداك استفاقوا
 وسأل 'أحدهم' وهو 'دمشقي' عن الساعة؟ فاجابه
 'شي' 'أخبرني' - 'ونان' 'السكر' لنا 'ترانته' - انه لا
 'ي' 'و' 'هي' 'ساعة' 'تقلوا' 'و' 'أخر' 'سند'
 'يطلب' 'مسور' 'فعبه' 'س' 'ي' 'ردوه' 'بعونه' 'أقد'
 'أنت' 'أدعس' 'ألكاه' 'ناتاسي' 'نطال' 'و' 'أد' 'من'
 'ان' 'بغضد' 'السب' 'سار' 'ألى' 'السك' 'فرأى' 'البحر' 'و'
 'واحد' 'بصيح' 'منابا' 'الأخرين' 'فأثلا' 'ان' 'البحر' 'طالعة'
 'في' 'رائعة' 'البحار' 'ون' 'الشمس' 'قد' 'كسفت' 'كسوف'
 'ثبير' 'ورسموا' 'جميعا' 'علامة' 'أصاب' 'وقدوا' 'الأرض'
 'أما' 'أنا' 'فبغذا' 'ما' 'أصبحت' 'مكر' 'المسور' 'خامرني' 'الأسى'
 'وعزمت' 'على' 'الأخترار' 'من' 'أمنار' 'عؤلاء' 'القوم' 'و' 'كنت'
 'كلما' 'سأهنت' 'هذه' 'المكرات' 'و' 'أدبأت' 'أرددت'
 'في' 'الرعة' 'نان' 'زى' 'نفسى' 'ببس' 'قوم' 'أشراف' 'ونبلا'
 'مصرفهم' 'واحد' 'واحد' 'كما' 'سأعدني' 'الجد' 'وارقدت'
 'خالى' 'الذى' 'لم' 'يكن' 'ليرايه' 'أذكر' 'وان' 'زايه' 'السكر'

وتمدت 'نا فوق ملابسى وبعض الملابس الأخرى
اللى اراد الله ان تكون هنالك

وعلى هذه الحالة قضيت الليل وفي اعد حاولت
مع خالي ان اتعرف على بركة والدي واستلمها
حالا مدعيا اننى مضى ولا اعرف السبب. فستط
رحنه به نهض ونحادسا في شؤونى وقد 'عساي
'أمر ان خالي رجل كسر "السذاجة" والذين عن
معارفة الخير واخر فعنه ان علمي بمصير
فسه من دروسى - وان له كن كلها - وهكذا
'علمي بلانمائة دكة ربحها 'أرحوم والدي بيده
وودعها عند امرأة خيرة كان يسرق تحت كفيف
في ما 'مند حولها من هذه الكورة على عد عشرة
مريح

وحلاصه 'قولوا 'مثلا 'نعب حضرتك نالاسباب
'سلمت مالى' وله يكن خالي قد سره ولا 'نفقه
فكان قدرا وافرا لو قبس نغلة عقله لانه كان
نؤمن ان اسنعمله للدرس والحصول على شهادات
عالية. وان ابلغ نذلك رتبة 'كردنسال، لاعتقداه

سهولة بلوغها اذ كان هو منيلها بمقارعه دون
 جهد (16) وحين رأى المال بين يدي قال: يا بني
 ان لم تصلح نفسك وتسلك حادة الخير والصلاح
 فملك نعمة كبيرة لان لك من تقتفي اثره ودين
 عندك من وراءك في كل حين وكل ما عندني
 و، اريحه فما هو لك فشكرته شكر حزبا على
 هذا السخا وقضينا النهار في حديث لا طائر
 ورثها وفي رد الرياسة لاسخاص المتأورد سابق
 وامضى خاني العشية في لعبة عظم العرقوب (17)
 مع راعي الخنازير والمنسول وكان هذا يراهن على

16 اسعر المؤلف هما جناسا لا يمكن ترجمته
 بكلمة كردنار، اذ له معنات في اللسانية: الرتبة
 لدسة نعرونة وهو المقصود اولا والحدور التي
 نسبها في البنز "ضربة الشديدة وهو المقصود
 ثانيا

17 لعبة تقوؤ ترمي عظم "عرقوب في الهواء"
 فاذا سقط على الارض وثبت على جانبه الضيق
 ربح اللاعب.

القداسات (٩) حسن يراهن على اي شئ آخر
 وكان مشهدهم وهم يتداولون العظم مما يستحق
 ان يرى: اذ يتناولوه رامبه من الهوا وبعد ان
 بهزه في قبضة يده يدفعه الى الآخر وكانت لعبة
 العظم نعيمهم بديلا عن لعب النورق ومنها يستخرجون
 ما يقابلون به معمل العطر لانه كان يتخلل
 التراخنة دائما ابريق من الخمر.

حل اللين فذهب الاخيرين وقدنا لنا وحاشي
 كس في سريره اذ كان قد جهر لي فرأنا وحين
 اصبح انصباح نهضت من قبل ان يسنيقظ وذهبت
 الى فندق دون ان يشعر بي ثم عدت واغلقت
 الباب وشدته من الخارج ورميت المفتاح الى الداخل
 من ثقب صغير تبر منه التقط

ولما فلت ساقا ذهبت الى فندق لاحسي
 وانظر فرصة مناسبة لانتقل الى العاصمة. وتركت
 في الفندق رسالة مختومة اخبره فيها بذهابي وسسه
 ووصيه بالا يبحث عني لانني لن اردد فيما بعد.

(٩) اي على جعل القداسات

الفصل الثاني عشر

في هري وما حصل لي خلته حتى بلغت العاصمة

--- + ---

في ذلك الصباح كان يسعد نعدرة سوى
نصار بقر حمولة في العاصمة. وكان معه حمار
فاكتربته منه وخرجت انتظره امام الباب وما
ان خرج حتى امتصيت الجحش وبدأنا نقطع تلك
المرحلة. وبينما نحن سائرون كنت اردد في خاطري
قائلا: ألا فابق هنالك ايها الحمار يا عاراً على
الصالحين وفارساً على الرقاب.

وكنيت افكر في اني داهب الى العاصمة
حيث لا احد يعرفني - وذاك خبر تعزية لي -
وانه لا بد لي ان اتكل على حذاقني وحدها.
وعزمت على ان انزع عني هنالك ملابس الطلاب
الطويلة واستبدل بها اثواباً قصيرة على زى العاصمة

وإنكز فلنرجع الآن إلى ما عمله خاكي بعد أن
داعاه "ألهة" التي تضمنها - الذي "أنتى" معها
خدمه متى .

رسالة

حضرة السيد "أونصو" راماون: بعد أن أتع
الله على نعم غناه كما أنه من أمام عيني والذي
كبره وأبداه والذي في خلطة - من حيث
على "أقر" عرف "نهر" حرج - - - -
أر - - - من نعمه سوى أن بفعلك قد تعرف
دعير - وعلم أي أريد أن أكون وحيد سلائي
- - - من المسحيل أن يكون منها اثنان - ما لم أفع
بسر يدك ونقطعي كما عهدت بأحرين فلا
نساء حتى - لاى منكر ما نسد من فرقة واحدة
لك والله

ولا حاجة إلى الكلام عما قد نكون حصي
ه من قديم "نقول" ورماني به من سب وشتمه
ونرجع إلى ما وقع لي في صرتي: فقد كنت

سير معظما حمارى المتساوي (1) متمنيا الا التقى
 نأخذ وادبي زى من بعيد نبلا يقبل رهوا وقد
 انمى عليه معظما ونفلا . يفا ولبس سروالا يبلغ
 اثركة واحتلى حدا يغطي الى ما فوق ساقيه .
 فسر حسن الهداء . وكان طوقه مفتوحا وقعته
 محمية الى احد حبيي رأسه . فظننت انه من
 ندره وانه نرك عرنه الى انورا فادركه وسلمت
 عليه فنصر لي وقار . نك ب حضرة الاساد
 تسير على منن هذا الحمار اكتر اطمئنا وراحة
 متى نكر هذا الجهاز . فاحبته وقد فهمت من قواء
 انه بعني بذلك العربية والخدم الذين تركهم الى
 انورا . حفا انى اعتبره اهدأ من ركوب العربية
 انى . وان كان جنابك قادما بكل رفاعة في
 العربية الى نركها وراءه . اجد ضيقا كبيرا في
 سائلها من جب الى جب فقال مضطربا . اية

11 نسفة الى 'لانشا' وهي مقاطعة اسبانية .
 وانها بسب صون كخطوطى بطر قصة سرفانطيس
 الشهيرة

عربة فغني؟ واد اتعت الى الوراء بعنف سقط
 سرواله لان النكة انقطعت ولم يكن لديه سوى
 واحدة. فكدت اموت ضحكا من ذلك وحينئذ
 سألتني ان اتبره نكة. اما انا وقد انصرت انه لا
 ترى من القميص الا كفتها فقلت: بالله عليك يا
 سبدي! ان لم تضطر حد لك فلن اقوى على مساعدتك
 انه ليس لدى سوى نكة واحدة فاجاب وهو
 نشد بده على سرواله الذي بدا عر مفصل على
 قماشه وان ثارت نزع فلا حرج لاني لا افهم ما
 عني فاشركت في خدم واهصح لي عن حاله
 - في باب الافتقار - الى حد اننا ما كدنا تقطع
 نصف فرسخ حتى اعترف لي بانني ان لم اسمح
 له تركوب الحمار فلن يكون له سبل الى نيسور
 عاصمة الاشائه من السير ساد بعضه نده على
 سرواله. فداخات نفسي ارقاة ونزلات عن حمار
 وحيث انه لم يكن بوسعني ان بغلت السروال وفقد
 منصررت ازرعه واركانه وفقد هاتني ما خدته
 حين مسه: ودنت الى المعطف لم تكن له من

طالة في ما عطشه من الحجر سوى الله نفسه
فقال وقد احسن بي رأيت منه ذلك لا حصره
نشدنا ما كن ساع ذهب وذكرك لك حب
صبرت طوفي ونبوحا وحسن هدمي ضيق اني
من اسناد الكونسي في ايرلوس (2) فاه ال همد

1. كوني في ايرلوس - هو نب -
- ريان وقد وضعه فيه شعره حوال حب -
ويها له ذهب في سيرة حارة سيرة الارثي
ركه هرة عدد ر نفق سيرة له د' العصر
عه يوم وم - رجوع من "سيرة منها ر قسروح
حب - من حب بعد مرور خمسة عشر عاما
على عصاة احبائه عبد - نقاصي نلسون في
رور رستار سيرة يوم "كوني وسروح
ما كوندنا روحه سيرة صون رولدان ولكن
الكونسي في ر'وس رجوع عدد ان قام بمعامرات
حضره وراد ان سائر سيرة المهان ، ولكن
الامر اطور والاسراف دخلوا في الامر واصلحوا
سيرة ومن رولد' وعملوا على اسرحاع الكوندي

اعجز انصليح عصى نسر ما رسته في ٥٥
 ما ١١ فتاب ٤ مؤكدا اي اذعب ابو
 كدره سار وما رسته حتى لان فعل اوج
 هذا كنه ٤٥ حتى لان سار في عصى ماسرى
 عدى في لان نسي مما في عصى منها اسرى
 في سرعا خالصا من در عرقه في الحسب او نه
 دعوى كنه اذنه اسرى لان اذني ورا سار
 ما ١١ فتاب ٤ مؤكدا اي اذعب ابو
 كدره سار وما رسته حتى لان فعل اوج
 هذا كنه ٤٥ حتى لان سار في عصى ماسرى
 عدى في لان نسي مما في عصى منها اسرى
 في سرعا خالصا من در عرقه في الحسب او نه
 دعوى كنه اذنه اسرى لان اذني ورا سار

عى ١١ فتاب ٤ مؤكدا اي اذعب ابو
 كدره سار وما رسته حتى لان فعل اوج
 هذا كنه ٤٥ حتى لان سار في عصى ماسرى
 عدى في لان نسي مما في عصى منها اسرى
 في سرعا خالصا من در عرقه في الحسب او نه
 دعوى كنه اذنه اسرى لان اذني ورا سار

١١ فتاب ٤ مؤكدا اي اذعب ابو
 كدره سار وما رسته حتى لان فعل اوج
 هذا كنه ٤٥ حتى لان سار في عصى ماسرى
 عدى في لان نسي مما في عصى منها اسرى
 في سرعا خالصا من در عرقه في الحسب او نه
 دعوى كنه اذنه اسرى لان اذني ورا سار

وائس توسع من لاسي عتده ان نكوں من طبعه
 اشراف آقا وقد اذراك فيه عكوك اسروه
 حين رقت ذات يوم قصصه طاولا صاحب مطعمه
 ررى ن رسته معان سرخس من الحج مدها
 ر اس منه حروف مدهه واكر ان حور
 مدهه في الحرف حرمه في الحروف واتر
 و... ومع هد كه في الحروف فله فله واعد
 عر حى ختى سى لى سى سى مع عتده
 ۱۷۱۰ وى برود وائس سورسو رودر عس

آ... عس نؤ... ف... قطع عتده
 ح... مكر ح... ح... سى م...
 م... فى لعه... عتده... عتده...
 آ... وائس... مع عتده... م...
 ... على ع... و... اس العربى لا
 مات بروى عر وقد... عتده...
 ح... واحد اسر... الحففى لا انجارى فكاتب
 ... انه... حاحه ذلك السرف الى التجد لاله
 ان... اس... ما... فوفه

ماحو عومب تي امونرو - 'نا کان حمر
 لار هده دسه - قد قلد کلهای کلاه قدمه
 واه سو ی ما سعه سوی عب صور ولکمی
 سو خالعی لا حد مر حدج الیه لار مر مس
 حماه قدمه 'اسه حمله فی حماه نه هو الحال
 فی 'رمدور و 'اسدور و 'ودور و - 'لور
 و 'وردور و غیرها (۱۷)

آ کلمه اصول معناه و ...
 و ... حمر خالعی سهرت و ...
 حمر رفعت ... سعهای فی حد اوج
 معمر 'العب حری شریه دسد تعد لایوت
 'کونکس و فی حد' سر یوی سوه
 حد حد ححه ... فی وچ 'اس ساجده حمر
 جمع سجنوه و'لد سور سهرت و ...
 حمله کعب امام ... حیده فی حیده و'لد
 ح' حده مده و'لدھا 'ما ای 'رمدور' ی
 'رمدور' ای حله 'سودور' ای 'لد
 لک. و'لدور' ای ... و'لدور' ای 'لک

وانى اعرف بان لانا هذا السبل وان
 مبرود، الاصاحك قد لى وسرح حاطرى
 فساء عن به ولى بر هو ذاهب ولاندا فعان
 به بحر كى لى به وهى صون حورى و
 بود عى به عومى تر سور و حور دار
 و حو عان به بر قد به اكبر عى به به
 به صون و عى به لى لى لى لى

و حورى عى به به به به به به به به
 به به به به به به به به به به به به به به
 به به به به به به به به به به به به به به
 به به به به به به به به به به به به به به
 به به به به به به به به به به به به به به
 به به به به به به به به به به به به به به

به به به به به به به به به به به به به به
 به به به به به به به به به به به به به به
 به به به به به به به به به به به به به به

به به به به به به به به به به به به به به
 به به به به به به به به به به به به به به
 به به به به به به به به به به به به به به

نُسْرِدَہ نَحْد مَوْد مَسُوْنَه کَر فَاَرْه و صَا ف
 عَوْنَه مَا دَحْلَمَهَا فَ وَ حَلَب صَرْبِي مِّن مَّاسِه
 مَوْن و حَرْم و رَا مَا سَرْج قَوْفَه اَوْ مَسْدَه اَمَد
 مَنِي مَنِي اَوْ مَن مَعَه مَ هُو مَحْرَم اَنْ مَحَارَه فِ
 نَعْمَه هَ كَآءَ نَسْر حَوْر کَر مَا مَسَه دَعْمَا اَمَا
 اَمَا فَرْسَب اَمْرَج مَنِي لَدَلْمَه و رَحْوَه مَبْحَه مَن
 مَآب مَوْن مَصْرَق مَن عَص شَا مَن مَع و مَع
 مَن مَسَق فِ اَمَامَه مَن مَع شَلِي مَآکَه مَد مَوْن
 مَسَا مَن اَمَر مَن مَن مَحْرَج مَن مَسَر و مَعَد
 مَن مَحْرَوْن مَن مَن مَوْن مَع و مَع مَسَوْن
 مَا مَوْن مَعَر مَعَال مَن هَذَا اَلصَّف مَصْح مَن مَوْن
 مَوْن مَن مَن مَن مَن مَع و مَوْن اَلْمَوْن مَصْح
 مَحْر مَصْح مَن مَن مَوْن مَن مَن مَع مَن مَن مَن
 مَوْن اَرْد مَن مَن مَن مَن مَن مَن مَن مَن
 حَوَانِي وَ حَمِي مَن مَن مَن مَن مَن

الفصل الثالث عشر

وفيه وحيد 'سرف' 'سرف' وما وعد به
من قدر حياه وعارته

— — —

سنت في عرف ودين في اعزبه راجعا
خير من وعليه شانه وفقرهم وون فيها
صرف الامور كلها ونها سسر الاسرار وحسن
احذر وون منها نوع من الناس - على سائلتي -
في عرف به ماتت سب وذا منظر و- ي سي
آخر سحر منه وانما سحر فيها سب - سب
مخالفه من بعض النور والشر من ذلكاذا والخص
سحر حله وسرهم راء وجوه وهرقي وكل سسر
والحله سبها وتا ما يكون حاوي المضاوي
لن سرح 'نور' من سحر من سبعت العظمي
وما سب سب وتب المتاعم وصوف بالسر
وسحر قوم ناكل الزكل ونصهر انه ذلك مسمن

فقد حرر واحد درت مروت فجدد مس كسا ملاي
عشاء "نصار" و "نصور" و "نصور" و "نصور" و "نصار"
مسدود - يس الحرير و حلوها و ان هذا جمعه
من مسدود "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار"
"نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار"
ان - حكور في سلطه كاهن و حكور هذه الغناه
على "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار"
عصر "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار"
ومن - عرفه حو عرفه صفاتي عنه حبه
و "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار"
ما عن احسانا على "نصار" و "نصار" و "نصار"
معدود و - حرج - ما لا كاد سكر - محسن
صف مرد و "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار"
"نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار"
و "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار"
و "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار"
معتبر ليعود لانه ان هذا "نصار" و "نصار"
لما صام من مرر "نصار" و "نصار" و "نصار" و "نصار"

'جنا ان بلى . وان كان رب البيت يجيد قد
 الخبر او الخبر 'و اللحم او اى شىء كان فاننا
 نقول بجادا لعرصه نردرد فيها لقمة ما : ،والان
 فلنسمح حضرتك ان يد اى قوم نمر نملك بمهمة
 حادو 'الحون بعد كان من عادة - وهنا نذكر
 'و احد من 'السرف لموفين : نو كى او كولى -
 سكه 'نا لجه ان سمع رؤونى قطع لى منه
 'الكل ، وما نقرغ من هذه الكلمات حى نساو
 نسكن ونقتنع بعض 'المقمة' وبعد قليل نقول : ما
 حسن رثعنه ! احل ! ان لى اذقه اهنت انطباحة -
 ما ريع ندها ويرفق 'القول' ناعس وهكذا بدهب
 ناسجربة نصف 'صحفة' 'الفت' لانه لغت والمشم
 لانه سحم وثل شىء 'لانه هو

ومى فاننا هذا الامر فاننا نجد قصعة مورو
 من احد 'الاذيرة' لكانا لا نساو له جهارا بل حفة
 حامين 'الرهبان' على 'الاعتقاد بان ذلك من جانبنا
 نفسف كثر منه حاجة

وما احمل ان يرى احدنا في احدى دور

انقلب وما يبذله من عناية في الخدمة فراه بقوت
 الشجوة وبني بامسول وبسط الاوراق وبزلف
 الى الراية. وكل هذا للحصول على بلون حلوا.
 ويحفظ عن ظهر قلب ما يصيب من واحد
 من مجموعة البسنتا القديمة. وكما ان في
 مكة احري ساعة معينة للصلاة لما ساعنا للرفق.
 وما عرب ما تقوم له حينئذ. وحيث ان الشمس
 عدونا للدود لانها تفضح مرتفعاتنا وعزائنا وحرف
 فتنا نفخ مساحا مفتوحا لسفار تحت شعاع
 قمر على الارض ما تدرسه من خرق والخبوة
 بنزلة من الرقع المضافة الى السروال في ما تد
 نساقين. فتأتي تنقص على الحبة. وما ان هذه الرقع
 تدف من تحتنا فنك تلتها ما تدر من المتعة
 تورثبة مضيقها الى العسة الامامي. وتلك من عارند
 ان فكون والكفل : بحمية ثمة تحت سمي
 وليس عليه الا عساوة رقبة من اصوف ولا عرف
 عند المصطف وجرز من الانام لريحة وعمر صعود
 الدراج المسيرة ومن ركوب الخيل. وتدرس ونخمة

تحرصنا من الضوء ففي الايام النيرة نسير والساقان
 متقاربتان. وحين فتحنى للسلام لا نحرك الا
 الكعاب لانه لو انفتحت ركبنا لشوهدت من
 سر وبلنا نوافدها العبدية. ولا شيء على اجسامنا
 انْ وقد كان من ذي قبل شيئا آخر وله قصته
 مثلا: كنت ترى هذا الناس العصر ذات انكبين
 فقد كن سيفا سروالا ومن قبل معطفا وفي نادى
 الامر قبة. وعو بنظر لان ينقلب باطن
 جوزب وعدة شيئا اخرى غيرها (11) اما الخفاف

١. واسربت ملاء مذارية فلبستها ما شا
 لله رد وملحقة. ثم احببت الى حينسان فقطعتها
 وبسسه ما شا الله ثم احتحت الى جبة فجعله
 ظهارة جبة محسوة فلبسها ما شا لله ثم خرجت
 ما كان فيها من الصبح فجعله مخادا وجعلت
 قضيا لبقنادير ثم جعلت ما دون خرق المخاد
 للقلانس وجعلت السقاطات وما قد صار كاخبوط
 وكالقطن المتدوف صماما لرؤوس القوارير

الملاحظ - كتاب البخل ص 112 طبعة ليدن 1900

فتكون قبل مناديل مقلوبة عن مناشف كانت سابقا
اقصة بنات ملاحف وبعد هذا كله نستعملها
كورق وعلى الورق نكتب ثم نحوله سحيقا نحبي
به الاحذية، فقد رأيت هذا الدواء يشفي احذية
نه مكن يرجي لها حياة وما اقول في فرارنا من
"نور لبلا تملأ تری معارفنا الصلعا" وارديننا الجردا
اذ ليس فيها من الشعر اكثر مما في الحصاة ولا
تدري ما هي حكمة الماری في منحنا الشعر في
"الحی ونرعه من المعافى ونكس لا نساخر
حمامين تفقنا على ان نصبر دائما الى ان يطول
سعر واحد آخر منا واذاك بنبادل الاثنان نزرعه
عملا بجا في الانجير وتعاونوا كلاحوة البررة
ونحسب من ان نبدأ نواحد منا مبارک الاخرين
حسن نعلم ان واحدا بعامل مع نفس لقوة الذهن
يعامل معهم واحد آخر وما ادراك بالغيرة ممن
البطون!

من واجبنا ان فنجول في السوارع منتخين
جوادا مرة في الشجر وان يكر جحشا وان نركب

الاسناد ان الشرف يمكن ان تنقصه هذه الامور كلها اما الطوق المنشى فلا، وذلك لان الطوق مضموحا رتبة لمبر وافر ولانه وهو منشى يصلح فورا ان يدس على جهته اد بسلى المر في نسبا مصدا اذ مراة واعلم حاما با حضرة ... شرفه، حب ان مجاور عدد حاحانه ... الخدم الحلى في الشهر التاسع من الحضر (1) ... كنهه في العائمة سوا تائه اذ ان في وجهه ... ام في المسقى واكثر في تحاته ... عشر ومن حسن الصرف فهو ملك مهابا ...

ان السبل العمة ... دسلكها ذلك الشرف لعدم اخذت دسحام لي وسحرتني الى حد ابي وحملت وانا الجونه راجلا الى لاس روثاس (4) حيث ... المؤلف هنا حناسا في كلمة faltas فعماها الاول انور او الحاجة والثاني امناع الحضر. 14 لاس روثاس Las Rozas اسم بلدة من مقاطعة مدريد على مقربة من اسكورنال

قضينا تلك الليلة ونعشى الشريف سمعته ي اذ لم
يكن لديه فلس واحد وكنت من فاحيتي مدنا له
نصائحه يي لانه فتح عيني بها الى امور كثيرة
ومالت نفسي الى المجال فاعربت له عن رغبتي
قبل ان يفرده . فعانقني مسي ودلنا قاتلا انه كان
يؤمل ان يفعل ثلثاته فعلها في رجل عاقل منلى
وعرض على ان يعرفى في العاصمة بقمة اخوان
المجال وار اذ به مع كلهم في "سدى" الى سكونه
فصلت بمرحه وله اعياه بالمدنا الى كـ
احدهم من امصرت على "تلايه" باقة درعه وحسب
وقد كانت هذه الكمية مع ما فله واقلده من حـ
كافة اكسب مودته.

فانشرت له من رب الموى اثث كـ
فربط سرواه بها وبننا تلك الدابة ثم سحرنا
فلما عدت بنا كرا.

الكتب الثاني

من حياة الشاطر

الفصل الاول

في ما وقع اي في العاصمة منذ وصولي حتى الان

— — —

على الساعة العاشرة صباحا بلغنا العاصمة
وحسب الاتفاق فصدنا در اصحاب خبرنا
! نزلنا ونحن وصلنا الى الباب قرعته فصحبه نخور
هرمة سته اللبس. فسألها رفقى عن الاصحاب
واحاسبه بانهم ذهبوا بحثون، فبقينا وحدنا حتى
الثانية عشرة وقضينا لك العرة من حقه اساي
على احراف حرفة امسر الرخص وافاى على
كر ما عوله اسى وعلى الساعة امانة عشرة
والنصف دخل الباب طيف نرى حة من الصوف
الدى تباع قدميه وقد فاقت حياه ريانة. فنحدث
الانار دعة الجمان وسائر حد-يم عز معاشه بي
وعرضه خدماته علي به دكلمنا قليلا وخرج قفازا
مع ستة عشرة نملونا ورسالة حبها نواخذها قاتلا

انهما برائة للاستجداء من اجل احد الفقراء. فافرع
 الفئاز واحرج واحدا آخر ثم طواهما على عادة
 لاطما. فسأله لماذا لا تلبسهما فاجاب لان الاثنين
 يريد وحدة. وانما حمله اياهما حيلة يقال ان لديه
 روحا من التوفير. واثناء هذا كله لاحظت انه
 ثم ينزل ملتقا بمعطفه فسأله - كستدي يريد
 الاطلاع - عن سبب اشغاله لدته ديامخف فقال:
 يا سي في شهري ثقب واسع تصعبه رقعة من
 اصوف ونقعة من الزيت. وهذا اللثام يغطيها
 كلها وهكذا أقوى على النجول، ثم فتح المعطف
 ورأيت ان تحت الجبة شيئا ذا حجم كبير. فظننت
 انه سروال اذ كان مظهره شبيها به لكنه حين
 شمر ليدخل فيتفلى اذا بي ارى انهما دارقاز من
 الكرتون رططهما بنطاقه واحكمهما على ساقيه
 تحت كسوة الحداد بحيث تخدعان الناظر لان
 صاحبنا لم يكن يلبس لا قميصا ولا سروالا
 ولذلك كاد ان لا يكون له حاجة الى التفل

اذ كان على مقربة من العر^١. ودخل المتولي (١)
 وقبض لائحة كسب فوقها في الداخل متفلا^٢
 يدخل واحد آخر. فحمدت الله حمدا وافرأ على
 تعويضه أخلق بأشطاره مما يمنعه عنهم من الغنى
 وقال صاحبي : وره لقد اقلت وانا مصاب بدا^٣
 "سرويل (٢) وعليه فلا بد لي من الانصراف إلى
 الترقيع. وسأل عما اذا كانت هنالك بعض الرقاع
 فاجابته "محوز - وكانت تضي بومين من كل
 اسبوع في جمع الخرق من السوارع كسب نجع
 غرها الورق لحياتنا لا يرجى له شفاء من امور
 الغرسان - ان لا وأن ضوء لورثشو فيبيعيث
 دل بدروسو اضطر إلى ملارمة الفراش خمسة عشر
 يوما لاصانه نداء الاقصة (٣) وفقد الخرق

وبينما نحن في هذا الحديث اذ نرجل ندخل
 علينا محتشدا هذا "سرويل ومريدا كسوة شهد

١ موضع "تغلية

٢ اي ان سرواله مقطع

٣ اي لا قميص عنده

اللون وعلى رأسه قبعة شد اطارها من الجانبين
 الى عل - وحين علم من الآخرين بقدومي اقبل علي
 وكلمني بعطف كبير. ثم نزع عنه المعطف واذا
 بثوبه - وتأمل رعاك الله ان كان هذا يخطر على
 بال احد - نصفه الامامي من الجوخ الاشهب والنصف
 الخوري من الكنان الابيض وقد تبلل باطنه من
 العرق. فله املت نفسي من الضحك فقال الرجل
 مخفيا غضبه: احمل السلاح (١) ولن تضحك. واني
 نراهن على انك لا تعرف لاي سبب جئت بهذه
 القبعة مشدودة الاطار الى عز. فقلت انه يفعله
 تضرفا وللفت الانظار اليه قال: لا! بل لحجب
 لانظار واعلم اني اعمل ذلك لان القبعة لا شريط يحيط
 بقعرها. وهكذا لا يرى ذاك النقص وبعد ان
 فرغ من حديثه اخرج نيفا وعشرين رسالة ومثلها
 من البلايين قائلا انه لم يتمكن من ابلاغ
 تلك وكان مع كل واحدة من هذه الرسائل بلون
 اجرة حملها وكان صاحبنا يكتبها بيده ويضع في

(١) مثل اسباني يراد به ان «اعمل ما اعمله»

اسفلها امضاً من احب. وكان يكتب رسائل جديدة
يختمها الى اشخاص محترمين ويسلمهم اياها وهو
بذلك الثوب وبقبض اجرة ابصالها. وهذا ما كان
يفعله كل شهر فهالني ما رأيت من جديد في
شؤون الحبة (١٦)

(١٦) وقد وقع كبيدو نفسه مرة في حبال هذه
الحيلة التي نصها له احد الرهبان اذ وصلته نسخة
من كتابه رسائل فارس المكلّاة. وهذا نص
الرسالة: لقد ضاعت الرسائل التي اتمتها عن
فارس المكلّاة والاساليب الكثيرة والوسائل المخلقة
التي تقترحها ليتخلص الرجال من عجبات النساء
لكنني لم اجد وسيلة واحدة تخلص بها حضرت
من دفع درهمين اجرة اتصال هذه الرسالة ففك
الحصرة واضرب علاجاً آخر الى افارسك والانصات
كلامه قصيرة حفظ الله لك روح المزاج والصحة
سنة سنوات عديدة هنيئة واراني اباه. الامضاء:
الدكتور فراي بنيطو برناردو دي موراليس، على

ثم دخل اثنان آخران احدهما يرتدي قبا
من الجوخ يعطي حتى وسط سرواله ومعطفا من
الجوخ ايضا وقد رفع الطوق لئلا يرى الخيش
الذي كان مسرقا اما السروال فكان من اللباد ولكن
لم يكن من اللباد سوى ما يرى اما البقية فمن
'بقية الخمر'. وقد دخل صاحبنا هذا وهو يزعم
مع واحد آخر ببسر زيق بدلا من الطوق ويحمل بعض
'تقماقم' لانه لا معطف له وينص على عكار وقد
نف احدى ساقيه باسما وجلود لانه لم يكن له
سوى نصف سروال يغطي ساقا واحدة. وكان
ينظاهر بالجندية وفي الواقع كان جنديا ولكن
من اسوأ الجنود وفي امكنة هادئة وكان يحدث
بخدمات عريضة اداها. وبصفته جنديا يدخل اي مكان
ما. ياذا قولا كان ذو القبا والسروال يقول:
'حيث ان تعطيني النصف او على الاقل قسما
وافرا فوالله ان لم تعطيني ... فيجيبه الآخر بقوله:

الغاشر 'سان برناردو' سنياغو دي غاليسيا في
17 يناير سنة 1613،

ولا تحلف باسم الله. واعلم اني حين اصل الى
 الدار يزايلى العرج فاذا بك طعم هذا العكاز،
 وبين اخذ ورد وما اعتادوه من تكذيب واحد
 الاخر هجم احدهم على الثاني وتماسكا. وعند المشادة
 الاولى خرج كل منهما باسمال الاخر في يده.
 فوقفنا بينهما وسألناهما عن سبب الخلاف. فقال
 الجندي: أمزاح علي؟ انك لن تنال قدر حبة
 خردل منها. ولتعلم حضراتكم اننا بينما كنا في
 سان سلبادور، وصل صبي الى هذا الفقير وسأله
 عما اذا كنت انا هو الملزم خوان دي لورثانا.
 فقال نعم لانه رأى في يده شيئا جا به. فقاده
 نحوى وقال ملقبا اياي بملازم: فلنر حضرتك ما
 يبتغي هذا الصبي وحيث فهمت مراده قلت اني
 انا هو فتلقيت الابلاغ ومعه اثنتى عشرة فوطنة
 واعطيته الجواب لانه التى ارسلتها الى واحد يحمل
 ذلك الاسم. وها هو الان يطالبني بالنصف وانى
 لا قطع نفسي اربا قبل ان انزل عند طلبه. ولا بد
 ان ينفها كلها انفي فحكوا له في القضية وانما

خالفوه في مسألة تمخطه بها و'مروه بان يسلمها
الى العجوز لئلا تنتفع بها الجماعة فتعمل منها اطراف
اكمام بارزة فتبلو'ح كأنها قمصان' لان التمخط
ممنوع

ثم جن الليل ونعنا' مناصقب' كأننا ادوات
رصت في غلاف' اما العشاء فلم يخطر على بال احد
ومعظمهم لم ينزعوا ثيابهم لانهم بنومهم مرتدين
ما يلبسونه نهارا يقولون بواجب النوم عراة.

الفصل الثانى

وفيه يتابع الموضوع المبدؤ به وعيره من
الحوادث الغريبة

- -

اصبح الصبح فتأهنا جميعا وكنت قد
امتزجت بهم كما لو اننا كلنا اخوة . وذلك ان
في الشر دائما هذه السهولة والعذوبة الخارجية.
وما اغرب ما كان من مشهد ترى فيه احدهم
يلبس القميص اثنتى عشرة دفعة لانها تتركب من
اثنتى عشرة خرقة. وترى الآخر وقد ضلت رجله في
'زقة' السروال واذا به يجدها مطة حيث لا يرضى
ان يراها وترى الثالث يستعين بدليل ليرتدى
صدرته. فتتقضي نصف ساعة قبل ان يهتدى
اليها.

وما انتهى هذا المشهد ولم يكر بالشئ القليل

قضى كل منهم ابرة وخبطا لياشروا رقق الخروق
فكنت ترى احدهم ماداً ذراعه ليرفأ بدون احكام
ما تحت ابطه فكأنه انقلب لاماً (1) وترى الآخر
جائئياً على ركبته محاضباً رقم الخمسة (2) وذلك انه
يمد بمساعدة جواربه وترى الثالث وقد ادخل
رأسه بين فخذه ليحكم طي ما يتصل بهما من
انسروال قد انقلب كبة واشهد ان بوسكو (3) لم

1 اي ان الواحد منهم حين يمد ذراعه
يصبح تشبيها بحرف اللام الذي يكتب في الاسبانية
هكذا L

(2) اي رقم خمسة في كنانة الارقام العربية
هكذا: ٥ وهو يشبه الرجل جائئاً ومحنياً رأسه.

(3) بوسكو - لقب المصور الهولندي خبرونهو
فان أكين (1450 - 1516) وقد ولد في بلدة بوالى
دوك Bois le Duc واليها ينسب فلذا لقب المصور
ببوسكو. وقد بقى كثير من لوحاته في اسبانيا
في غير الاسكوريال ومتحف الرادو

ويمتاز فن بوسكو بمزجه الجذ بالهرل فبرى

يصور مشهدا اغرب من هذا الذي رأيته، لانهم
بينما كانوا يخيطنون كانت العجوز تمدهم بالمواد
من رقع وخرق بالية من مختلف الالوان كانوا
قد اتوا بها نهار السبت. وانتهت ساعة الترقيع
- اذ كانوا يطلقون عليها هذا الاسم - واخذوا
بنظرون بعضهم الى بعض ليروا من منهم لم يوفق
في عمله، ثم قرروا الذهاب خارجا فقلت لهم اني
اريد ان انفصلوا لي ثوبا حبث كنت ارضب في
صرف مئة درهم في ثرا واحد لانزع شتي الجبة.

في لوحاته خليط لم يعهد له مثيل سابق. لكن
اخراج هذا الخليط محكم الاتقان وهو ما قلده
فسته الكبيرة، وكأن المصور اراد ان يصور باطن
الانسان وما فيه من تضارب وخليط، مما حمل
المؤرخ الاب يوسف دي سيغوانا على القول في
مؤلفه تاريخ رهبنة سان خرونسو، الجزء الثالث
ص 36: ضعة سنة 1605 ان شره من المصور،
سعوا لتصويرا خارج الانسان. اما بونيكو فهو
اوحيد الذي نحرأ على تصوير داخله

فقالوا لا، وانما يعطى المال الى المستودع ولنلبسه
 مما لدينا برسم الاحتياط ولنعين له دائرته في
 المدينة حيث يكون له ان يفتش وياكل منها وحده.
 فاستحسنن الرأي ودفعت المال ليودع وفي
 لحظة قصيرة خاطوا لي من الجبة قباء حداد من
 الجوخ. وقصروا المعطف فاصبح صالحا، وما فضل
 حولوه الى قبة قديمة جدد صبغها. واستعاضوا
 عن الشريط الذي يحيط بها بكتف من قطن المحبرة
 احكوا وضعها. وقرعوا عني الطوق والسروال
 والجسوني بدلها سروالا قصيرا لم تكن فيه
 شقوق (4) الا من الناحية الامامية. اما الجانبان
 والنور فكانت من جلود الوعول. ولم تكن
 الجوارب الحريرية بجوارب حقا لانها كانت تبلغ
 ما تحت الركبة بربع اصابع. وما بقي حتى الركبة
 كانت تغطيه موق احكمت فوق الجوارب الاحمر

(4) في ذلك العهد كانت تفتح شقوق عمودية
 في السراويل لتري نحتها انسجة اخرى من الوان
 مختلفة يزين بها السروال

الذي جئت به انا. وكان الطوق مفتوحا لتمزقه
فوضعه لي قائلين: «ان في الطوق خلا من الورا»
والى الجانبين فان التفت اليك احد وجب عليك
ان تلتفت اليه كعباد الشمس. وان اقبل عليك
اثنان ملتفتين من الجانبين فتقدم الى الامام
دون ان تلتفت وراءك ودع القبة تقع دائما
على القفا بحيث يغطي اطارها العنق ويترك الجبين
بارزا. وان سألك احد لماذا تسير على هذا الطراز
فقل لانك تقدر ان تسير مكشوف الوجه (٥) في
اي مكان كان. واعطوني صندوقا صغيرا فيه خيوط
سودا وبيضا وابرة وكشتبان ورقع من الحرير
والجوخ والكتان والحرير المطلس وغيرها من الرقع
وسكينا ووضعوا الي بطاقة في حقوى وصوفانة
وقداحة في هميان وقالوا: «بهذا الصندوق يمكنك
ان تتجول اينما اردت دون ان تحتاج الى اصحاب
ولا الى انسيا». وفيه ينحصر كل علاجنا فياكنه

٥ ويعني ذلك من الوجه المجازي انه شريف

السيرة.

واحتفظ به، ثم عينوا لي حي سان لويس مرتعا
ابحث فيه عن معاشي، وهكذا بدأت نهاري خارجا
من الدار مع البقية. لكنهم نظرا لجدتي ارسلوا
معي كمرشد لابتداء حياة الاحتيال نفس ذلك الذي
جلبني وهداني اليها.

خرجنا من الدار بخطى بطيئة والسبحات بين
ايدينا وسلكنا طريق الحى الذى عينوه لي؛ وكنا
نساء على الجميع، على الرجال بنزع قبعاتنا متمنين
او 'نا' نقدر على فعل ذلك بمعاطفهم وعلى النساء
ذاتحنات يغبطن بها واكثر منهن يغبط بها
الابانيون (١٦) وكان مرشدى يقول لاحدهم غدا
سانوتنى بدراهم، والاخر: ارجو حضرتك ان
تمهلنى يوما واحدا لاز المصرف سياطينى بها. وكن
واقفا من ذلك. ورأيت واحدا يطالبه بالمعطف وآخر
بالتكة وعرفت من ذلك انه صديق اصدقائه الى

١٦) الابانيون مفردة آبانى وهو لقب يشبه
معناه كلمة أب يطلقه على رؤسا بعض الادبار

حد انه لم يكن عنده شيء ملكه (٦) وكنا في سيرنا
 تنساب كالافعى من رصيف الى آخر تجنبنا المنازل
 الغرما. اذ كان واحد مني يطلبه بكرا الدار
 والاخر بكرا السيف والثالث بكرا الملاحف
 والقمصان مما حملني على استنتاج ان صاحبى
 فارس كرا كالبلغلة. وحدث انه ابصر من بعيد
 رجلا كان يرهقه ارهاقا شديدا بسبب دين له
 لكنه لم يكن عنده مال ليفيه اياه. وثلا يعرفه
 الغريم ارخى ورا اذنيه شعره الذى كان مجموعا
 ولصق رقعة على احدى عينيه وشرع يكلمني
 بالاطالية وقد امكنه ان يقوم بكل هذا بينما كان
 الاخر مقبلا لكنه لم يره لانه كان منهمكا في
 الهذر مع احدى العجايز والحق نقال ان رأيت

(٦) في الاسانبة مثل مضنه ان ما الانسان
 يكون لصدقه ايضا اي انه يضعه تحت تصرفه
 فلاتع المؤلف بهذا البر دعواه ها ان الشاظر لم
 كن له سيرة واعماله. لديه فخر من اخص
 آخرين : ظاهر هو تصداده

الرجل يدور حول صاحبي كالكلب يريد الهجوم على فريسته ويكرر رسم اشارة الصليب اكثر مما لو كان راقية، ثم واصل طريقه قائلاً: يا لله! ظننت انه هو، ومردداً المثل المشهور: من فقد بقره تخيل دوي الاحراس. وكنت اكاد اموت ضحكا من هيئة صاحبي، ثم دخل بهو دار ليجمع شعره ونسزع المزرقة عن عينه وقال: هذه عدة نكران الدين فتعلم يا اخي لانك ستري الكثير من هذه الامور في المدينة

وبابعدنا السير وحيث كنا في الصباح تناولنا في احدى الزوايا قلعيتين من الحلوى الرديئة وجرعة من ماء الحياة مر عند احدى الشاطرات التى اعتننا ذلك مجاناً بعد ان رحبت بمدرربي فقال: يمكن للمرء بعد تناول هذا ان يسير آمناً وان لم يجد ما ياكله في بومه فاز هذا على الاقل لا ينقصنا فنألمت حين رأيت ان طعام يومنا لم يكن مضموناً واجبه مناسفاً على معدتى فقال: يا قليل الايمان بماء طارق ورهبتها. ان الله لا يتخلى

عن الغربان والزرقان (8) حتى ولا عن الكتبة
 فهل يتخلى عن الهزلي؟ ان معدتك لا صغر من ان
 يستحيل ملؤها قلت: صدقت ولكنني اخشى ان
 يصغر عنها ما لدى وان تبقى خاوية، وبينما نحن
 في هذا الحديث دقت الساعة الثانية عشرة وبما
 اني كنت حديث العهد بهذه الحطة لم ترق لامعائي
 تلك الحلوى الرديئة التي اكلتها وكنت اشعر
 بالجوع كما لو انه لم يدخل فمي شيء سنة فالتفت
 الى صاحبي وقد جددت تلك الدقات ذكرى الجوع
 في حافظتي وقلت: ديا اخي! ان التألف على الجوع
 لتدرج شاق! لان المرء خلق اكلوا وها انذا اقاد
 في طريق الصوم وان كنت انت لا تشعر بالجوع
 فما ذاك عليك بكثير لانك على الجوع رنبت منذ
 "صغر - كما ربي ذلك املك على "سمه (1) ومسه
 اصبحت تقعات ولست اراك تسعى بجدة لمضغ

١٨ جمع زريق

١٩ "شدة الى مضيد"س ملك يوتو ندي
 ربي على جرع "سمه لثلا يفعل به فيما عد

ولذا قررت ان افعل ما بوسعي . فقال : «تبا لك
انما هي الان الساعة الثانية عشرة لا غير . وهذا
انت قد ساورك العجلة ! اجل ! ان شهيتك على
الضعام لدقيقة ومعجلة ولا بد لينا ان نتحمل بصبر
تأخر بعض الروائب ! هذا ولا الاكل طول النهار
ان ما فعل الحيوانات غير ذلك؟ ولم يرو قط ان
واحدا من فرساننا اصيب باسهال . ونفضل ان لا
نبرز على ان نذل في اقتيانتنا (10) وقد قلت لك
ان الله لا يترك احدا . وان كانت تساورك العجلة
فاني اذهب فاقناول المرق الذي في دير سان
خرونسو وهناك املا معدتي فان تتبعني
فعال والا فليسر دلمنا في سبيله . قلت : مع
السلامة . اذ ليس نوبتي قصيرا لاكمله بما يفضل
من انواب الغير (11) وليتبع كل منا طريقه ،

(10) اني انا لف بجناس في كلمة prover
وهي هنا هكذا اقات نانا لحما الضمير هو صار من
حصة معاشها نرى .

(11) اني اسر بحاجة الى الآخرين

وكان صاحبي يسير بخطوات يسمع لها وقع شديد متطلعا الى رجله ثم اخرج فناقا من الحيز كان يحمله دائما لهذه الغاية في صندوق صغير فذره على ذقنه وثيابه بحيث كان يظهر بمظهر الأكل اما انا فجلت اسر واستاك اخفا الهزالي وانظف شاربتي وقد قلثمت والقيت المعطف على كتفي اليسرى وجعلت العب بسبحة ذات عشر خرزات فقط. فكر من راني ثخن اني اكلت. ولو انه ظنوا ناني اكلت (12) وُنْ آكلِي هو "قمي لما اخضأوا".

وكنت اسير واقفا بدنانيري وان كان ضميري يوبخني على انه مما يخالف انظمة الجماعة ان بعش من الدنانير من كانت امعاؤه طفيلية في

(12) جاء مؤلف بجناس في كلمة Comido وهي اسم المفعول من فعل Comer لكننا تستعمل ايضا بمعنى اسم الفاعل. وهنا استعمالها المؤلف في المعنيين اولاً كاسم فاعل ثم كاسم مفعول في جملة بصيغة المجهول

الحياة. واخيرا عرمت على الفطور واثنا هذا بلغت زاوية زقاق سان لويس حيث يقطن بائع معجنات فرايت واحدة محمصة من ذوات الثمانية دراهم تطل من الواجهة مرسله نفسها الحار الذي تغلغل في انفي فعلقت بها في الحين نظرا للحالة التي كنت فيها - كالكلب الصاري؛ فاحدقت فيها نظري احداقا يبست منه كالمسحور وان نظرت الى ما نصبته من الحيل لاختلاسها لرأيت العجب العجائب لكنني في آخر الامر عزمت على دفع ثمنها. وبينما انا في هذا دقت الساعة الواحدة. فتألمت الى حد اني قررت ان اخرج حالا احد المطاعم وانا الذي كنت اترقب فرسة ارتمي عليها فقد شاء الله ان التقي اذناك باحد اصدقائي الماذون ملتشيا الذي اقبل معرونا في ذلك الزقاق وقد لطخت جبته بالاولحال فشابه عجنة ذات دولابين وما ان ابصرني - ولم يكن ذلك بالهين لو تأملت شكله حينئذ - حتى هجم علي وتعانقنا عناقا وديا. وسالني عن حالي. ثم قلت له: - يا صاح كم لدي من الامور لاقصها عليك

وانما يؤمني ان نبد لي من السفر الليلة قال:
«وهذا ما يؤمني ايضا واولا ان الوقت قد فات
وعالي ان اذهب على عجلة لاكل لتوقفت معك
مليا. لان شقيقة لي متاهلة وزوجها ينتظراني». .
فقلت: «او سيدني حنة هنا؟ فوالله لازورنها ولو
اضطرت الى ترك كل شيء. فسر بنا لانني اريد
ان اقوم بالواجب نحوها .

وقد فحت عيني حين سمعت انه لم ياكل
وذهبت معه وشرعت اخبره بانني اعرف مقر احدي
النساء - وكان قد عشقنا كثيرا حين كان في
القلعة - واني اقدر ان ادخله الى دارها. فعلمت
نفسه بهذه الدعوة. ورايت ان الحيلة في قص ما
وافق مشتاه. وبلغنا داره ونحن في هذا الحديث
فدخلناها وعرضت نفسي مرارا وتكرارا على اخيه
وزوجها اللذين لم يؤولا مبالعتي في الاحشاء .
الا لمجيئي في تلك الساعة فاخذا بعذران قائلي
لو انهما عرفا بان ضيفا كريما ملي سيحل عليهما
لا عدا شيئا لائقابه. فاغتنمت الفرصة ودعوت نفسي

قائلا اني اعتبر نفسي من جملتهم واني صديق
قديم وان المجاملة بيننا من الالهانة. فجلسوا وجلست
ولاهون الامر على صاحبي - الذي لم يدعني في
الواقع ولم تخطر له دعوتي على بال - جعلت
اغريه بين فرة واخرى بالفتاة قائلا له انها سالتني
عنه وانه يحتل قلبها وغير ذلك من الاكاذيب
المشابهة لهذا. فكان لدى سماعه كل هذا يزداد صبرا
وتحملا لرؤيته اياي ازدد الطعام 'لاني فتكت
باللون الاول منه ولا فتك الرصاص بسربال من
الجلد (13). ثم جاء دور قدر اللحم والشحم والخضر
فكدت اقضي على كل ما فيها بلقمتين دون سوء
قصد وانما كنت اسرع في الابتلاع كائني والطعام
بين اسناني لم اكن واثقا من صبرورنه الي
والله عليهم بان تربة مقبرة لا اتيغوا في بلد الوليد (14)

-
- (13) جاء المؤلف هنا بجناس في كلمة 'Ante'،
ومعناها اللون الاول من الطعام وهو الذي قصد
ه. اولا والجاموس وهو الذي قصد به ثانيا.
(14) كانت تروج بين العامة اسطورة مفادها

ليست اسرع في تحويل الجثث هباءً منثوراً - وهي
تفتتها في 24 ساعة - مما كنته في القضاء على
طعام يومهم كله اذ فقت بذلك سرعة بريدا
مستعجلاً ولا بد انهم لاحظوا جرعاتي المفرطة
واستنزافي القصعة ومطاردتي العظام واتلافي اللحم
وان صدقت القول اخبرتك ايضا اني بين جد وهزل
رصدت جيبى بالفتات. ثم رفع السماط وملت انا
وصاحبي الى ناحية نتحدث في شان ذهابه الى دار
من ذكرت واكثرت في نهوبن الامر عليه وبينما
كنا نتحدث امام 'حدى' لنوافذ تظاهرت بان
شخصاً يناديني من الشارع فقلت مجيباً: ايلي
تنادى ايها السيد؟ رويدا فاني هابط، واستاذنت
صاحب قانلا له اني ساعود فيما بعد وبقي ينظرني
حتى ابروه انني احنفت عملاً بالمل قائل:
'خبز مأكول وصحبة مفصومة، والمقبت به مرارا

ان قرية مقبرة سيده 'لا انميغوا' la Antigua في بلد
الوليد جلبت من ابحاً بعدة وان لها ميزة خاصة
وهي انها تفتت الجثث في 24 ساعة.

عديدة فاعذرت له عن تخلفي قاصا عليه الف
كذبة لا مجال لذكرها الان.

وسرت على وجهي في انشوارع كيفما قدر
الله فالتفتي بى السير الى باب وادى الحجرة (15)
فجاست على مقعد من المقاعد التى يضعها التجار
على ابوابهم وشاء الله ان تصل اذ ذاك الى الخانات
امراتان - من اللواتي يقترضن على وجوههن (16)

وقد تحجبتا فلم يبين منهما سوى عين واحدة
يصحبهما خادم وعجوز فسألنا صاحب الخانات عما
اذا كان عنده مخمل حريري مطرز من النوع
الفاخر واخذت انا حبا بفتح حديث معهما انا لعب

(15) باب وادى الحجرة - كان هذا واقعا في
الشارع الاكبر بالقرب من بالاترياس وهو اليوم
زقاق مدينة رودريغو، وكانت في ذلك العهد
خاصا بالخوانيت ومجتمعا للعاطلين.

(16) يقال عن شخص انه يقترض على وجهه
اي دون ان يقدم ضمانا لدائنه لانه معروف .

بكلمة «ترسيو» (17) و «بلادو» و «يلو» و «أيلو» و «بيلي» فلم ادع شاردة ولا واردة تمت اليها بصلة حتى اتيت بها فشعرت بان طلافني حملنها على الاعتقاد بانني صاحب الامر والنهي في الحانوت. فعرضت عليهما ما بتمنيانه مخاطرا في عرضي شأن من «لا يخاف على شي» يخسره، فاعذرتا مدعيتين انهما لا يقبلان شيئا معن لا يعرفانه فاختنمت الفرصة قائلا انه لمن الجراءة ان اعرض عليهما شيئا. ولكني رجوتهما ان يقبلاني بعض الاقشة وعلتنى من مدينة ميلان وسيحملها ليهما ليلا احد الخدام - وشارت الى خادم كان واقفا ازا الحانوت ينتظر مولاه الذي كان في حانوت آخر ولذلك كان مكشوف الرأس فقلت انه خادمي - وجعلت ارفع قبعتي لكل المارة من وجهها

(17) كلمة ترسيو بيلو معناها «المخمل الحريري» وهي تتألف من كلمتين: «ترسيو» ومعناها الثالث و «يلو» ومعناها شعر

ومعممين (18) محييا اياهم كما لو كانت روابط
الصدقة محصية بيننا دون ان اعرف واحدا منهم
لاحملهما على الاعتقاد بانى ذو جاه كبير ومقام
رفيع، فمن هذا التصرف ومن رؤيتهما اياي اخرج
دينارا ذهبيا من الدنانير التى كنت احملها
هاما بان اتصدق به على مسكين استجدانى
استنجا اني من عظماء الاشراف، وازمعا على
مغادرة الخانوت لغوات الوقت فاساذناني وشعرت
من جهتي بان الخادم ذاهب ايضا فطلبت منها
مستعظما لمن يطلب منحة عظيمة سبحة نظمت
خرزاتها فى سلك من ذهب كانت تحملها اجملها
ضمانة على انه لا بد لى ان اراهما، وونقنا بي
بقصد الاحتفال على بكمة اكبر منها، وسألناى

(18) ترجمت بمعمين لفظة Oxidor وهو اسم
كان يطلق اذ ذاك على موظف قضائي عال يسمع
الى الدعاوى المرفوعة الى المحاكم الاستئنافية ويفصل
فيها، وعلى راسه تبة خاصة تكاد تشبه العمامة
السوداء.

عن داري قائلتين ان الخادم لا يقدر ان يدخل دارهما اية ساعة كانت لانهما من طبقة الكبار. فسرت بهما في الشارع الاكبر. وحين دخلنا زقاق دلاس كاريطاس، اتقيت احسن واكبر دار ظهرت لي وكان على بابها عربة بلا خيل. وقلت لهما انهما داري واضفت قائلاً ان الدار وصاحبها والعربة تحت تصرفهما. وتسميت بضون البرودي قرطبة ودخلت في الباب على مرأى منها. واذكر اني حين خرجنا من الحانوت اومأت بهيئة الامر الى احد الخدم ليأتي الي. وتظاهرت بانني اقول له ان يقولوا كلهم وينتظروني هناك وفي واقع الامر سألته اذا كان هو خادما عند عبي الكومندادور (19) وهكذا تمكنت من ان اتصرف بخدم الغير كما لو كنت من الاشراف حقاً

اقبل الليل فالتجنا كلنا الى الدار. واذ دخلت وجدت جندي الخرق وبمده شعة كبيرة وغليلة دفعت اليه ليرافق جنازة ميت فجاءتم. وكان

(19) رتبة في الجيش او في جمعية الثرسان

صاحبنا هذا يسمى -ماغاثو- واصله من اولياس (20) وقد مثل دور "كاييطان" في احدى المسرحيات الهزلية وحارب المسلمين في احدى الرقصات فاذا تحدث الى الذين اشتركوا في حرب فلانديس قال انه خاض غمار حرب الصين واذا تحدث الى الذين اشتركوا في حرب الصين قال انه شهد حرب فلانديس وكان يحاول تاسيس ميدان وهو لا يحسن الا ان يتغلى فيه وبذكر القصور ولم يرها الا مرسومة على النقود. ويغدق المديح لذكرى ضون خوان (21) ويكم مر مرة سمعته يقول عن لويس كبخادا (22) انه كان مفخرة الاصحاب. ويكثر من ذكر الاتراك والمراكب البحرية وامراء البحر وكل

(20) اولياس Olías بلدة في مقاطعة مالقة،

واولياس دل اي: بلدة في مقاطعة طليطلة.

(21) ضون خوان دي اوستريا شقيق الملك

فيليب الثاني وقائد القوات الاوربية في معركة ليبانطو

(22) لويس كبخادا Luis Quejada بطل اسباني.

ما قرأه حول هذا الموضوع في مقطوعات شعرية كانت رائجة حينئذ. وبما ان صاحبنا لم يكن يعرف شيئا من شؤون البحر - اذ لم يكن فيه من بحرى سوى اكل اللفت (23) - قال متحدثا عن المعركة التى ربحها ضون خوان في ليبانطو: ان ليبانطو هذا مسلم شجاع قوى الشكيمة وحيث لم يكن المسكين يعرف انه اسم للبحر قضينا معه في استماع هذا الحديث ساعات لذيدة وممتعة.

وبعد ذلك دخل رفيقي مهشم الانف مضمدا الرأس ملطخا بالدم وملوثا بالاقذار، فسألناه عن سبب حالته هذه فقال انه ذهب الى دير سانت خيرونيمو لتناول المرق الذى يوزع هناك وطلب جارية مزدوجة مدعيا انها لأشخاص ذوي مروة

(23) انى المؤلف بجناس في كلمنى naval ومعناها بحرى و nabal ومعنا اغني اي نسبة الى 'اللفت' وبما ان حرفى B و V يلفظان باً في 'الاسبانية' كانت الكلمتان متشابهتين تماما في اللفظ. وكثيرا ما يرتكب خطأ في الاملاء بسبب هذا التشابه

عضت عليهم انياب الفاقة، فنزعوها من بقية
 المستجدين لبعثوه اباها. لكن هؤلاء وقد اشتد
 حنتهم تبعوه وابصروا في احدى الزوايا وراء الباب
 يجرع المرق مطمئنا ودار الجدال حول ما اذا كان
 يجوز للمرء ان يخدع ليزدرء وان ينزع من
 الآخرين نينال هو فارفعت اصوات عقبتها عصي
 وبعد العصي الاخاذيد والورم في رأسه المسكين
 وهجموا عليه بالاباريق اما الورم في الانف فقد
 احذته له احدهم بتقصة من الخشب قريبا اليه
 يشمها بسرعة اكبر من اللازم ثم جردوه من سيفه
 وعند قيام الجنبه خرج البواب اليهم لكنه عجز
 عن احلال السلم بينهم وقد وجد اخونا نفسه في
 مازق حرج الى حد انه صار يقول لهم «انى أرجع
 لكم ما أكلته، ومع هذا لم يكونوا ليقتنعوا لانهم
 أصبحوا لا ينظرون الا الى انه كان يطلب من
 اجل أشخاص آخرين أنفا من ان يحسب نفسه
 بين عداد مستجدي مرق الدر وكان احد الطلاب

اطفيليين من ذوي الغزر (24) يصبح قائلًا: «ألا
فانظروا هذا المركب من خرق كدمية الاطفال. وقد
أصبح اشد حزنًا من حانوت الحلوى في زمن الصوم
واكثر نقوبًا من المزمار واكثر نقطًا من كتاب
موسيقى. مع ان بين من يلتمسون مرق القديس المعظم
(25) من يقدر ان يكون اسقفًا واية سلطنة دينية اخرى
ولا يانف من استجدًا طعامه. الا اني حائز على
الاجارة في اتنون من سغونثا (26) وتداخل البواب
في الامر حين سمع شيخًا من جملتهم يقول انه وان
اقبل على المرق الذي يوزع على الفقراء فهو من
سلالة القبطان الاكبر وله انساب من الكبار
وهنا افرك الكلام عن هذا الحادث لان صاحبي
صبح خارجًا وخلصت عظامه من الضغط.

-
- 24 اي من المذنب الفقراء الذين كانوا
يحملون غزرا لجمع الفئات وبقايا الطعام
25 اي الذي يوزعه المدير الحامل اسم القديس.
26 سغونثا Sigüenza بلدة من مقاطعة وادي
الحجارة مشهورة بأثارها القديسة

الفصل الثالث

وفيه يتابع الحديث حول الموضوع نفسه حتى
ينتهي الأمر بإبداءهم السجن جميعا

— — —

دخل ميرلو دياس. وقد احببت بسط من
الخرف والخرز سرقها دون ان يخشى الله من دير
راهبت عرج عليه دستسقيا لكن خون لورثو دل
بنروسو فاقه شارة اذ اقبل وعليه معطف فاخر
بدن به حول المائدة الخضراء معطفه الذي لم تبق عليه
شعرة واحدة. وكان من عادة صاحبنا هذا ان
ينزع معطفه كمن يريد اللعب ويضعه مع المعاطف
الآخري. ثم يذهب بعد ذلك - اذ لم يكن يشترك
قط في اللعب - لياخذ معطفه فبستولي على احسن
واجد معطف يبدو له ويخرج وكان يستعمل هذه
الحيلة في لعبتي الحلقات والاكور.

لكن هذا كله لم يكن شيئا يذكر بالنسبة لمشهد

ضون كوسمي د'خلا وقد احاط به قتيان متابون
 بمختلف الامراض العاهات. فمنهم بدأ الخنازير
 وغيرهم بالسرطان والآخرين بالبرص ومنهم الجرحي
 والتدف. وسببه ان صاحبنا ادنى معطاة الرقية
 مستعملا بعض التعاويذ والصلوات التي تعلمها
 من احدى العجائز وكان يفوق في 'حتياله' اذ خرين
 كلهم لانه ان رأى شخصا قبل مسنقيا ولا شدا
 فاتنا تحت معنقه او لم يسمع رنين 'تنقود' في جيبه
 او صياح ديوث مسنة فلا مجال لسفائه. وكان
 شره ممنا وبجره اناس على اعتقاد كل ما يجب
 لانه لم يلد من يضاھيه في فن الكذب ولم يخرج
 قط من فمه - ولو سهوا - كلمة صدق. وكان
 يتحدث عن اطفال يسوع وه حل 'الموت مردد'
 كلمة 'حمد لله وبكره وفنيكر' الروح نندس
 معكم جميعا وبجره جبار المضرة كاملا وغو سائف
 من سبعة ذوات حبات غلبة وطرف سوت ملصق
 بدم الانف يرى عند ما يتحرك تحت المعطف
 وبجره على الاعتقاد - بنحريكه كتفيه وظهره

كذب يحنك - بان القمل مسوح وان الجوع الفناك
انما هو صوم اخنيارى. ويقص قصص تجارب وحين
نذكر اسم الشيطان بقول اعاذنا الله ووقانا،
وبقبل الارض حين ندخل الكنيسة ويدعو نفسه
بالقبر ولا يرفع عينيه الى النساء وانما يرفع انوابهن
فبيذه الامور كان مسبطا على عقول العامة بحيث
يستسلمون اليه وكان ذلك كاستسلامهم الى
الدين. اصف الى هذا كله انه كان مغامرا
وفضلا عن ذلك ضاعيا. وكان يحلف باسم الله
تارة بالباطل وطورا بلا داع. اما من ناحية النساء
فكان له اولاده وحبيبان من المومنات بتعاونه
والخلاصة ان وصايا الله التي لم يكن يخالفها (1)
كان بفرضها

واقبل بولانكو محدثا جلبة كبيرة وطلب

(1) اتى المؤلف بجناس في فعل quebrantar وله
معنيان كسر وخالف - فاستعمله بالمعنى الاول ثم
استعمل المعنى الثانى لابراد فعل فرى مبالغة في
الكسر

كيسا اتعجب اللون وصليبا كبيرا ولحية منوية
مستعارة وجريسا وكان يسير لالا على هذه الهيئة
مناديا تذكروا الموت واحسنوا الى نفوسكم
التي .. فيجمع بهذه الوسيلة صدقات عديدة ويدخل
البيوت التي يراها مفتوحة فان لم يجد شاهدا
او عاتقا سرق كل ما وقعت عليه يده وان غمر
عليه قرع الجربس قائلا - بصوت ينصعه كصوت
قائب شديد الندم - تذكروا يا اخوتي الخ ...

فكل هذه الحزن الاخلاصة وعمرها من
الاساليب العجيبة نعمتنا الى حاديه حائل شهر
واحد. وانعد الان الى قصتي فقد اريهم "سبحه
وقصصت عليه الخبر فاعجبوا بالحكمة واحذت
العجوز السمحة لسمعتها وشرفت ندحى البار
تارضه انها صلة اني لعمري فقرة رايت بها
الأكلي سمها ان كان لديها لكل حقه ككديه
وخدنة. ولما انت العجوز كلما حطت خطوة تكمي
ونضم ندتها واحدة الى الاخرى وسجد من اتفاق
صدرها بهذا الينا ونسوي الجمع اناتها ونلس

فوق قميص فاخر وصدره وفستان وشملة
كيسا موزقا من الصوف الخشن استعارته من
سدبق لها عابد كان يقيم في عقبة القلعة
وكانت اعجوز هي التي تحكم العصاة فنشير
وتستر ركن نساء انليس الرجيم - الذي لا يعرف
البثالة في ما يتعلق بعبيده - انها بينما كانت
ذاهبة الى احد المنازل لتبيع بعض الثياب واشياء
اخرى عرف واحد من الناس حاجة له فذهب
وجاء بمأمور العدالة فقبضوا على العجوز التي
كانت تدعى "لام لبروسكا" ثم اعترفت بالقضية
كلها من الثمن الى يائها واخبرت كيف تعيش
كلنا وانا فرسان نهب وسلب

فتركها مأمور العدالة في السجن وجاء الى
الدار فوجدنا فيها جميعا وكان يصحبه ستة
جلاوزة - وهم الجلادون المشاة - وقاد جماعة الشطار
كلهم الى السجن حيث اشرفت الفروسية على
هاوية خطر كبير.

الفصل الرابع

ويوه وصف السجن وما جرى فيه حني
خروج العجوز مجلوثة والاصحاب الى
العار وخروجي اذا بضمانة

بعد ان فيدوا كلاً منا بزوجين من اليهود
اودعونا سجنًا مثلاً وحين رايت نفسي ساقراً
الى ذاك المقر مددت يدي الى المال الذي كنت
احميه فاحرجت ديناراً ذهبياً وقلت للسجان:
بناء موثي فتنسبني حضرتك سراً ولكي يتمني
الي اريته الدينار فما راد حني دفعني الى جانب
فقلت له ارجو حضرتك ان تشفق علي رجل
خير، وقتشت عن يديه وبما ان راحتيه كانتا
معتادتين علي حمل هذا النوع من الأمور فقد

تدهما حان: على الأربعة وعشرين بليوناً (1)
قائلاً: «سأحقق في شأن مرضك وإن لم يكن
ذا حظوة أنزلتك إلى حيث يودع المقيدون»
ففهمت الخبلة واجبته مذللاً فتركني خارجاً بينما
انزل أصحابي إلى أسفل

وإني أضرب صفحاً عما أثار مشهدنا من
الضحك في السجن وفي السوارع. إذ جئ بنا
مقيدين يسوقوننا دفعا وبعثنا بلا معاضد والبعض
الأخر بمعاضد تجر على الأرض فظهرت أجسام
مربعة بلقاءً وأجسام أخرى شابحت مزيج الخمر
الأسود بالابيض فكنت ترى الواحد منا وقد أمسك
الجواز بلحمه لتكون يده على شيء تثق أنه لا يفلت
منها - حدث ضاحك ما عليه عابدة في القدم - ومع
هذا كله لم يكن أبعد ما بمسكه لأن الجوع كان
قد فلك به فصلاً شريعاً. وترى الآخرين يتركون
بين يدي الجلاوزة خرق الأقبية والسراويل. وحين

(1) أسيرة إلى الأسكودو الذهبي الموازي في

عرفهم 24 بليوناً

رفع الجبل الذي كانوا مربوطين به اذا باسما
كثيرة قد علقت به. واخيرا حين اقبل الليل
ذهبت لانام في غرفة الاشراف. واعطوني سريرا
وياله من مشهد ان ترى البعض ينامون مغلفين
دون ان ينزعوا شيئا من ملابسهم النهارية بينما
البعض الاخر ينزعون دفعة واحدة كل ما عليهم
من الثياب وآخرون غيرهم يلعبون. وفي آخر
الامر اغمضوا اجفانهم واطفيء النور

ثم نسبنا جميعنا القيود وحبث كان المبرز
جانب رأسي ما كاد ينتصف الليل حتى اصبح
الامر بين مجي مساجين واطلاق مساجين (2)
فخلت في بادي الامر حين سمعت الدوى انه رعد
وشرعت ارسه اشارة الصليب واستعيدت القديسة
بربارة. واكنى حين بلغت انفى الرائحة الكريهة
ادركت انها لم تكن رعودا من اصل رفيع، وكانت

12 بكنى بالاسبانية بعبارة اخلاق مساجين،
عن الضرطة. اي ان المساجين اخذوا يردون الى
المبرز فسمع ضرطهم

رائحتها من الكراهة بحيث اضطرت الى دفن
انفسى في الفراش وكان البعض منهم قد جاءوا
بالاسهال والآخرين بمخادع (٣) واخيرا رأيت نفسى
مضطرا ان اقول لهم ان ينقلوا المخدع الى مكان
آخر. ولكن ما لبث ان احتدم الجدل بيننا حول
ما اذا كان يتجاوز الحد في الاتساع ام لا. فلجأت
الى استعمال رتبة مقدم (٤) اذ خير لك ان تشغلها
في صفقة منه في قشتالة (٥) وما كان مني الا ان
ابلغت التكة وجه احدهم فحاول ان ينهض عاجلا
فقلب المبوته وارق ما فيها، وعلى الجلبة افاق
الكل. وهناك جعلنا تتقارع بالحبك تحت جنح
العمية لكن الرائحة كانت قوية الى درجة انها

٣ اتى المؤلف بجناس في كلمة *cámara* ومعناها
غرفة - وايضا اسهال - واتبعها بكلمة *aposento*
التي معناها غرفة او مخدع
٤ اي خير لك ان تكون البادى* في الصفح.
٥ مقدم في قشتالة *adelantado en Castella*
كانت رتبة رفيعة في ذلك العهد

اجبرت الجميع على التفاوض وبعد اارتفعت الاصوات بالصياح فظن قائد السجن ان بعض مسجونيه قد فروا فصعد راكضامصحوبا باعوانه وقد شكوا السلاح كلهم فوصل وفتح الباب وادخل الضوء واستخبر عن الامر فحكم الجميع عاي وكننت اعتذر قائلا انهم لم يتركوني اغمض عيني طول الليل من شدة فتحهم اعينهم (6) وظن السجن اني سافحه بدينار لثلا يزجني في السرداب فتمسك بالمسألة وامر بزجي فيه فقررت ان ارضى بذلك قبل ان تمتد يدي من جديد الى الصرة. فاقتدت الى السرداب حيث استقبلني الاصحاب بالزغردة والفرح.

بت تلك الليلة دون غطاء واف، ثم اصبح الصباح فغادرنا السرداب ورأبنا وجوه بعضنا البعض واول ما ابلغنا اياه هو العطاء من اجل النظافة والا تعرضنا لحيلة مرة المذاق (7) فاعضيت

(6) كلمة عين تطلق ايضا على الاست في

الاسبانية وهذا ما قصد به هنا

(7) كانت العادة ان يدفع المسجون الجديد

انا ستة دراهم. اما رفاقي فلم يكن لديهم ما يعطونه
 فاجلوا الى الليل (8) وكان في السجن فتى اعور
 طويل القامة اسبل كتيب الوجه ذا ظهر مرتفع
 طالما حمل اسواطاً (9) وكان ما يحمله من حديد
 يزيد على حديد بسكاي (10) وهو عبارة عن زوجين
 من القيود الغليظة متصلين بسلسلة ضخمة وكانوا
 يسمونه «الحيان» ويدعي انه مسجون لشؤون

قدرا من المال يسمى حق الدخول، يتنعم به
 المسجونون «الاقدمون» فمن امتنع عن دفعه دبروا
 عليه حيلة كأن يضربونه ليلا في العتمة ويصبح
 الجميع منوهين في نفس الوقت كأنهم يضربون
 ايضا.

١٨ اي تدبر عليهم الحيلة في الميز

١٩ اتى المؤلف بجناس في كلمة *cargado* ومعناها
 «محمل» وهى المقصودة في قوله «حمل اسواط»
 اي جلد. وباضافتها الى كلمة *espaldas* اي ظهر
 يتألف منها تعبير معناه «مرتفع الظهر»

(10) مقاطعة من اسبانيا الشمالية

هوائية فظننت انه بسبب بعض الاكيار او المراور
او المراوح. والذين يسألونه عما اذا كان شيئاً
من هذا يجيب ان لا بل بسبب خطايا الورا
ففكرت انه يعنى بها امور سابقة قديمة. ولكني
في نهاية الامر عرفت انه مسجون لكونه مواطياً
وحين كان قائد السجز يوبخه لارتكابه شيطنة
ما كان بسميه «ساقى الجلال ومستودع الخطايا العام.
واحيانا اخرى كان يتهدده قذلاً: «انك تتعرض انما
المسكين لعقاب النار (11) فوالله اني لقاتلك في
طريقي وكان قد اعترف بالامر هذا وقد حملنا
فسقه على احاطة اكفالتنا جميعا بالسواجير الشائكة
ككلاب الحراسة. ولم يكن احدنا ليجرأ على الضرب
لثلا بذكره بموقع اليه. وكانت الصداقة مستحكمة
بين رجلنا هذا وسجين آخر يسمى روبليدو
ويعرف ايضا باسم «التريدو»، وكان هذا بدعي
انه مسجون لسخائه وحين الحوا عليه في السؤال
ظير انه لسخاً يديه في اصطياد كل ما تقعان

(11) لان المواطنين كانوا يحرقون في ذلك العهد

عليه . وكان قد سيطر اكثر من خيل العجلات
لان كل الجلادين جربوا ايديهم فيه . وعلى وجهه
من آثار (12) الطعن ما لو كشف لما غلبه اكثر
اللاعبين نقطا . وكان وحيد الادن افطس المنخار
مشقوقة بضعة . والى هذين الرجلين يتقرب اربعة
آخرون - يحسنون الاختلاس كمحترفي السرقة -
مقيدوز ومحكوم عليهم بشقيق رومولو (13) واما
هم فكانوا يقولون انهم عما قريب سيتمكنون
من القول بانهم خدموا الملك في البحر والبر . ولا

(12) اتى المؤلف بجناس في كلمة punto فاستعملها
اولا بمعنى 'اثر الطعنة او الجرح' ثم بمعنى 'نقطة'،
عند الاشارة الى اللعب بالورق حيث يربح من
يجمع لديه اكبر كمية من النقط

(13) شقيق رومولو هو 'ريمو' وهما حسب
الاسطورة مؤسسا مدينة روما . وكلمة Remo معناها
في الاسبانية مجداف اي انه حكم عليهم بجذف
احدى السفن . وكان هذا النوع من العقوبات
شائعا في ذلك العهد

سبيل لوصف الفرح الكبير الذي كانوا ينتظرون
فيه حلول ساعة ارسالهم الى تنفيذ العقوبة.

فهؤلاء كلهم - وقد غمهم ان يروا رفاقي
لايساهمون بشئ - قرروا تدبير حيلة قاسية عليهم
ليلا بواسطة حبل معد لهذه الغاية. فحين اقبل
الليل دعينا الى آخر غرفة في الدار ثم اطفأوا
الضوء. فاخبتأت انا تحت الدكة وبدأ اثنان منهما
يصفران والاخر يقرع بالحبل. ولما رأى فرساننا
المساكين صفقتهم خاسرة. شدوا اجسامهم - تلك
الاجسام الجائعة التي فعلت بها الحكة والقبل
فعلتها - بحيث اتسع اثم جميعا خصاص الدكة.
فكانوا كالصئبان في الشعر او كالبق في الفراش
وكان يسمع دوي الضربات على الخشبة فيسكت
هؤلاء. ولما ابصر اولئك المكرة انهم لا يشتكون
انقطعوا عن ضرب السياط وشرعوا يرمونهم بالاجر
والحجارة وقطع الردم مما كان مجموعا لديهم.
فاصابت واحدة منها ضون طوريبيو على قفاه
واحدثت له فيبا انتفاخا بعلو اصبعين. واخذ بصيح

فأثلا انهم قتلوه لكن المكرة شرعوا يفتنون جميعا
ويحدثون جلبة بالقيود أثلا يسمع عواؤه فحاول
ان يفتبى" ولذا امسك بالآخرين ليزج بنفسه
نحتهم فوقعت بينهم مشادة كانت تسمع من جرائها
قرقة عظامهم كاللوحات التي يقرعها المتسولون
وهنا فاضت روح اقبيتهم ولم تبق عليهم خرقة
قائمة وقلت الحجارة والردم وما مر سوى وقت
قصير حتى كان في رأس ضون طوريبو من
"ضربات اكثر مما في قبا" مفتوح من الشرائط
الحريرية المذهبة (14). ولما لم يجد سبيلا للنجاة من
ذلك البرد المنهار عليه ورأى نفسه على وشك
لموت شهيدا - دون ان يمت الى القداسة ولا الى
"صلاح بصلة - صاح قائلا ان اتركوني اخرج
وبعد ذلك ادفع ما على واسلمكم ثيابي رهينة
فقبلوا منه بهذا الاقتراح وبالرغم عن الآخرين

14) اتى المؤلف بجناس في كلمة golpe ومعناها
ضربة. وايضا زينة في الثوب مؤلفة من شريطة
حريرية مذهب

الذين كانوا يدافعون عن انفسهم معه نهض كما
امكنه الامر. وقد شج رأسه فمال الى جانبي اما
البقرة فمع اسراعهم بالاتفاق على ان يحذو حذوه
في الوعد كان قد سقط على رؤوسهم من الاجر
اكثر مما عليها من الشعر. فعرضوا البسته مقابل
«رسم الدخول» بعد ان فكروا بانه خير لهم
ان يلزموا الفراش عراة منه جرحى. فتركوه
وشأنهم تلك الليلة. وعند الصباح طلبوا منهم ان
يتعروا. فتعروا واذا بكل البسنهم لا تصلح ان يؤخذ
منها فتيلة، وبقي اصحابنا في الفراش اعني ملتفين
بدثار خلق كان الجميع يتفلون فوقه. فما عتسوا ان
شعروا بالغطاء يتحرك فوق اجسامهم. وذلك انه
كان في الدثار من القمل ما هو جائع ولا جوع
الكلاب وما يزدرد كما لفطر بعد صوم ثمانية ايام
ومنها الضخمة ومنيا ما يمكن رميها على اذن
ثور. فظن اصحابنا ذلك الصباح انه سيكونون
فطور القمل فنزعوا عنهم الدثار لاعين حظه
واخذوا بهشمون ابدانهم باضافتهم حكا. اما نا

فخرجت من الدهليز قائلاً لهم ان يعذروني اذا
كنت لا اظيل مجالستهم لانه يهمني ان لا اظيلها
وعاودت يدي السجان بثلاثة تقود من ذوي الثمانية
دراهم. وحين عرفت من هو كاتب الدعوى بعثت
في طلبه فتي ممن يخدمون مقابل حلوان فجاء
وادخلته احدى الغرف واخذت اقول له - بعد
ان تحدثنا في الدعوى - ان لدى ما لا ما ورجوته
ان يحفظه لي وديعة وان يساعد ما يمكنه الامر
شريفا منحوس الطالع اقتيد مخدوعا لارتكاب هذه
الجريمة فقال وقد انطلت عليه الحيلة وصدقني ان
نقطة الدائرة هي بين ايدينا. فاذا اراد احدنا ان
لا يكون رجل صلاح يمكنه ان يسبب شرا كبيرا
وان عدد الذين دفعت بهم الى القوارب (15) مجانا
لشهوة في النفس فقط لاكثر مما في الدعوى من
الحروف فثق بي وصدقني بانني ساخرجك صحيحا
سالمًا

(15) 'ي الذين حكم عليهم بجذف القوارب -
وكان هذا من جملة الاشغال لشاقة التي يحكم بها

وذهب بعد هذا الحديث ولم يلبث ان عاد
 وسألني من الباب شيئاً للخير ديفغو غرسيا مأمور
 العدلية الذي لا بد من كم فمه بكمام من الفضة
 وذكر لي شيئاً آخر عن قارىء الدعوى ليساعد على
 حذف فقرة بكاملها وقال: اعلم يا صاح ان قارىء
 الدعوى يكفيه ان يرفع حواجه ويغلق صوته
 ويرفس الارض برجله ليستلفت نظر القاضي الساهي
 - وغالبا ما يكونون هكذا - ليقتضى على واحد من
 الناس، ففهمت مراده واضفت خمسين بليوناً اخرى
 ومقابل هذا قل لي ان اقوم طوق المعطف واعلمني
 بدوائن لمعالجة الزكام الذي اصابني من برد
 السجن وفي الاخير قال لي: «روح عن نفسك فان
 ثمانية بلايين تضعها في يد قائد السجن كفيلة
 بان يخفف من همك. لان هؤلاء قوم لا ياتون
 بعمل صالح دون فائدة يجنونها منه، فاعجبيني
 بالملاحظة هنا وفي نهاية الامر ذهب في حال سبيله
 واعطيت السجن دينارا فنزع القيود من يدي
 وسمح لي بان ادخل داره.

وكان له زوج كأنها الحوت وبتان كأنهما من
 نبات ابليس لما اتصفا به من قبح وحمق فضلا عن
 الفجور بالرغم عن قبح خلقتهما. فحصل يوما ان جاء
 السجان - واسمه فلان بن بلاندونس دى سان بابلو
 واسم زوجته ضوفيا آنا مورايث - ليأكل وهو
 ينفخ غضبا وكنت انا هنالك فلم يرد ان يأكل
 فاقربت المرأة منه وهى تتوقع هما كبيرا وارهقته
 بأسننتها الملحة كالعادة حتى فار جأشه وقال: «وما
 عسى ان يكون؟ فان ذلك اللص الحبيث «المندروس»
 المكلف بالمنزل قد قال لي - اثنا مناقشة وقعت
 بيننا على الكرا - انك غير نظيفة» فقالت: «اكل
 هذه الاذئاب ازالها عني هذا الحبيث؟ فوحياة جدي
 انك لست برجل والا لحقت له لحيته. اترى انادي
 خدمه لينظفوني؟ ثم التفت صوبي وقالت: الحمد
 لله فانه لا يقدر ان يدعوني يهودية مثله فان
 نصفه محتال والنصف الاخر يهودى وماله على
 هذه النسبة ايضا. ووالله يا ضون بابلوس لو
 سمعته لتأكدت ان على ظهره صليب سان

اندريس (16). واذاك قال "سجان وهو ينقطع حزناً: آه يا امرأة! لقد سكّنت حين قال انك تحملين على ظهرك كبتين او ثلاثاً (17) وان ما ذكره من الوساخة لم يعن به القذارة بل الامتناع عن اكل الخنزير، قالت: «فقد قال اذا اني يهودية وبهذه الالانة تردده على مسامعي؟ اهكذا تحافظ على شرف ضوفا آنا ميرايث بنت اسطفانيا روبيو وخوان دي مدريد اللذين يعرفهما الله والناس اجمعون؟» فقاطعتها قائلاً: ما تقولين؟ بنت خوان دي مدريد؟ قالت: نعم! خوان دي مدريد الذي هو من اونيون. ووالله ان الماكر الذي قال انه يهودي لتأجر ذو قرون، فالتفت اليهما وقلت: «ان سيدى خوان دي مدريد - اسكنه الله الجنة - ابن عم والدى وننى لانت بحجج نبت من هو وكيف

16 صليب من القماش الاحمر كان مخط على اللباس الاصفر الذى يلبسه من فرضت عليه المحكمة الدينية عقوبات علنية

17 اي ان على ظهرها صليباً احمر كسرا

كان. اجل ان هذا يبقى على عاتقي وان خرجت من
 السجن لاجبرن هذا الخبيث على الرجوع عن قوله
 مائة مرة. وان عندي في القرية صكا بحروف من
 الذهب يثبت انتما الاثنين الى طبقة الاشراف،
 ففرحوا جميعا بالقرب الجديد واسترجعوا قواهم
 حين سمعوا ما قلته عن الصك مع اني لم يكن
 عندي شيء من ذلك ولم اكن اعرف من هم
 هؤلاء الناس، وبدأ السجن يستفسرنى عن دقائق
 هذه القرابة. ولئلا يشعر بكذبي تظاهرت بالغضب
 الشديد واخذت اقسم واهدد. فهدأوا روعي قائلين
 ان لا يبحث في الموضوع والا يواصل التفكير فيه
 ولكنى كنت بين حين وآخر اقطع الحديث فجأة
 مرددا: «خوان دى مدريد! ان الحجة التى بين
 يلى على عرق نسبه لتعزأ من هذه الدعوى!» ومرة
 اخرى اردد قائلا: خوان دى مدريد الاكبر! انه
 والد خوان دى مدريد وكان متزوجا بخوانا دى
 اثيبيدوا السمينه، ثم اسكت قليلا
 وبالنتيجة صار السجن بسبب هذه الامور

كلها يفتح لي دارة للاكل والتوم. والكاتب الخير بدوره - نزولا عند طلب السجن والرشوة التي تلقاها - احسن القيام بالامر فاخرجوا العجوز واركبوها جوادا اكعب وكان يتقدمها مناد ينادي «تعاقب هذه المرأة لارتكابها السرقة»، وكانت مقارع الجلاد تنصب على اضلاعها على نغم صوت المنادي عملا بما اوصاه به ذوو الالبسة الطويلة (18) وكان يتلوها بقية رفاقي على صهوات جيد من النسي تستعمل لنقل المياه مكشوفي الرؤوس والوجوه. فقد اخرجوا على هذا الشكل ليلحقهم العار على مرأى من الجميع مع ان كلا منهم كان من اخلاق ما عليه يحمل عاره بارزا. وحكموا عليهم بالنفي ست سنوات. وخرجت انا بكفائة بمساعدة الكاتب كما ان قارى الدعوى لم يغفل عن مساعدتي فبدل لهجته وتكلم بهدوء واهمل اسبابا وانتلع مقاطع برمتها.

(18) يعني بذلك أعضاء المحكمة

الفصل الثانى

في عشوى على مشوى والمصيبة التى دهمتني فيه

- - - - -

خرجت من السجن فوجدت نفسي وحيدا
بلا اصدقاء، ومع اعلامهم اياي بانهم سائرون الى
اشبيلية وفي طريقهم اليها يعيشون من اصدقات
فقد رفضت الالتحاق بهم وعزمت على الذهاب الى
مشوى حيث وجدت فتاة شقرا، بيضا، نظارة مرحة،
فضولية احبانا، وميالة الى الهوى 'حيانا اخرى' في
كلامها لينة، تخاف الفيران وتفتخر بيديها فلا
تبرح تقشط الشموع لتريهما، وكانت تقطع الاكل
فوق الخواز وفي الكنيسة ترى مضومة اليدين
دائما، وفي الطريق لا تنفك تدل على ان هذا الدار
لقلان وتلك لغيره، وفي قاعة الاستقبال لا تبرح
مشغولة ببتك خلافة في زينة رأسها، وان لعبت لعبة

ما كانت دائما لعبة البشير يغافيا، (1) لانها لعبة تری
فيها الايدي وتظاهر عمدا بالتثاؤب دون حاجة
اليه لتري اسنانها وترسم اشارة الصليب على فمها
وبالاختصار لم يغلت شئ في الدار من لمس يديها
بحيث صارت تغضب ابويها نفسيهما بتصرفها هذا
فآووني على خير ما يرام في دارهم لانهم كانوا
يريدون اكراها باثبات حسن لثلاثة ضيوف فصرت
انا احدهم والاثنان الاخران واحد منهما برتقالي
والاخر قطلوني. ولذا احسنوا استقبالي. اما انا
فقد اعجبتني الفتاة للمتعة فضلا عما في الإقامة في
دار من الرفاهية والهناء فصمت على استمالتها
الى وصرت احكي لها حكايات اعدتها للتسلية
وأتيها باخبار وان لم يكن لها اساس من الصحة
واخدمها في كل امر يمكن الاتيان به مجانا وقلت
لها ولامها اني رقا اعرف رقي كثيرة وبوسعي

(1) لعبة صبيانية تقوم على ان يقرص الاولاد
ايادي بعضهم البعض ثم ينشدون بعض الاغانى
التي يجب فيها رفع الايدي

ان اجعلهما يريان الدار كأنها تنهار وتحترق
بـ عـ دية صدقتها كدحا على سذاجتهما
وعند كتسبت صداقتهما وشكرهما لكني لم
اتمكن من استمالة قلب الفتاة لان ملبسي لم يكن
كما تقتضيه الحالة - رغما عن اني كنت قد
تحسنت ملبسا بواسطة قائد السجن الذي كنت
ازوره دائما فاصل الرحم بيننا بما آكله من خبزه
ولحمه - ولهذا لم تعيراني ما استحقه من الاهتمام

فخطر لي ان ارسل بعض اصحابي الى المثوى
يسألون عنى حين لا اكون هنالك لملهما على
الاعتقاد بانى غنى متخف قدخل احدهم اولا وسأل
عن السيد ضون راميرو دى قزمان - وهو الاسم
الذي اتخذته لان الاصحاب افهموني انه لا بد اس
بتبديل احدنا اسمه بل انه لامر مفيد - واخيرا
سأل عن ضون راميرو معرفا به بانه ذو تجارة
واسعة وثروة وافرة وقد تعاقد منذ قليل مع الملك
على مشروعين تجاريين خطيرين. فانكرت ربة المثوى
وبنتها معرفتهما بنى على هذا الشكل وقالت ان

لجسم قبيح الوجه فقير الحال. فرد عليهم بقوله:
 اجل هذا هو الذي اسأل عنه ووالله لما كنت
 لآتمنى اكثر مما يملكه فان مدخوله ليتجاوز
 الالفى دكة، ثم قص عليهما اكاذيب اخرى فزاد
 اعجابهما واخيرا ترك لهما حوالة مزورة ادعى انه
 جاء ليقبضها مني وقيمتها تسعة الاف اسكودو،
 وقال لهما ان يسلماني اياها لاقبلها وذهب في حال
 سبيله. فصدقت كل من الام وابنتها قصة ثروتي
 وحاولتا اصطيادي زوجا للفتاة ثم عدت الى البيت
 متجاهلا كل شئ وحين دخلت سلمتاني الحوالة
 قائلتين: ان المال والحب من الصعب ان يخفيا
 يا حضرة ضون راميرو! وكيف نكتم علينا نفسك
 مع ما انت مدين لنا به من العطف والاكرام؟،
 فتظاهرت بالاستياء من ابقاء الحوالة بين ايديهما
 وسرت قوا الى غرفتي ولو تدري كيف أصبحنا.
 بعد اعتقادهما بانى غنى تغدقان علي كل مديح

مشتيتين على كل ما عمله. فتبالغان في تقرّظ كلامي
وتجيران بانه لم يكن احد ليعادلني ظرافة. وحين
ابصرتهما في شباكي صارحت الفتاة بحبي لها فانصت
بفرح كبير وزددت على مسامعي الف مديح. ثم
افترقنا وذات ليلة وقد اردت ان ازيدها اعتقادا
بغناي دخلت غرفتي واقفلت بابها وكانت مفصولة
عن غرفتها بحائط دقيق. فاخرجت خمسين «اسكودا»
وشرعت اعدّها مرارا وتكرارا الى ان سمعتا رنين
سته آلاف. وقد كانت رؤيتهما ايلي مالكا لهذا
القدر من المال غاية مبتغلي لانهما منذ تلك اللحظة
اصبحتا لا تميزان في احاطتي بكل اسباب الراحة
والرفاهية والرضى

وكان البرتغالي الساكن في المثلوى يسمى
السنيور فاسكو دي منيسيس، فارس الكراسة اي
المسيح (2) وكان قصير العنق كبير الشاربين يرتدي

(2) كان يطلق اسم «المسيح» Christos على
الصليب المصور قبل حروف الهجاء في الكراريس

معطفا اسود وينتعل موقا، ويتلهب حبا ووجسدا
 لضونيا برينغيللا دي زيو بادو - وهو اسم الفتاة -
 ويحاول ان يمتلك قلبها بالحديث والتعهد متفوقا
 في هذا المضمار على متعبدة تنصت الى عظة في زمن
 الصوم. وكان يسيء الغناء ولا ينفك في جدال مع
 القطلوني النى كان اشد المخلوقات حزنا واكثرها
 بؤسا. فيعاود الاكل كل ثلاثة ايام كالحمى المنقطعة
 وياكل الخبز يابسا الى حد ان انياب الساعة
 لتكاد تمجز عن الفتك به. ويفتخر بالشجاعة مع
 انه لا ينقصه سوى ان يبيض ليكون دجاجة (3) اذ
 كان يقيق كثيرا. فاخذ البرتغالي يقول اني معدم
 محتال لا املك شيئا. بينما القطلوني يصفني بالجبانة
 والحساسة. وكنت انا اعرف هذا كله بل اسمعه
 احيانا لكني لا اجد من نفسي الجرأة الكافية للرد
 عليهما. واخيرا صارت الفتاة نحادثني وتلقني

ومنها جاء قولهم: «ما زال في المسيح، اي في بادىء
 علم او فن ما.

(3) الاسبان يضربون بالدجاجة مثلا في الجبانة.

رسائلي وغالبا ما كنت ابدأها على هذا النمط:
 ان جرأتى هذه: او ان جمالك الفتان، واتكلم
 عن تحسري وتلهبي وجدا بها واعبر لها عن الم
 وحزن واعرض نفسى عبدا لها واختتم بقولي
 ان في قلبي من حبها اطعنة نجلاء. واخيرا بلغ
 بنا الحال الى التخاطب بالافراد (4) وتمكيننا لمعتقدنا
 بمكافئتي خرجت يوما من الدار واكتريت بغلة
 وجئت المئوى مقنعا وقد غبرت صورني وسألت
 عن ذاتي مستفسرا عما اذا كان يقيم هنالك حضرة
 السيد ضوز راميرو دي قزمان مولى بلشراو
 وببوريتي (5) فاجابت الفتاة قائلة: «هنا يقيم رجل
 قصير القامة يحمل هذا الاسم فقلت بعد ان اخبرت
 بعلاماته انه هو ورجوتها ان تقول له ان قهرمانه

(4) ان التخاطب بالافراد يعتبر في معظم
 اللغات الأوروبية دليلا على صداقة متينة. والا
 فالتخاطب يكون بالجمع عادة

(5) اسما امكنة

ديغو دي سوارثانا قد عاد من ادارة التامين (6) وهو ذاهب الان لجمع الغلة وقد عرج عليه ليقبل يديه. ثم انصرفت وبعد حين عدت الى الدار.

فاستقبلتاني بغبطة كبيرة سائلتين ابلي عن سبب اخفائي عنهما اني مولى بلشرا دو وبيوريتي وابلغتاني الوصية. وهنا ازدادت الفتاة تمسكا بي لطمعها في زوج من الغنى بهذا المقدار وطلبت مني ان اقابلها واتحدث اليها على الساعة الواحدة لبلا في ممر يطل على سطح من الاجر تنفتح عليه نافذة غرفة فشا الشيطان الذي يضع اصبعه في كل شئ ان اصعد الى الممر، وقد حل الليل، رغبة مني في التمتع بتلك الفرصة فزلقت قدمي وسقطت على سطح دار جار لنا وظيفته كاتب محكمة وقد كان لسقوطي وقع شديد فتكسر معظم الاجر وانطبعت اثارها في اضلاعي فاسفاق اهل الدار على الجلبة وصعدوا الى السطح خانن انهم لصوص - وهو ظن لا ينفك ساور اصحاب هذه المهنة -

(6) ادارة كانت تودع فيها اموال القاصرين.

فلما ابصرت ذلك اردت ان اكتبى وراء المدخنة
فزاد ذلك ريبتهم في امري فانهال علي الكاتب واخ
اه وخادمان ضربا بهراوة حتى سحقوني سحقاً ثم
ربطوني على مرأى من مولاتي دون ان تجدينى
كل محاولاتي نفعا. لكنها اخذت تضحك وتمعن
في الضحك لانى كنت قلت لها فيما مضى انى
احسن السحر والشعوذة فظنت ان سقوطي كان
سحرا ايضا. فلذا كانت لا تقناً. تقول لي اصعد فقد
كفاك الامر هزلاً. فمن جراً هذا والعصى
والكلمات التي تلقيتها اخذت اعوى. فاشتد ضحكها
لاعتقادها ان كل ذلك تلفيق

ثم شرع الكاتب بفتح الدعوى واذا سمع
قرقرة مفاتيح كانت في جيبى قال وكتب انها عقف
مع انه رآها كما هي دون ان تمنعه رؤيته اياها
من ان يقيد انها عقف. فقلت له انى ضوت
راميرو دي قزمان. فضحك ضحكا شديدا. اما انا وقد
استولى على الحزن لما قاسيته من ضرب على مرأى
من مولاتي ولانى رأيت نفسي مساقا الى السجن

دون سبب واسمي ملطخا باتهام مشين فلم اكن
لاعرف اي السبل اسلك فجثوت امام الكاتب على
ركبتى ورجوته اوجه الله اكن لا رجائي ولا غيره
كان كافيا لحمله على اطلاق سبيلي

كل هذا جرى على السطح لان هؤلاء القوم
لا يحجمون عن شهادة الزور حتى على السماء
نفسها. ثم امروا بانزالى الى اسفل فانزلوني من
نافذة تطل على غرفة كانت تستعمل كسطح

الفصل الرابع

وفيه يتوالى الكلام على الامر نفسه
وعلى عدة حوادث اخرى

لم اطبق جفني طيلة الليل وانا افكر في
مصيبي التي لم تكن في الوقوع على السطح بل
بين يدي الكاتب الوحشيتين القاسيتين. وحين
تذكرت امر العقف التي وجدوها في جيبى والاوراق
التي حررها في الدعوى تبين لي انه لا شئ يضاهى
سرعة في النمو كالذنب بين يدي الكاتب فقضيت
الليل احوك حبلا. فاحيانا اعزم على استعطافه
مستشفعا بيسوع المسيح ولكني حين افكر في ما
قاساه من امر!! كتبه حيا تعوزني الجرأة على ذلك.
وقد اردت الف مرة ان افك رباطي وكان
يشعر بي فياتي صوبى كاشفا عن العقد التي
تشده. اذ كان اهتمامه باختلاق كذبة علي اكثر

من اهتمامي بما ينفعني. ونهض باكرا عند الفجر
وارتدى ثيابه في تلك الساعة ولم يستغرق في
داره سواه والشهود. فتناول المقرعة وراجع بها
اضلاعي مراجعة وافية ووبخني على رذيلة السرقة
توبيخ عارف بهذا الفن. وبينما كنا على هذا
الحال اي هو ينيلني مقارع وانا اكاد اكون عازما
على اعطائه دفاتير - لانها الدم الذي ينحت به
هذا النوع من الماس - اذا بجاري البرتغالي
والقطلوني يدخلان علينا نزولا عند الحاج محبوبتي
التي شاهدتني اقع واضرب بعد ان اقتنعت بان
ما حل بي ليس سحرا بل مصابا فلما رأهما
الكاتب يحدثانني اراد ان يوقع بهما كشريكين في
الدعوى. لكن البرتغالي لم يطق الامر فوجه اليه
كلما قاسيا قائلا انه رجل من الاشراف من
حاشية الملك واني انا ايضا رجل عريق في النسب
وان من السخافة تقييدى وشرع يفك قيدي فصاح
الكاتب قائلا: مقاومة! وفي الحين وطأ خادمان
له - بيز جلاوزة وحمالين - معطفيهما وحلا

تلايبيها كما اعتادا ان يفعلا ليدلا على الكلمات
 التي لم تقع ويطلبوا من الملك الحق واجرا العدالة
 واخيرا فكا رباطي. واذا ابصر الكاتب انه ليس
 هنالك من احد ليساعده قال: «وحق فلان» ان
 هذا لا يمكن ان يقع معي ولو لم تكونوا من
 انتم لكلفكم الامر غاليا. فامروا بارضا هؤلاء الشهود
 وفكروا بانى اخذكم دون غاية. وبعد ذلك
 ابصرت خطه فاخرجت ثمانية دراهم وتقدته اياها.
 وقد حدثتني نفسي اذاك بان ارجع له ايضا العصي.
 التي اعطاني اياها. ولكني ضربت صفحا عنها
 ثملا اعترف بانى تلقيتها وتركته وذهبت بمعيتها،
 بعد ان شكرتهما على اطلاق سبيلي وفدائي، محمر
 الوجنتين من شدة اللطم وحزين الظهر من اثر
 العصي. وكان القائلونى يكثر المزح على حسابي
 ويقول للفتاة ان تتزوج بي ليعكس المثل القائل
 «ديوث فمعصو فيصير معصو فديوث» (1) ويدعي

(1) في الاسبانية مثل يقول «ديوث فمعصو
 (اي مضروب العصا) ومع هذا يامرونه ان يرقص»

ان العصي التي نلتها قد انت علي وهزنتي هذا.
ومجمل القول انه زجنى في مازق حرج مخجل
بتلميحاته هذه. وصرت اذا دخلت عليهم شرع يلوح
بالاعواد او الاخشاب كأنه يعصو شخصا آخر وما
رأيت نفسي مضحكة ورأيت انهم بدأوا يشعرون
باحتيالي شرعت احاول مغادرة الدار. ولئلا ادفع
ثمن الاكل والاقامة انذى كان يبلغ قدرا وافرا
اتفقت مع طالب من هورنبوس، (2) يسمى
براندالاغاس. وصديقين له اخرين على ان ياتوا
اثوى لبل وبعثوني. فوصلوا في الليلة المتفق
عليها وابلغوا ربة اثوى انهم قادمون من لدن

وهو يضرب قشلا بمن بصاب بمصيبة نلوا اخرى
وبطلب منه الا يحزن. وقد اتى المؤلف هنا بجناس
فاستعمل الكلمتين معصو وديوث بمعناهما الحقيقي
اشارة الى العصي التي تلقاها بطل القصة وم
ينتظره اذا تزوج من خداع زوجه له ما ذكر. عن
سيرتها سابقا. فلذا قدم قوله معصو. على ديوث

(2) بلدة من مقاطعة بلد الوليد

محكمة التفتيش وانه من الاولى ان يبقى الامر
محاطا بالكتمان. فارتعدتا خوفا لاني كنت انبأتهما
فيما مضى بانني عالم بفن السحر. ولذا حين
اخرجت لم تنبسا بينت شفة ولكن حين اخرج
متاعى اعترضتا طالبتين ان يحجر مقابل ما في
ذمتي من دين فاجابوهما ان ذلك المتاع ملاك
محكمة التفتيش فلم يحرك احد ساكنا. وتركناهم
يخرجون بالمتاع وبقيتا هنالك ترددان انهما طالما
خشيتا وقوع ما وقع ثم اخبرتا القطلوني والبرتغالي
بامر من جاءوا في طلبى وانهم من الجن وان
لي اقارب بينهم وحين اخبرتاها بشأن المال الذي
عدده قال انه كان يظهر مالا لكنه ليس بمال
في واقع الامر واقتنعنا بذلك وهكذا نجوت باليستى
ولم ادفع ثمن طعامى.

واتفقت مع من ساعدانى على استبدال زنى
بالبسة توافق الزى الرائج فلبست سروالا قصيرا
وقبعة واسعة واستعضت عن خادم بخادمين صغيرين
اذ كان هذا ايضا من الرائج اذاك وقد شجعونى

على ذلك وحسنوه في وجهي . . . في
 ظهور بمظهر غني من نفع نكروج زر . . .
 مؤكدين على ان ذلك ليس من النادر في العاصمة
 و اضافوا بقولهم انهم يرشدوني الى عرس موافق
 و اشاروا علي بان اتهمياً لما قد يجد. فما كان مني
 مع ما انا عليه من التحيل والطمع في اصطياد
 زوجة الا ان عزمت على الامر. فزرت من حوانيت
 الدلالة ما لا يحصى واشتريت جهاز العرس.
 واستفسرت عن موضع اكرا الحبل فاعلمت اليوم
 الاول جوادا نكني لم اجد خادما فخرجت الى
 الشارع الاكبر ووقفت ازا حافوت تباع فيه عدد
 الحبل كمن يقاول في شراء واحدة

وما هي الا فترة حتى وصل اثنان من اهل
 البيونات كل على فرسه فسألاني عما اذا كنت
 اقاول على شراء فرس ابض كانت على فوقه
 فازحت يدي واتقيتهما معي نالفة مجاملة واخيرا
 قالا انهما ذاهبان الى البرادو للنزه فقلت لهما
 اني ارافقهما ان لم بغضبهما ذلك واوصيت الماجر

انه متى جاء خادمي فليوجههما الى البرادو واعطيته
 علامة الرداء الذي يلبسونه ووقفت بين الفارسين
 وباشرنا السير. وبينما نحن سائرون شرعت افكر
 في انه ليس بوسع من يرانا ان يحكم لمن هم
 الخدم او من منا يسير بدونهم فجعلت اتكلم
 بصوت عال عن سباق طليعة وعن فرس لي ابيض
 اللون تمازجه الزرقة. وبالغت في وصف جواد آخر
 قلت انهم سيأتونني به من قرطبة. وكلما التقينا
 بخادم يقود فرسا اوقفته وسألته لمن الفرس
 واستفسرته عن علاماته وعما اذا كان صاحبه
 يرضى ببيعه. ثم اطلب منه ان يدور به دورتين
 في الشارع واخيرا اقول له ان به عيبا في اللجام
 وان لم يكن لذلك اصل واشير عليه بما يجب
 صنعه لاصلاح ذلك العيب وشاء حسن طالعي ان
 اجد فرصاً عديدة لتكرار حيلتي واذا ابصرت رفيقي
 يسيران منذهلين ولاح لي انهما يقولان «من عساه
 ان يكون هذا النبيل المعدم الجخاف؟» - لان
 احدهما كان يرتدى بدلة الاشراف فوق صدره

والآخر يحمل سلسلة من الماس بحيث جأت كبدة
وشارة معا - قلت انى اقتش عن خيل طيبة لي
ولابن عم لى لاننا مقبلون على بعض الاعياد ولما بلغنا
البرادوء اخرجت قدمي من الركاب وجعلت عرقوبي
خارجا واخذت ادور منترها على هذه الحالة. وكان
معطى ملقى على كتفي وقبعتى في يدي والكل
ينظرون الى فمن قائل: الا انى ابصرت هذا
ماشيا ومن مردد متهمكا: ما احيل الشاطر في
سيره هذا! اما انا فكنت اواصل التزهة متغاضيا
كأنى لم اسمع شيئا.

وبلغ رفيقاي عربة ثقل سيدات فطلبا منى
ان امازجهن فترة ما. فتركت لهما جانب الفئتين
وانصرفت الى الام والحالة. وكاذت العجوزان ممن
يجبين المرح. احداهن تقارب الخمسين سنة والآخرى
ثقل عنها بعض الشئ. فاسمعتهما من حو
الكلام ورطبه الشئ الكثير وانصتتا اليى بفرح
لانه ليس في الدنيا امرأة مهما شاخت اكثر سنا
منها ادعا ووعدتهمما بهدايا وسالتهما عن حالة

السيدتين اللتين ترافقانهما فقالتا انهما مازالتا
 فتانين وكان ذلك يبدو في حديثهما فاجبت بالمألوف
 اى متمنيا لهما ان ترياها تسعدان بزواج حسب
 استحقاقهما. فاعجبتهما تمنياتى وسالتانى عما اقوم به
 في العاصمة فقلت انى قدمتها هاربا من ابي وامى
 لانهما يريدان تزويجى بالرغم عن ارداتى بفتاة
 قبيحة المنظر، بليدة ومن اصل حقير لعظم مهرها
 واضفت قائلا: «وانا يا سيدتى افضل امرأة نظيفة
 معدمة على يهودية مثرية. فان ملكى والله الحمد
 دخله اربعون الف دكة سنوية. واذا نجحت في
 دعوى لي قد اصبحت على وشك النهاية فانى لن
 احتاج فيما بعد شيئا البتة» فقطعتنى الحالة بقولها:
 اجل ايها السيد! وكم انت مصيب! لا! لاتتزوج
 الا على خاطرك ولا يكن زواجك الا بامرأة عريقة
 في النسب. وانى اوكد انى مع قلة ثروتى لم ارض
 بزواج ابنة اختى مع كثرة من طلب يدها من
 المثرين لانهم لم يكونوا من محتد كريم. الا انها
 والحق يقال فقيرة اذ ليس لها من مهر سوى ستة

الاف دكة، لكنها لا يجاريها احد في النسب،
قلت في رأيي انك احسنت صنعا.

وبينما نحن في هذا انتهى الحديث بالفتاتين
الى طلب شئ للعدوة من صاحبي فادا بهما
عد هذا الطلب يصح فيهما قول الشاعر:

«وكان كل واحد يصوب نظراته الى الآخر

بينما الجميع ترتجف لحاهم» (3)

ولما ابصرت الفرعة سائحة قلت انى استطلت

(3) هذا البيتان مأخوذان من نشيد «موت

ضون الونصو اغيلار حيث يقرأ ان الملك فرناندو

بينما كان يغزو غرناطة جمع كبار فرسانه وسألهم

قائلا: «من منكم ابها الاصحاب يتوجه غدا الى

جبل الشارات» فيضع رايتي فوق البشارة».

فأخذوا يصوبون نظراتهم بعضهم لبعض دون

ان تخرج كلمة «نعم» من فم واحد منهم لان

الذهاب خطر والعودة غير اكيدة ففي وسط هذا

الخوف المستحوذ عليهم كان الجميع ترتجف لحاهم.

لولا ضون الونصو المسمى اغيلار

خدمى فليس لدى من ارسله الى الدار ليأتينى
ببعض الصناديق الصغيرة فشكرتني على ذلك
ورجوتهن ان يذهبن في الغد الى كاسا دل كامبو .
حيث ارسل لهن لحوماً باردة فقبلت دعوتى
ودللتنى على دارهن وسألتنى عن دارى ثم ابتعدت
عربتهن وسلكت انا ورفيقاتى طريق الاوبة الى
الدار . ولما ابصرا سخائى في دعوتى السيدات
لعدوة العصر ارادا ان يقلداني فضلا يجبرني على
مقابلته بالمثل فدعوانى الى العشاء معها تلك الليلة
فامتنعت في بادى الامر لاحملهما على الاحراج في
الدعوة وان كان امتناعى لم يطل ثم تعشيت
معهما وبعثت في طلب خدمى مقسما انى ساطردهم
من دارى . ودقت الساعة العاشرة فقلت لهما انى
على موعد غرامى في تلك الساعة ورجوتهما ان
يعذرانى وذهبت بعد ان اتفقتا على ان فلتنقى
عشية اليوم التالى في كاسا دل كامبو .

وحين ودعتهما ذهبت الى صاحب الحصان
فارجعته له ومن ثم توجهت الى الدار فوجدت

الرفاق يلعبون بالورق لعبة الكينولياس، فاخبرتهم
بما وقع وبالاتفاق الذي حصل وقررنا ان نرسل
دون تاخير عدوفاة العصر وان نتفق فيها مئتي
درهم. وزقدنا بعد ان اتفقنا على هذا العزم. واعترف
انى لم اطبق جفنى تلك الليلة وانا افكر فيما
عساي ان افعله بالمير. وما كان موضع تردد في
نفسى هو ما اذا كان من الافضل انفاقه في بناء
دار او تسليفه بالفائدة اذ لم اكن ادري اي
الوجهين احسن وانفع لى.

الفصل السابع

وفيه يتلو الكلام على القصة نفسها وعلى غير ذلك من الحوادث والنكبات الخطيرة

اصبح الصباح فافقنا ونهضنا على عجل نفكر في اية طريقة نعد الخدم والانية والعصرونية. ولكن بما ان الدينار هو السيد المطاع الذي لا يحجم عن احترامه احد فقد حصلت على مبتغاي بواسطة صانع حلوى مقابل كمية انقذته اياها فمدني بالانية وتولى تقديم العصرونية بنفسه يعاونه ثلاثة خدم ومضى الصباح في اعداد العدة وعند العصر كنت قد استأجرت مهرا. ولما حانت الساعة المضروبة سلكت طريق 'كاسا دل كامبو' وقد حشوت تكتي اوراقا كمذكرات وفككت ستة ازرار من المعطف فاطلت من تحته بعض الاوراق.

ولما وصلت كانت السيدات والنبيلان قد

سبقوني الى حيث تواعدنا على اللقاء.
فاستقبلتني هن بكل حنان بينما اخذ النيبيلان
يخاطباتني بلسان المخاطب (1) توددا وتقربا . فقلت
لهم ان اسمي ضون فيليبى تريستان . وطيلة
النهار لم يسمع سوى اسم ضون فيليبى تتداوله
شفاه الجميع

فشرعت اقول لهن انى انهمكت باشغال
لصاحب الجلالة واخرى تعلق بملكي الى حد انى
كنت اخشى الا اتمكن من الوفاء بوعدى محاولا
بذلك ان اهيأهن للعصرونية فجأة . وبينما انا في
الحديث هذا اذا بصانع الحلوى قد اقبل بالعدة
والانية والخدم فصارت نظرات السيدات والنبيلين
مصوبة الي بينما لزمت ألسنتهم السكوت فامرته
بان يذهب الى العرش وان يجهز العصرونية

(11) كان المخاطب بلسان المخاطب Vos دلالة
على رفع الكلفة بين المتخاطبين . والا كان بلسان
الغائب مع تقديم كلمة . حضرتك ، فتقول (حضرتك
جا او جاءت)

هناك ريثما نذهب الى الغدران. ولكن العجوزين ما عتَمنا ان بلغتناى لتتحفاني ببعض الهدايا وقد ازددت انشراحا حين ابصرت الفتاتين مكشوفتى الوجه لانى لم ار بين خلق الله اجمل وجها من تلك التى فكرت بها لتكون زوجتى؛ بيضا، شقراء، محمرة الوجنتين، صغيرة الفم، كبيرة العينين خضراءهما، مشوقة القد، جميلة اليدين، في لسانها مأسأدا. ولم تكن الاخرى بقبیحة الشكل وانما وجدتها اقل حشمة وخامني الشك في انها كثيرة النقال وسرنا الى الغدير وابصرنا كل شىء وعلمت خلال الحديث ان زوجتى العتيدة لو عاشت في عهد هيرودس لكانت عرضة للهلاك كواحدة من جملة الابرياء⁽²⁾ اجل انها لم تكن عاملة ولكن بما انى لا اريد المرأة مرشدة ولا مهرجة بل

(2) تطلق كلمة برى *inocente* من باب المجاز على قليل الفطنة. و«الابرياء» يعنى بهم الاطفال الذين قتلهم هيرودس حين علم بولادة يسوع المسيح

اتقاسمني الفراش ، وان كانت قبيحة ورصينة
فكاني اتقاسمه مع ارسطاطاليس او سينيكا او
كتاب ما فاني اسعى ان تكون ذات حسن
وجمال

ثم وصلنا الى جانب العريش وبينما انا امر
بشجنة اذا بزينة طوقي تتعلق بشجرة فتنخرق قليلا
واذاك اقبلت الفتاة وامسكته بخلاصة من الفضة
وقالت لي امها ان ارسطاطاليس الطوق في الغد الى
دارها لنصلحه ضونيا آنا - وهو اسم الفتاة -
وكان كل شيء راضيا: عدوقة وافرة من طعام
طازج وبارد وفاكية وحلوى. واخيرا رفع الخوان
وببنا نحن في هذا اذا بفارس قد اقبل علينا من
الروض المحاذي يصحبه خادمان فعرفت فيه سماحي
ضون ديينغو كورونيل واقترب هو مني. واد كنت
بذلك الزى اخذ بتفرس في. ثم خاطب السيدتين
داعيا اياهما بنات عمه وخلال هذا كله لم تكن
عيناه لتفارقاني. وكنت انا حينئذ انحدث مع صانع
الحلوى بينما رفيقاي اللذان كانت تربطهم ا به

صداقة متينة كانا متعادين في الحديث معه فسألها
 - حسبما ظهر بعدئذ - عن اسمي فأجاباه: ضون
 فيلبى تريستان ، وهو من عائلة نبيلة وذو شرف
 رفيع وثروة واسعة فرأيتُه حينئذ يرسم على وجهه
 إشارة الصليب مستعيذا . واخيرا اقترب مني على
 مرأى من الجميع وقال : «سماحا ايها السيد لانني
 حسبتك قبل ان اعرف اسمك شخصا آخر على
 طرفي نقيض مما اذنت هو . حيث لم ار قط شيئا
 بين شخصين مثله بينك وبين خادم كان لي في
 شقوبية اسمه باباوس ، ابن حجام من تلك المدينة ،
 فضحك الجميع ضحكة عريضة وسعيت يدورى لثلاث
 ثم بي لون وجهي وقلت اني ارغب في رؤية
 ذلك الرجل لانني قد سمعت من اناس عديدين ان
 بيني وبينه شيئا عظيما . فقاطعني ضون ديبغو
 بقوله : «ويا له من شبه ! في القامة والكلام
 والحركات ! وحقك اني لم ار تشابها كهذا ، واذاك
 قالت السيدتان - الحالة والام - كيف يمكن ان
 يحصل تشابه كهذا بين نبيل من الرفعة بهذا المقام

ومحتال سامل كذلك، وازافت احداهن بقولها دفعا
 لكل شبهة: «اني لاعرف ضون فيليبي حق المعرفة
 وهو الذى اضافنا بامر من زوجى في بلدة اوكانيا،
 ففهمت مقصدها وثبتت على كلاميا بقولى ان
 رغبتى كانت ولم تزل في خدمتهن قدر استطاعتى
 انى كان. واذاك عرض علي ضون ديفغو صداقته
 واستسمحنى عن الالهانة التى وجهها الى باخذه
 اياي بابين الحجام. وازاف قائلا: ان حضرتك قد
 لا تصدق ما اقوله لك عنه: فامه كانت ساحرة
 وابوه لصا وخاله جلادا. وهو شر خلق الله واكثرهم
 دناءة وما قولك بما شعرت به حين سمعت عن
 نفسي هذه المنكرات؟ فوالحق يقال لقد كنت
 - وان حاولت الاخفاء - كمن على الجمر. واخيرا
 حاولنا الاوبة الى المدينة فودعنا السيدات وضون
 ديفغو انا ورفيقتاى وركب ضون ديفغو العربة
 معهن. فسألهن عن مغزى هذه العسرونية واجتماعهن
 بي فاجابته كل من الام والحالة انى ذو ملك ربعة
 السنوي كذا من الدكات وانهما تريدان ان تزوجاني

بأنیکا (3) وقالت له ان يستفسر عنى فيرى ان
الامر مصيب وان فيه شرفا عظيما لكل
عائلتهن.

واثناء هذا الحديث بلغ دارهن الواقعة في
شارع الارنال بالقرب من كنيسة سان فيليبي اما
نحن فذهبنا الى الدار جميعا كالميلة السابقة، وطلب
منى رفيقاي ان نلعب طامعين في سلبى. ففهمت
مقصدهما وجلست فاخرجا الورق - وكانت
الاوراق مزورة كالحلوى - فخسرت اللعبة الاولى
لكنى ما لشت ان عاودت الكرة وربحت منهما
نحوا من ثلاثائة بلون؛ ثم ودعتهما وعدت الى
داري. فالتقيت برفيقي الماذون براندا لاغاس وبيرو
لوبيس اللذين كانا يدرسان في زهر الترد بعض
الحيل الناجحة فلما ابصراني تركا ما هم فيه
وسألانى عما وقع لي فلم ازد على القول بانى
وجدت نفسى في مازق حرج واخبرتهما كيف
التقيت بضون ديبغو وما حصل لي فسلياني واشارم

(3) تصغير آنا

علي بالتكتم والا اذ ارجع عن قصدي بآية طريقة
او وسيلة.

وبينما نحن في هذا بلغنا انه تنتظم في دار
جار لنا صيدلاني حلقة للعب بالورق لعبة الوقوف
وكنيت انا احسن هذه اللعبة اذ كان لدى ورق
مزور يمكنني من الغش فقررنا ان نذهب الى
داره لنفجع من عده بميت - اذ يعنى بهذا الاسم
دفن صرة ما - فسبقني اليها صاحبي وسألوا من
هناك عما اذا كانوا يرغبون ان يلاعبوا راهبا
بندكتيا قدم منذ قليل للاستشفاء في دار بنات عمه
وانه اقبل مريضا ومعه كثير من الدنانير والبلايين
المثمرة (4) ففتح الكل اعينهم وصاحوا قائلين:
اهلا وسهلا بالراهب على الرحب والسعة فاضاف
بيرو لوبيس بقوله: لا يخف عليكم انه ذو مكانة
في رهبنته ولكنه يريد ان يسلى وهو خارج عن
الدير فان يلعب فذاك لما في اللعب من حديث

(4) البليون المئتين نقد قضى كان يوازي ثمانية

بلايين من الفضة القديمة

اكثر من اي شيء آخر فاجابوه ثانية بقولهم :
 « فليأت ايا كان قصده . فعطف عليه براندالاغاس
 بقوله : « من اجل الحشمة .. فقاطعه الصيدلاني قائلا :
 « لا حاجة الى زيادة البحث في الموضوع » وبهذا
 انطلقت عليهم الحيلة واقتنعوا بانهم سيقعون على
 غنيمة باردة وعاد صاحبى الى الدار فاذا بي قد
 وضعت منديلا على رأسى وارنديت ثوب راهب
 بندكتي - وكان هذا الثوب قد وقع بين يدي
 في احلى القرص - ووضعت نظارة فوق عيني
 ولحية مستعارة لم تكن لتعوق لانها كانت ممشطة
 فدخلت متواضعا وجلست ثم بدأ اللعب . وكان
 الثلاثة الآخرون قد تأمروا علي لكن صفقتهم جاءت
 خاسرة لانى كنت ادرى منهم باللعب فسقطوا في
 شراكي ولم تمض ثلاث ساعات حتى ربحت منهم
 ما يربو على الف وذلثمائة بليون واخيرا اعطيت
 الحلوان وودعتهم قائلا : « الحمد لله رب العالمين ،
 واوصيتهم ان لا يروا في لعبى بابا للشك لانى ما
 لعبت الا للتسلية .

لكنهم - وقد خسروا كل ما عندهم - اخذوا يستعيزون بالابالسة فودعتهم وانصرفنا عائدين الى الدار على الساعة الحادية والنصف ورقدنا بعد ان تقاسمنا الغنيمة. وقد عزاني هذا بعض الشيء عما انا فيه. وفي الغد ذهبت باحثا عن حصان اركبه فلم اجد واحدا اكثره فتبين لي من ذلك ان كثيرين من الناس بهم مثل ما بي لان السير على الاقدام كان يعتبر عيبا وخصوصا في ذاك العهد. فتوجهت الى حي سان فيليبى فالتقيت بخادم لماذون يحرس جوادا كان صاحبه قد نزل عنه منذ هنيهة وذهب يسمع القداس فنفتحته باربعة دراهم ليسمح لي ان اجول جولتين على متنه في شارع الارنال وهو شارع محبوبتى ريثما يخرج موثاه من الكنيسة فرضى بذلك وامتطيت الجواد وجلت به جولس من طرف الشارع الى حرفة الآخر دون ان ارى احدا. وعند الجولة الثالثة اطلت ضونيا آنا. فلما رأيتها اردت ان انظرف معيا ولما كنت اجهر احوال الحصان ولم اكن خيالا ماهر فاذا به بعد

ان سبطه سوطين وشدت لجامه يشبو ويلبط
لبطينين ثم يركب رأسه واذا بى اهوي في مستقع
هنالك واقبل الصبيان من كل صوب يحدقون
بى. فلما رأيت نفسى على هذه الحالة وكل ذلك
على مرأى من محبوبتى لم اتمالك من الصياح
غاضبا آه يا ابن الفاجرة! هب انك من خيل
بالتزويلا (٥) لما عفوت عنك! وانك لتدفعن غالبا
ثمن هذه الوقاحة! اجل لقد اخبرت بنزواته هذه
!كن اردت ان اخبرها بنفسى، وعاد الخادم بالفرس
فوقف وركبته ثانية. وكان ضون ديفغو كورونيل
يقيم في دار بنات عمه. فلما سمع الضوضاء اطل
ليرى مصدرها واذا ابصرته سقط في بدى فسانني
هل اصبت بمكروه فقلت ان لا وان كانت احلى
ساقى قد عطبت وكان الخادم يلح علي ان اسرع
قبل ان يخرج مولاه ويراه لانه متوجه الى القصر

(٥) نوع من الخيل الاصيل اشتهر بتحسين
نسلها خوان دي بالتزويلا سائس الدوكى دى
سيسا فاطلق عليه اسمها

المأذون - فاردت ان اجربه ، والحق يقال انه من
 الصعب ان يصدق المرء ما يقال عن صلابة عجزه
 فضلا عن سوء سرجه . ولولا معجزة ارادها الله
 لارداني قبلا فقال ضون ديفغو: نعم! انها المعجزة
 ومع هذا كله اراك تشكو من هذه الساق فقلت
 ادالك: احل انها تؤلمني واود لو ذهبت فركبت
 حصاني وعدت الى داري اما الفناة فقد اطمأنت
 الى ما سمعته حينئذ مني وابصرت عليا علامات
 الاسف والغم بسبب سقوطي . لكن ضون ديفغو
 خامره الربب في ما رآه من امر المأذون وما جرى
 في الشارع . فكان سبب شقائي زيادة عن مصائب
 اخرى شديدة وقعت لي . واعظم تلك المصائب
 واصلها كلها هو اني حين بلغت الدار وتقدمت
 لارى صندوقا اودعت فيه حقيبة حوت كل ما
 بقى لي من ميراثي من المال وما ربحته في اللعب
 - عدا مائة درهم كنت احملها - فاذا بالمأذون
 الطيب براندا لاغاس وبيرو لوبس قد ذهب به ولم
 يتركها وراءهما من اثر . فجمد الدم في عروقي

وبقيت حائرة في امري لا ادري اي طريق اسلك
ولانت اردد في نفسي قائلا: وبئس من سبق نالما
الحرام فانه يعود من حيث اني! واحسرتاه! ما
عساني صانع! ولبتت مترددا بين ان اجري وراءها
ناحيا عنهما او اخبر العدالة بتأنيها لئلا
الوجه الاحمر لم يمد لي مائدا لانهما لو فض
عليهما لما احببا عن الافشاء بقصة الزنى الزهيماني
الذي لبسنه ونامور اخرى غيرها. وذلك معناه الموت
على اعواد المسنقة. اما ملاحظتهما فلم تكن باسهل
لاني لم اكن ادري اي السبل اتخذا.

واخيرا ولئلا اخسر صفقة الزواج - اذ عرفت
اعسر ان احوالي تستقيم بامرير - قررت ان انقي
ولو كلفني ذلك ان اشد حزامي شدا مسد.
فاكلت وعند العصر استأجرت مهرا وسرت نحو
شارع محبوبتي ولما لم يكن معي حاد ولم ارد
ان قراني بدونه صبرت في احدى الزونان في ان
يهر واحد من الناس يمشي عليه امارته فاذ ما
حار حرجت وراءه فسدو كأنه خادما ولو لم يكن

في واقع الامر وحين ابلغ طرف الشارع ابقر جاذبا
 الى ان يعود واحد آخر عليه اماراته فاعيد الكرة
 وجول جولة اخرى. ولست ادري اذا كانت قوة
 الحقيقة يكونني انا نفس ذلك الشاطر الذي دخلت
 ضون دبعو رينة في امره ام هي الرينة التي
 ساورته بسبب حمان المأذون وخادمه وما جرى
 لي معه ام انا سبب آخر. ولكن الواقع هو انه
 جعل نسقري عن شخصي وموارد عيشي ويطرقني
 واخبرا كان من نتيجة سعيه انه اطلع على الحقيقة
 باعرب "توسائل واعجبها" لاني كنت انمسل بقضية
 الزواج منجحا بعض الرقائق وكانت السببات
 تنحدر عليه لارتبتهن الحارة في الفراغ من القضية
 وببسا هو نسعي ورائي المقي بالمأذون فلنشيا
 - وهو الذي اضافني يوم كنت اسكن مع الفرسان -
 وكان هذا غاضبا علي كالم غضب لاني لم اعاود
 زيارته. ولما كان يعلم اني كنت فيما مضى خادما
 عند ضون ديبغو اخبره كيف انه رآني ودعاني الى
 الغداء عنده وكيف انه ابصرني منذ يومين على

من فرس في زى اذيق وكيف خبرته ناني سافروج
 نغدة ذات نروقة ووسعة. فلم يكن من ضون نغغو
 الا ان عاد الى داره وبينما هو في الطريق اتى
 عند باب الشمس تصاحى اللذين ثنت قد تعرفت
 الى محبوسى ترفقتهما فقص عليهما قصصهما
 وقال لهما ان يسعدا فاد ابحراني لبلا في السارح
 فلمحدر رأسي ونيسا سيعرفانى ناعطف الذى
 نلمسه فانى اءون ما نلمسه اذالك. ولم يزل
 الامر يحدث له عكر فضا بعثه موديعه الى كما في
 تلك الساعة ودارنا الحدث حول ما نجس من
 نصنعه لبلا وحبثنا ودعنا الفارسان وسارا في
 سبلينا في الناحية المحدرة من اسرع ونقيد لنا
 وضون نغغو فصعدنا نحو سار ولسي ونابعد
 مدخل شارع السلي قل الى ضون ددعو ناعفى
 عليك عالا سبلات معطفى بعثت ناسى حب
 ان امر من عما دون ان اعرف فثنت: ولكن
 اردت واخذت دعطفه وان عرفت له حب ودلى وتصه
 معطفى في ساعة نجس وعرفت عدة نفسى لدواع

عنه لكنه وقد اسر في نفسه ان يوقعني في الشرك قال
انه بفضل السير وحده ومن الاحسن ان اولى ذاهبا.

فما كدت احيد عنه حتى شاء الرجيم ان كان
هناك شخصان ينتظرانه ليفتكا به بسبب احلى النساء
فانصراني وانا لابس معطفه فحسباني اياه وانبالا
علي ضربا بعرض السيف فاخذت اصيح. وعلى
الصباح وبعد ان تغرسا في ادركا اني لست بضون
ديغون فوليا هاربنز وبقيت في الشارع وحدي
اشكو ألم الضربات ووقفت برهة لا اجرؤ على
دخول الشارع واخيرا على الساعة الثانية عشرة
وهي موعد حديثي مع محبوبتي بلغت باب دارها
فاذا باحد الرجلين اللذين كانا ينتظراني اعتقادا
باني ضون ديغو يتصدى لي وينهاه علي بعصا.
وينيلني ضربتين على ساقَي فيرميني على الحضيض
واذا برفيقه يتقدم مني فيجز شعر رأسي من اذن
الي اخرى ثم نزعا مني المعطف وتركاني مرميا
على الارض وهما يقولان هذا جزاء الكذابين
المحتالين الساقطي الاصل فاخذت اصيح واستغيث

غير اني لم اكن لاعلم حقيقة الامر وان خاشرت
 نفسي ربة منا سمعته منهما بانه قد يكون صاحب
 الموتى التي خرجت منها بتلك الحيلة التي تصنعها
 بدعوى ندخل محكمة التفتيش او السجان المهدوء
 او رفاقي الهاربين. وحلاصة القول اني كنت انتظر
 الطعنة من كل جهة - بحيث لم ادر لمن انسيها - حاشا
 ان تجيشني من جانب ضون ديفغو وكنت اصبح
 بسل شوقي قاذلا: باسركة المعطف! فاقبل رحا
 الامن ورفعوني. ولما انصروا في وجهي حرا بدا
 ورأوني نلا معطف ولم يدروا ما هي 'تضبة دهب'
 بي ليعالجوني فادخلوني دار احد الحجابين فضد
 جرحي وسألوني عن مسكني ثم حملوني اليه.
 فرقدت وبقيت تلك الليلة حثرا مفكرا تأمل
 وجهي المشقوق وجسمي المروض وساقى المحلبين
 وقد عجزتا عن حملي ولم يكن لأحد حسنها وهكذ
 بت تجروحا مسروقا بحيث لم يبق بوسعي ان الحق
 باصحابي ولا ان احاول الزواج ولا ان انقب في
 العاصمة ولا ان اغادرها.

الفصل الثامن

في شقائي وغير ذلك من الحوادث الغربية

اصبح الصبح فاذا بي ارى فوق رأسي ربة
الدار وهي شبة طاعة في السن متجعدة التقاسيم
معبرة لوجه كسرة فمن طليت طحينا: ان سئلت
عن سنها اجابت بانها ما زالت في ريعان الصبا مع
انها ذات وجه كثير القصور: حيا: عور: لا تعري
ولا تنتهي فهي منال لعجوز الساحرة. وكانت
ذات شجرة في الحى وما اكثرت من كانوا يضاجعونها
ومن شأنها ان تسمع الاذواق وتجمع بين الشهوات
واسمها فلانة دي لاعبا. وكانت تكثر داري دارها
وتفنى عن مكنزين لدور اخرى. ولم يكن المثلوى
لبخلو من الناس طول السنة وانك لتعجب لو
رايتما تدرب القتيات في فن الاثذار. فتعلمهن ما
يحسن بهن كشفه من وجوههن اولا. فالشنياء

فعمدوا ان يمسوا ذنبا ولو في الله وذات الدين
 الجليلين ان لا يفر عن اظهرها والسكر الشعير
 ان يفر راسها ويخرج طرف صفة من تحت
 العتف والندى والجميلة المينى ان فرقت
 حلقها فارة تعضها وطورا قطع يدها الى
 على وكان من اجادها في العبر ان لو دخلت
 شبعنا نساء سود كالعربان احسن الى مساهن نض
 نوحه بحث لا يعرفين احد لا ولا رحانهن
 نفسيه وكان لهن وجهه نساء هودس لهن
 نمر نبي النصارى في نون مهنه واسب النسا
 حملا بها ووضعوا اسوأ من ارميزه كانت ابر
 ما تكون في ترفع اعذارى ونسب القبت. وفي
 نساء الماء قضى في دارى راسه نمر شر عذ
 ونكيلة نمر كانت فعند نساء ساسب نسر
 واملة نردنها مرندة انشروا الى نسر النسا
 على مواال الرجال فاحدثت نالفت وانجامه
 وانصبا نساوية وانجذب من قمر النصارى
 والنرد. ولما نعت نسا ساسب نسا نسا

واساليب اخرى لطلب السلاسل والحلى. وتستشهد
بلاوندانيا، زميلتها في القلعة وبلانوسا، زميلتها
في ترعس وكلتاها من المارعات في فن الاحتيال
والكذب

وقد سردت هذا كله لتدخل الشفقة قلب
من يرى بين اية ايد سقطت ويقدر خير تقدير
ما قدمته لي من الحجج وحيث لم تكن لتتكلم
نسي قبل ان تضرب عليه الامثلة بدأت بقولها:
«اعلم يا بني ضون فيليبى انه من حيث تخرج ولا
تزيد سرعان ما تبلغ القعر البعيد» وكما يكون
التراب يكون الوحل. وكما تكون الاعراس تكون
الخلوى. وانا لست اعرفك ولا اعرف طريقة عيشك
ولكنك فنى ولا يهولني ان تبدر منك نزوات
الشباب دون ان تحسب اننا ونحن نيام نسير
نحو اللحد. وانا ككتلة من التراب بوسعي ان
اصلمك بهذا الكلام وهل من جديد في ان يقال
لى انك اتلفت ثروة واسعة دون ان تشعر بها
وانك شوهدت يوما طالبا وآخر شاطرا وثالثا نبيلًا

وكبر هذا من جرأ الصحبة التي بليت بيها؟ -
 قد لي يا بني من نرافق وأنا أقول لك من انت!
 الا ان كل نعمة وصاحبتها. واعلم ايضا يا بني ان
 الحذر منجاة للمرء لان المرق قد بضيع بين المد
 والغم. واهنا ايها الابله! فان اقضت عليك مضجعت
 رغبة في النساء فاعلم اني الائمة على تلك السلعة
 في هذه الدبار وانى اتيسر مما ارجحه في هذه "مخارة"
 وسوا علي الدلالة ام الشر؟ وثالما ما نحتفئ بهن
 في الدار وليس عليك ان تنقل من صحبة - من
 الى شاطر آخر سعبا ور - معبرة منرجة ذهب ندنيا
 من يقدم لها صحن طعام وحققك ذلك لو سلسني
 ذاكك لو فرت على نفسك كتيب من الدفاتر لاني
 لست ممن يحب المال ووحق اسلافي ومونساي
 والمنة الصالحة التي ارجبها ما كنت لاخايت حتى
 بما لي عندك من اجرة الثوى و - حجي اسم
 لشر بعض الاعشاب والنباتات - انها كانت
 تشتغل تامساحيق دون ان تكون عقاقيرة ونوعه هي
 "سحر من تدفع لها عنه احرا.

ولما ابصرت عظمها قد انتهت بالمطالبة او قد
 اخرته مع انه موضوع حديثنا ولم تبدأ به كما يفعل
 المقينه، لم اجزع لريارتها ولم نقم بها سابقا حين
 كنت نزيلها وانما وقع ذلك ذات يوم قدمت فيه غرقتي
 انعذر لي عما سمعته من حديث اناس لي عن
 شؤون سحرية وان العدالة حاولت ان تقبض
 عليها فاختفت الدار والشارع عن نظر رجالها.
 فحالت لتزع من رأسي ذلك الوهم قائلة ان التي
 فعلت تلك الفعلة امرأة اخرى تدعى غيا، ولا
 عجب ان ذلل الطريق جميعنا حين نسير وراء
 اداة كاولئك (1) واخيرا عددت لها مالها وبينما
 انا اعطيها اياه شأ الخط العابر - الذي لا ينساني
 قط - وليس الذي بتذكرني دائما ان يدخل
 مامورو العدالة ليقبضوا عليها بتهمة الزنا وقد
 علموا ان عشيقا عندها اذاك. فدخلوا غرقتي

(1) اتى المؤلف بجناس حول كلمة غيا
 التي معناها الدليل وقد استعملها اولا كاسم علم
 ثم سمعناها الحقيقي

وحدثت أنثروني في الغرائز وهي إلى جانبها أنها
 عندما حباها ناخضرب الحزن. وتفسوني مرارا بم
 جروني خارج الغرائز. أما هي فامسكها اثنان
 منهم وصبا عليها وبلا من الشائه ناعين
 لها بفاحرة ساحرة. ومن ثاين ليظن هذا الحزن
 مرة حراتها على السكل الذي وصفه وعلى رقيق
 الأمور ونأوهدي الكبرة إلى العشق - وهو
 بائع فاكهة وثان اداك داخل تدار - هارت. فلما
 ابصروه وعرفوا ما قامه واحد آخر من نزل
 سوى نبي است صاحبها اخلقوا وراثه وامسكوه
 بعد ان تركوني مسوفا مضروبا. ومن ثاين مصستي
 كنت اناحك ما كانوا يقولونه. نبحور. فعد
 كن احدى نطر اليها قائلا: ا. احسن. يكون
 بها. ثم وعلى راسك ناج استغفر الله وانه سرني

١٢ كان الحكوم عليه نحرته ثري و اسحر
 بجانيهم في الشوارع وعلى رؤوسهم دج استغفر
 بنسب الجمهور و شعاع نوح حص نرسقونيه دخضر
 والمفوكه وسرها

ان اراك ترسمين ثلاثة الاف لفنة تكون في
 حديك. ويقول الاخر: ان المشايخ قد اعدوا الريش
 وهم في انتظارك لتدخلي مزدانة. واخيرا جاؤا
 بصاحبها وربطوهما معا واستغفراني عما صدر منهم
 نحوي وانصرفوا بعد ان تركوني وحدي. فسرى
 عني قلبلا حين رأيت مضيقتي على تلك الحالة
 وهكذا لم يبق لي من هم الا ان اقوم على عجلة
 لاتمكن من رميها ببرتقالة (3) وان كنت - لما
 سمعته من خادمة بقيت في الدار - لم اثق كل
 الثقة بسجنها لانها قالت لي كلاما لا اذكره
 بالتفصيل عن الطيران وامور اخرى لم تقع من
 اذني خير موقع. فمكثت في الدار اعالج فيها
 خلال ثمانية ايام اكاد لا اقوى اثنائها على
 الخروج. وقطبوا لي جرح وجهي اثنتي عشرة قطبة
 واضطرت الى حمل عكازتين

وهكذا وجدت نفسي صفر اليدين لان المئة
 درهم ذهبت في ما اديته عن الفراش والاكل

(3) راجع الحاشية السابقة

و"أقامه و" له ببق ممن بدى فلس واحد حرمت
 دفعا مصروف له أعد قادرا على جملة ان أخرج
 من الدار بكارني وبيع لسوني وأطواقي وأردني
 وكانت كلها من النوع الفاخر وهذا ما فعلته نه
 انسريت بما نجعت لدى من ثمنها ربعا خلقا من
 المسيح القرطبي وكسا من المشاقة وردا طوبلا
 مرقعا وسروا ضيق الساقين وحذا كبيرا وأدخلت
 قبعة الردا في رأسي وعلقت في عنقي سبعة وصلينا
 من القلز بعد ان تلقنت قاروهات السائلين وعباراتهم
 المؤمنة ونهجيهم البائسة من فقير مارع في هذا
 الفز وهكذا نسرت مارسه في الأسواق. وخصت
 ستين درهما بقيت لي في قساري وأصرفت في
 مهنة الفقر مكللا على جودة كلامي. فجلوت على
 هذه الحالة في الأسواق طيلة نمانية أيام مديها
 بصوت اليه مرددا عبارات كده: تصدق نبي
 النصراني! تصالح يا عبد الرب! تصدق على هذا
 البائس المعطوب! أواه نبي الخفق على نفسي من
 ان تكون في هذه الحالة وهذا ما كنت أقوله

ايام العمل اما الزمان الاعياد فكانت اغير صوني
 واستعمل تعابير اخرى فاقول: ابنا النصارى المؤمنون
 يا عبدة الرب! استخلفكم بالاميرة الرفيعة سلطنة
 الملائكة واه الرب هلا تصدقم على مقعد بائس
 ضربه يد الرب! ثم اتوقف هيهة وذلك من
 التهمه فكان ثم اضيف قائلا: ان ريحا فاسدا في
 ساعة تحشر بيننا كنت اشتغل في كرم قد اقعديني
 وشر اعضائي ولقد كنت فيما مضى صحيحا سالما
 كما انتم وكما ستكونون والحمد لله

وكانت الدراهم بهذه الحيلة تنساقط بين
 يدي بغرارة فاكسب مالا وافرا. ولولا فتى وقع
 قطع ذقس احدى الساقين يتردد فوق عجلة صغيرة
 في نفس الشوارع التي اتردد فيها انا فيجمع من
 الصدقات قدرا وافرا لكان كسبي اكبر بكثير.
 وكان ذلك الغنى يردد بصوت ابح يخته صائحا
 بقوله: تذكروا يا خدمة المسيح عقاب الرب لي
 على خطاياي فتصدقوا على المسكين بما نلتموه من

الله ونضيف قائلا: استرحمكم باسم خيسوس (١٤)
 الصالح فيكسب من كل هذا ما لا يحصى فكشبهت
 الى اسلوبه ولم نقل بعد ذلك خيسوس بل
 وحسبوا بحذف اثنين فانه اكثر تحريكا للقلوب
 وانما حمدا لها على الشفقة واخيرا غيرت عباراتي
 وحصلت من ذلك كتيبرا وكنت امشي منوكتا على
 عكازين وساقاتي في حيرة من الجلد وقد قمنا
 بفحات عربض وابيت في مدخل دار جراح برفقة
 احد فقر "لارقة" وكان عدا في طليعة ما خلق
 الله من "خماين" واسع الثروة يتصرف كشيخنا
 مبكسب اكثر من الجميع وكانت له اذرة كبيرة
 ودين يربط ذراعه بخط رافعا يراه الى اعلى
 ناسه وكأنه يدور اندا قطع ومحدوم في آن
 واحد ونرسي على خيره في موضعه فتبخر غرته
 من الخارج كأنها ذرة قشرة (١٥) ونقول: ناسو

١٤ حسبوا اي يسوع

١٥ والقرسي الذي يعصب ساقه وذراعه
 عصا تدبذ ويبيت على ذلك لينة فاذا نوره وحقيق

الفقر وهبة الرب للنصراني؛ فان مرت به امرأة
 قال: ايتها السيدة الجميلة! لتكن يد الله معك،
 وكان السواد الاكبر من النساء يمررن به وان لم
 تكن تلك طريقتهن وينصدقن عليه ليدتوهن بهذا
 اللقب. وان مر به جندي قال: آه! يا حضرة
 اليوزباشي، وان كان المار من عرض الناس قال:
 يا حضرة الشريف. وان رأى واحدا يركب عربة
 سماه بعدئذ بصاحب السعادة. وان ابصر شماسا
 على ظهر بغلة سماه برئيس شمامسة، ومحمل
 القول انه كان لا يداني في فن الريا والزلفى
 وكانت له اساليب اخرى للاستعطاء ايام اعياد
 القديسين وقد توطدت بيني وبينه روابط الصداقة
 فافشى الي ذات يوم بسر اغنانا بنهارين: وهو ان

'الدم مسح بهش' من صابون ودم الاخوين وقطر
 عليه تيتئا من سمن واطبق عليه خرقة وكشف
 بعضه فلا يشك من رآه ان به الاكلة او بلية شبه
 الاكلة. والفلور الذي يحتال لخصيته حتى يريك
 انه آدر، الجاحظ، كتاب البخلاء - ص ٢٢٤ طبعة ليدن

صاحبي هذا كان عنده ثلاثة صبيان يستجدون
في الأسواق ويختلسون ما تصانه يديهم. ثم يدفعون
إليه ما يجمعونه فبحتفظ بالكل وكذلك كان شقيق
صبيين مكلفين بادراج الصدقات للصنائس فينقسم
ويأهما ما يختلسانه منها.

أما أنا فبعد أن تلقيت نصائح مثل هذا المعية
وسمعت منه هذه البرور قررت أن أحذو حدود
وصوبت حيلاتي شطر اللبس فما كاد يسر علي
نهر حتى نجمع عدي ما يربو عن مثني درهم
خالصة. وفي آخر الأمر أدركت ما كنته سر - بقصد
أن نسبر معا - وندرج حيلة شرفه مسجدة
فندناه معا ووقعنا ما كنا نحملس معا -
أربعة و خمسة مختاراً فمدت أن بدني سدي
بذلك فمخرج ونسأل عن غلامينهم فتقول
ب سدي! لقد اتقبت به على ساعة ثم وروا
اصل ذلك لهسنه عريضة: به التي في السرور
نحجم واحد عن مكفنتنا. وهكذا رددت نروا

وتجمع لدى خمسون دينارا وشفيت قدمي وان
كنت لم ازل اسير بهما مقمطين
واخيرا عزمتم على مغادرة العاصمة والتوجه
الى طليطلة حيث لا اعرف احدا ولا احد يعرفني
فاشتريت ثوبا قاتم اللوم وزيقا وسيفا وودعت
بلكاسار - وهو الفقير الذي تحدثت عنه - وبحثت
في الفنادق عن ركوبة تحملني الى طليطلة

الفصل التاسع

وفيه اتعاطى التمثيل والشعر ومغازلة الراهبات (1)

في أحد الفنادق صادفت جوقا من الممثلين يستعدون للسفر إلى طرابلس. وكان لديهم ثلاث تجلات وشاء الله أن أجد بينهم واحدا كان لي

١١ معازلة الراهبات - كان من المؤلف في ذلك العهد حسينا تستنح من كسر من الشواهد الأدبية والمأربخية تردد الرجال إلى أديار الراهبات لمجاذفتهم في أيام وساعات معينة من يوم حذر مسبك يعرف باسم Locutoria أي محر النكاح فكان بعض اشبان ينخدون من ذلك فرصة الاسترسال في معازلة الراهبات على نحو ما نرى في هذا الفصل لكن هذه العادة ما لست أن ألفت من أنقضة الراهبات.

رفقا أبام الدراسة في القلعة ثم انصرف عن الدرس
 إلى السنبل. فاعلمته درشتي في مغادرة العاصمة
 إلى طلمطة. ولم يعرفني إلا بعد جهد جهيد من
 حرج الجرح الذي وجهي. ولم صرر رسم إشارة
 اصدمت مسعدنا. وأحمرنا نزل عند توددي حبا
 دالم. وحصل لي من الآخرين مكانا يسير بمعيتهم
 وربما وقد اختلط الرجال بالنساء وابصرت واحدة
 مهن وهي الراقصة وكانت تمثال فوق ذلك ادوار
 الملكات وكذا الادوار المهمة في المسرحيات فاذا
 نينا غانة في الكيد والدهاء. وصدف ان زوجها
 كان جالسا الى جانبي فقلت له مدفوعا برغبتني
 في املاكها - دون ان اعرف من هو - هذه
 المرأة بية صورة يمكننا ان نقاتحها الحديث لننفق
 عليها عشرين ديناراً لانها في نظري غاية في الجمال؟
 فقال الرجل: لا يصلح بي وأنا زوجها ان اجيبك
 على سؤالك هذا ولا ان ابحث في الامر. ولكن
 - واعلم اني اقول هذا بلا تحيز - يمكنك ان
 تنفق عليها ما اردت من الاثاير لانك لن تجد

لها مدينة في الجبال والبحر، وما ان فرغ من كلامه
 حتى قفر من العجوة وانقلب الى شحله اخرى
 منسج في المحل - حسما ظهر - اجانبها. وقد
 تنحكي سرا جواب الرجال ونهبت انه عن رجل
 من هذا امكن المول ان لهم ذمما وكانهم ليس
 لهم قامة ذلك عن حات انا السائر. وشملت
 نمرضة وبأمر الزاة الى ابن اعجب وشما عن
 مالي وحياتي واحدا وعد ذلك كبير اجند العمر
 في ما بعد وصولنا الى طامطة ووامام السبر
 فرحس.

وننما نحن سائرون خطر الى خاطر فأخذت
 أمنا قطعة من مسرحية سان أليجو ١٢ كنت
 أحفظها منذ الصغر. وقد اجدت في المسر الى

١٢ سان أليجو San Alejo - نوحده مسرحيين
 نحملان هذا العنوان الأولى مؤلفه جون وند
 دي وندا وقد صدرت في مدينة اربعة سنة ١٥٦١
 والثانية من آو بر انترن المساع مسر سنة
 دسعو كايخا.

حد انهم طمعوا في ضمي الى صفوفهم. ولما كانت
 المرأة مطلعة بوايطة صاحبي الذي يرافقهم على
 نكباتي ومصائبني عرضت علي الانضمام الى جوقهم
 وبالغوا أمامي في الثناء على حياة الممثلين ولما
 كانت الفتاة قد أعجبتني وداخلتني رغبة في التقرب
 اليها تعاقدت مع مدير الجوق لمدة سنتين. وأمضيت
 له تعهدا ببقائي الى جانبه واعطاني حصتي وادواري
 واثناً هذا كله بلغنا طليلة. فاسندوا الى حفظ
 بضعة مـائح شعريته تلقى قبل تمثيل المسرحيات
 وادوارا امثل فيها اشخاصا ذوي لحى كنت أحسن
 تقليدعم بصوتي فبذلت جل عنايتي والقيت المديح
 الاول في المدينة وكان على لسان مركب أقبل
 مفككا بلا مؤونة ومطلعه هذا هو المرفأ وكان
 بتخلله تلقيب عرض الناس ملاً واستغفارهم عن
 الجفوات واستصاحنهم لما سيمثل. وحين فرغت من
 التماث قوبلت بعاصفة من النصفق ثم غادرت
 خشبة المسرح وقد احسنت تمثيل دوري.
 وبعد ذلك مثلنا مسرحية من تأليف احد

مملينا وقد عجبت من ان يكون بينهم شعراء
 لاني كنت اعتقد ان الشعراء لا يحسنه الا العلماء
 الكبار ونتم يدرك قط بخلافي ان الاناس منهم نصيبا
 منه ولكن الشأن الان في هذا الباب هو انه لا
 يخلو صاحب جوق من ان يؤلف مسرحيات ولا
 ممثل من ان ينظم ميال بل دور حول مناوشات
 المسلمين والتتار. واني لاذكر ان الحاجة كانت
 فسا مضى بعبارة البعد عما هي عليه الان لانه
 اذا كان كمن نسج مسرحيات لا انا كنت
 الموهبة دي بها او لرامون (١) والا فذا. وحسب
 كنت المسرحية في اليوم الاول ولم نفيسها احد
 وفي اليوم الثاني بدأنا بها - وشاء الله ان نفسح
 ... معركة - فخرجت مسلحا ومزودا بنرس

(١) رامون Ramen الراهب الوندسرامون
 ورامون مؤلف مسرحي اسماه كرامون
 سرفانتيس واني ذكره في وقت وضع هذه الوثائق
 علما لخدمة انا مسرحية مختار اني سألته
 لسنة 1615

ولولاه استقطت تحت وابل من السفرجل الردي
 ونقابا الخضر وقشور البطيخ . وام قر قط زوبعة
 هذه والحق يقال ان الرواية كانت جديرة بذلك
 لانها كانت تمثل ملكا نورمانديا لامجال لظهوره
 ثوب ناسك وخادمين لاثارة الضحك وعند حل
 العقدة يزوج الجميع وهكذا تنهي الرواية ولذا
 فوبانا ما نستحقه . فأسانا معاملة الرفيق الشاعر
 ولما كنت انحي عنه باللائمة قائلا له ان تصبر
 فيما نحونا منه واتبر قال اي انه ليس له شيء
 مما في الرواية وانما صنفها مستوليا على عدة مقاطع
 لمختلف الروائيين ومن مجموعتها خاط مسرحية
 فجاءت مجموعة رفاع ثرداء الفقد وانه انما اخطأ
 في خياطينا . واعترف لي ان كل الممثلين الذين
 يؤلفون مسرحيات انما هم مكلفون بالارجاع لانهم
 يمدون ايادهم الى ما سبق ليم ان مثلوه من
 مسرحيات وذلك سهل جدا . وان الطمع في كسب
 ثلاث او اربعمائة درهم هو الذي يدفع بهم الى
 ذلك التفرير . ومن جهة اخرى حيث انهم يترددون

على هذه الأماكن فإن الكثيرين يقرؤون لهم
مسرحيات فباخذونها ليعلموا تلها. واذك يسرقونها
فيضيفون إليها نزهة ويحذفون عبارة حدة واسبون
المسرحية تنفوسهم. وصرح لي ايضا نانه لم يوجد
قط منظر احسن تاليف اغنية الاعلى هذه الطريقة
فلم استقم الحياة واعترف اني شعرت سحر
الى اسمائها لما كنت احسه من نفسي بهما طبعي
الى السحر تمت الى ذلك بي كنت قد تعرفت
على بعض شعر 'وعاشعت موافقت عارسلتوا' (1)
وعندئذ سطر رأيي على الاصراف الى هذا شعر
فاصبحت انامي تنقضي نذر سحر واليسر والمنة
ود. 'تنقضي على وحيون طامطله شعر وحدثت
نفس مسرحية ت حسنة مصحح لذلك حشر
نور - وفذلك اصحت منهورا وصرخ نحي

(1) عارسلتوا = Earselt = عارسلتوا = عارسلتوا
حوالي نه 1810 ويوفي 1810 في صان. في
احسن الموفق

بالونصيتى (٥) لانى قلت ان اسمى الونصو . ومن
جهة اخرى كنت القب بالقاسى ، لانى مثلت في
احدى المسرحيات دورا بهذا الاسم اعجبت فيه
كل الاعجاب الرعاع والعامه من الحاضرين -
حتى صار عندي ثلاثة ازواج من الاكسية وصار
بعض مديرى الاجواق المسرحية يحاولون انتزاعي
من الجوق الذى انا فيه . واصبحت اتحدث كمن
له خبرة في فن المسرحيات وانحي باللائمة على
الممثلين المشهورين فانقد حركات بينيدو واندى
على هدوء سانتش وظرافة مورالس (6) وكنت
استشار في تزيين المسارح وتجميلها وان جائنا
احد ليقرا علينا مسرحية ما كنت انا السامع ليا

١٥ تصغير الونصو

(6) بينيدو Pinedo وسانتش Sanchez ومورالس
Morales ثلاثة ممثلين بارعين حازوا قصب السبق
في هذا الفن منذ سنة 1599 و 1613 وقد مثل
الاول كثيرا من مسرحيات لوني دي بيغا

واخيرا شجعتني هذا التحبيذ فاخرجت باصورة
شعري قصيدة غائية واعقبته برواية قصيرة قوبلت
بالاستحسان.

ثم حدثت بي الجراءة الى وضع مسرحية طويلة
ونثلا يفوتها ان تكون ذات صلة بالامور الالهية
جعلت موضوعها مريم العذراء سيدة السبعة (١٧)
وكان مطلعها نسيدا يرتل على نغم المرمار. وفي
خلالها تظهر النفوس المتخيرة والاباسة اذ كانوا
يسعملون في ذلك العهد فبصيحون بو بو عند
الخروج ووزى زى عند الدخول وقد استحسن
سكان المكان اسم 'لشيطان متخللا الادوار' وكانوا
بعد ذلك يتناقشون فيما بينهم حول سقوطه من
السماء وغير ذلك وفي نهاية الامر ملئت مسرحية
ونالت استحباب الجميع ونلت اعطاء 'قصوى على
'لقباء بكر ما تتطلب ممي 'ان اسردد على سند
منظومات كانوا لسررر فنن تنق حسب
انناد في وصف حامي الحبيب 'وعنده وعن معره

Vuestra Señora del Rosario 17

يريدها في وصف اليدين او الشعر وقس على ذلك
وكان لكل ثمنه وان كنت ابيع منظوماتي باثمان
رخيصة لوجود حوائيت اخرى تباع فيها السلعة
نفسها

اما التراتيل فحدث ولا حرج فان دارى كانت
نعمج بالوافهين ومرسلات الراهبات وبالعريان ايضا
- وكنت اتقاضى ذمانية دراهم عن كل نشيد -
واذكر انى في ذلك العهد نظمت نشيد القاضي
'العادل' وهو نشيد فخم جزل يدعو الى الاحسان
ونظمت الابيات المشهورة الاتية لاعمى كان
ينشدھا ناسبا اباءا لنفسه وهى :

يا ام الكلمة المتجسدة
با ابنة الاب الالهى
اعطني نعمة طاهرة الخ..

وكنت 'ول' من حم الانبيد كالمواعظ بعبارة
'النعمة في هذه الدنيا والسعادة في الاخرى' وذلك
في المنظومة الاتية على لسان احد اسارى تطوان:
'فلنتمس دون رياء'

من الملك الأعلى الذي جل عن كل عيب
 ان يلتفت الى قوة عقيدتنا
 ويجود علينا بنعمته
 وناسعادة في الدنيا الآخرة. آمين.

فبهذه الامور كلها كانت احوالي على احسن
 ما ارجب وناهيك عن غني وازدهار انه-مع في
 بحوثهما واصبحت اطعم في تأليف جوق تميلي
 تحت اذني. وكان منزلي فخر الزينة لاني
 وقعت - ضعا في الحصول على زراير رخيصة -
 على حيلة شيطانية وهراني اشربت كمية كبيرة
 من اجلال القنادق المرسومة علينا اسلحة النبلا
 وعنفها على الجدران فضلني ما سرور من
 حسنة وعسرين وفلائين بليون وكانت و ان
 نرى من كل ما لملك من نوعها لان من حلالها
 ثاني ثرى تمزقها نهسا انه من حلال عبده نه نكو
 نبرى شي^{١٨}

١٨ اتى المؤلف نجاس في كلشي para ver

وحصل لي ذات يوم حادث غريب لا بد لي من قصه ولو كان فيه عار على وهو اني حين كنت اكتب رواية ما كنت اخلي في عليّة المنزل وهناك ابقى واكل. وكانت الخادم تحمل الطعام الى العلية ونتركه لي فيها وكان من عادتي ان ارفق الكناية بالتمثيل كما لو كنت على خشبة المسرح فشا ابليس انه بينما كانت الفتاة جماعدة على الدرج - وهو ضيق مظلّم - وبين يديها قدر ومحفّتان. كنت انا انظم مقطعا من روايتي في وصف الصيد فاصيح باعلى صوتي قائلا:

«الا فامسك الدب! الا فامسك الدب!

لانه سيمزقني اربا

ويندف وراك هانجا»

او تدري ما قيمت الفتاة - وهي عالبسية(9)

ومعناها الاول حذر بان يترى، والثاني ايرى

باعتبار para مقابلة للام السببية

(9) اي من غاليسيا وهي مقاطعة في شمال

اسبانيا.

من كلامي حين سمعتني اقول: «سيمزقني ويندفع
وراءه»، لقد ظننت ان كلامي حق وانى احذرها
من الدب. فولت هاربة لكنها في اضطرابها تعذرت
بذيل ثوبها وهوت تندرج حتى اسفل السدرج
فاهرقت القدر وحطمت الصحفين وخرجت تصيح
في الشارع قائلة ان دبا يقتل رجلا ومع اني هرعت
اليهم مسرعا حين وصلت كان الجيران قد اقبلوا
كلهم مستفسرين عن الدب وبالرغم عما قصصته
عليهم من ان ذلك جمل من الفتاة لان الامر هو
ما اخبرت به عن الرواية فانهم اصرروا على ان
لا يصدقوني فلم اذق طيلة ذلك اليوم طعاما وبلغ
الحذر رفاقي وتناقضه اسر في المدينة كلها وقد
حصرت في الكثر من هذه الحوادث طيلة نصري في
الى احتراق الشعر ومع هذا كله لم يزلاني
سوء الحال.

وحصر انه لما داع الحذر فان احوال مدر
جوقي كانت سير طراد في شفق المسح صدر
امر نجائي بحجز امواله بسبب دين قدسه وودع

السجز - وهي خاتمة جميع من يتعاطون هذه
المهنة. فتشتتنا ايدي سبا وولى كل منا وجهه شطر
ناحية اما انا والحق يقال فالبرغم عن الحاح الرفاق
على ليستميلوني الى جوق آخر لما ابصرت نفسي
صاحب مال وهندام انيق ولم اكن راغبا في مثل
هذه الحرفة وانما تعاطيتها محتاجا فضلت الانصراف
الى الراحة والعيش الرغيد. فودعتهم جميعا
وانصرفوا الى حال سبيلهم اما انا وقد حسبت اني
بتركي احتراف التمثيل اخرج من حياة الفجور
فقد اتخذت مغازلة الراهبات لى مهنة جديدة وقد
ادانى الى هذا اعتقادي بان ربة الجمال «فينوس»
انما هي راهبة نظمت نزولا عند طلبها كثيرا
من الاناشيد الميلادية وقد علقت بي حين شاهدتني
امثل في مسرحية دينية يوم خميس الجسد دور
القدّيس يوحنا الانجيلي. وعصارت تعتنى بي كل
العناية وقالت لي انها انما تأسف لمعاطاتي حرفة
التمثيل - لاننى تظاهرت امامها بانى ابن احد
النبلاء الكبار - وثرق لخالى واخيرا قرر رأبى على

ان اكتب لها الرقعة الآتية : -لقد تركت الجوق
ارضا خاطرك اكثر منه قياما بما يهمني لان
كل صحيفة (10) لى دونك انما هي وحدة موحدة
وكلما كنت ملكا لنفسى كنت ملكا لنت.
فاعلميني بميقات المواجهة فاعرف متى احظي
بحدثك

وذهبت الرسالة بالرقعة وليس بالامكان وصف
الترح الذي استولى على الراهبة حين علمت بحال
الجديدة فاجابتنى بما يلي:

الجواب

اني لا اهنئك على حالتك الجديدة بل انصُر
النهضة ولو لم تكن ارادتي ومصاحبتك واحدة
تأملت ودوسعنا ان نقول الان انك انت او نفسك
علم بحق عبثك الا المتأخرة، وسامعي يا لا فرغك
مثابرة. من المرح ان الوجهة لن تكون اليوم
ممكنة واذن لا تأخير عن المجيء في صلاة

(10) تقي المؤلف جنس، نكته: ١٦٧١

فَسَمِعْتُهَا أَوَّلًا مَعْنِي جَوْفٍ وَتَنَدَّ نَمِيهِ سَحَابَةً

المساء وهناك نتقابل. ولعلى اتمكن بعدئذ من
التحيل على الرئيسة لاحادثك. الى اللقاء،
فسرتنى الرقعة لان المرأة كانت في الواقع
فطنة وجميلة وبعد ان اكلت ارتديت الثوب الذي
كنت ارتديه للمغازلة في المسرحيات وقصدت
الكنيسة فصليت ثم جعلت اجيل بعسري في جميع
ثقوب الشبكة (11) لعلى اراها وبينما انا في هذا
شا الله وحسن حظي - بل ابليس وسوء طالعي -
ان اسمع اشارة التعارف القديمة فجعلت اسعل
ولا سعة برباس. وانما كان قصدى ان اظاهر
بالزكام فجاء سعالى كما لو ان ارض الكنيسة قد
رشت بالغفل الحار. واخيرا بعد ان عييت من
السعال اطلت من وراء الشبكة عجوز تسعل بدورها
فابصرت تعاستي وفهمت ان السعال علامة تعارف
في العجائز عادة. ومن الناس من يسمع صوتا
فينتظر ان يرى بلبلا فاذا به يبصر بومة. ومكثت

(11) اي الشبكة التي تفصل بين المحل
المحفوظ للراهبات وبقية الكنيسة

برهة طويلة في الكنيسة حتى بدأت صلاة المساء
 فسمعتها كلها. ولذا يسمى غزير الراهبات العشيق
 الفخم، (12) لما له من العشايا كالاعباد الفخمة
 ومن خاصته انه لا يخرج قط من عشية الفرح لان
 يومه لا يصل 'بدا. ومن المستحيل ان يصدق قولي
 ان ذكرت كم مرة سمعت صلوات المساء. ومنذ
 شرعت بالمغازلة استطال عنقي ذراعين من كمر
 ما اشرب لرؤية حبيبتي. وصاحبت الوافه والصبي
 الذي يساعد الكاهن 'لقامة القداس. وقد احسن
 هذا استقبالي. وكان ذا روح خفيفة يمشي متصفا
 كانه يبعدي سفايد وينعسي مزاريق.

(12) اني المؤلف بجناس في كلمة *solemne* ومعناه
 'الفخم، وايضا الاحتمالي حين نعت بها الصوتات
 وكذلك اني بجناس آخر في كلمة *visperas* ومعناه
 'عشية. وايضا 'صلاة المساء، وهي تصلى بشكل
 احتفالي. وهو يعني ان مغازلي الراهبات
 بكسرون من حضور صلوات المساء الاحتمالية. لكن
 من دون جدوى فكان عشتهم لبس لها صبح.

من همالك توجهت الى قاعة المقابلة . وهى
تتألف من بهو فسيح . ومع هذا لم يكن بد من
الحصول على مكان منذ الساعة الثانية عشرة كما
لو كان للحضور مسرحية جديدة واخيرا احتلت
مكانا حيث امكنتنى ذلك وناهيك عما رأيت من
مواقف المحبين المختلفة: فمن ناظر لا يطرف بعين
ومن ممسك قبضة السيف بيده وبالاخرى السبحة
كتمثال حجر فوق اللحد ومن رافع يديه وباسط
ذراعيه كالملائكة ومن فاغر فاد اكثر من المرأة
السقوا مربا حبيبته احشاه من ورا حلقومه دون
ان ينبث بينت شفة . ومن ملتصق بالجدار مثقلا
على الاجر دأنه يقايس بين نفسه والزاوية . ومن
آخر يتشى كانه لا بد ان يحب لسيره رهوا كما
تحب الفحول . ومن ممسك رسالة كاللحمة بين
يدي الصياد كانه يدعو اليه بازا .

اما الحساد فقد تألفت منهم عصابة اخرى:
فبعضهم في حلقة يضحكون وينظرون اليهم والبعض
الاخر يقرأون اناشيد ويرينه اياها ومنهم من تراه

اثاره للغيرة يتمشى في الشارع المعادي ويده نيد
 امرأة ومنهم من تراه يتحدث الى خادم ارسدها
 تتجسس وقد جائه نبأ ما. كل هذا كان يجري
 في القسم الاسفل حيث كنا اما في الطابق الاعلى
 حيث كانت الراهبات فقد كان المنظر ايضا جديرا
 بالمشاهدة. لان قاعة المقابلة كانت تتألف من برج
 صغير مليء كوى وحائط مخرم يبدو ذرة كأنه
 رجاية عطور. وكانت جميع "ثقوب آهة بعبون
 تترصد: فهنا ترى ارجلا وانادي مجتمعه وحنان
 بدا او رجلا منفردة وفي مكان اخر تشاهد ما
 "نف استعماله يوم السبت من رؤوس والنساء
 وان نقصتها الادمغة وفي جهة اخرى يرى حانوت
 محوّل: فالواحدة تربي "السبحه والاخرى تهر
 مندليها وفي ناحية اخرى يعلق قفاز وحنانك بنو
 شريط اخضر. والبعض منهم بكلمن نصه وت
 عرض وعرض سعلن. ومنهم من تشير بالقبعة
 كما لو انها تخرج العنكبوت بصاحب. وحدث
 بان يرى كيف انهم في الصيف لا يمدقون على

حر الشمس فحسب بل يتشيطون. واعجب به منظر
 ان تراهن نيات بقدر ما تراهن مشويين. وفي الشتاء
 يحدث ان واحدا تنبت فوقه من جرائ الرطوبة الجرجير
 وغيرها من البقول. ولا ثلج يفوتنا ولا مطر الا تتلقاه
 اجسامنا وكل هذا في نهاية الامر لرؤية امرأة من وراء
 شبكة وزجاج كما نشاهد عظام القديسين فان تكلمت
 كان امره كمن يعشق شحرورا في قفص وان سكنت
 كمن يغرم بصورة لا غير. وما هذا باهن سوى لمس
 خفيف لا يرتقي قط الى ضربة محكمة فلا تعدى النقر
 بالاصابع. وبين حجب الشبايك تدخل الرؤوس
 ومن الكوى تطلق اسهم الغزل. كان جبهن
 لعبة التخفي. ولك بعد ذلك ان تنظر الى العاشقين
 يتكلمون همسا كأنهم يصلون ويتحملون توبيخ
 عجوز واوامر بوابة وكذب ناظرة. واعجب من
 ذلك كله ان تراهن يغرن من النساء اللواتي
 خارج الدير مؤكدات ان الحب الحقيقي انما هو
 جبهن. وما ادراك بما ياتين به من امور شيطانية
 اثباتا لدعواهن. واخيرا صرت ادعو رئيسة الدير

بالسيدة. والثائب الروحى مبالاب. والوفاه. بالان.
 وكلها امور يبلعها اليأس باستارة ومروء الزمان
 والخصي اخيرا تدأت استاء من الناظرين
 يطردفتى والراهبات يسألننى وقابلت بين علة
 ما ادفعه ثمتا للجحيم ورخص ما يدفعه الآخرون
 وقامت الطرق الضالة التى اسلكها محالة وانى
 سائر الى الجحيم بسر حاسة التمس وحدثها الله
 وكنت حين انكلم - لئلا تسمعنى نقة من دار
 امام انسانك - ضم راسى الى رؤوسهم الى د
 من قضاير الحزن. دانت فترك علماتها في حصى
 حسة اليومين السالين وانكسهم بصوت منخفض
 نكاد بسنحدر سمعه فلا ساعة ولا نرى احدا
 قال. لعنة الله عليك تاماضرا بالراجمات واقولا
 اخرى اسوأ منعا

فهذا الامور كلها جعلنى اعلم الفكرة
 وضاد بسنحدر رأيت على قضبة الراهبة ونو حسرت

113 اي لانه لم يرتكب معصية شري ونما
 كان حبه لراغبة لا معنى منه صانع ندي.

قوتى وعزمت على ذلك يوم عيد القديس يوحنا
الانجيلي لانى في ذلك اليوم اكملت معرفة ما هن
الراهبات وحسبك ان تعرف ان راهبات يوحنا
المعدان بحجز جميعهن قصدا فكانت اصواتهن
وهن يرتلن القداس نحيبا اكثر منه ترقيلًا.
وكذلك لم يغسلن وجوههن وارتدين الالبسة
التقدمة. كما ان اصدقاءهم وقد طالبوا على ان
يفقدوا العيرونقه. جاءوا الى الكنيسة بصفات بدلا
من الكراسى وبكثير من الشطار من الرعاع.

والا رأيت بعضهم بسبب احد القديسين
والمعض الاخر بسبب آخر يعاملونهم أسوأ معاملة
اخذت من راهبتى ما قيمته خمسون أسكودا من
الانسجة المضرزة والجوارب الحريرية وصبرات العنبر
والحلوى لابيعة بالقرعة واتيها بالثمن فلما صارت
تلك الاشياء بين بدى سلكت طريق اشبيلية لاجرب
حظي في بلاد اوسع نطاقا. اما ما ساور نفس الراهبة
من ألم وحسرة على ما ذهبت به اكثر منه على
فليتأمله القارى الزرع.

الفصل العاشر

في ما جرى في انبيلية حتى رجعوا

"المحرر إلى الله - (1)

..

قصعت الطريق من حذو انبيلية وأسبيلية
 التي كانت في معرفة سادتي انضمو وحدثت حمار
 من ربح نيرة عدة فضع محللة الحمار واجهني
 بحث سادتي في حذو وحدثت رتي حمار سادتي
 نلا. وكانت احمر فضعها من الضربون من حمار
 ورق اللعب فضعها من الحمار في ورق
 نمتني اربع نمت وهذه الصورة في كني نمت
 من سادي فدر واحد وانتي الضرب صمحة تن
 زهر (2) عذبة او روينها كلها وعذرت دابة

(1) "هم - هو نمت سادي من شلفي

اذات على الشرة الحذو.

(2) انتي المؤلف بجاس في كمة زهرة ومن

انكر منه رجلا وعن سرد عيوب بفر منها الناس
ثملا تكون مدعاة الى الاقتداء بها. ولكن لعلي
بسرد بعض الحيل والتعابير احذر الغافلين من
عاقبة غفلتهم. فاذا ما انطلت على قرائي حيلة بعد
قرائتها فانما يقع الذنب على نفوسهم

لا تركز ايها الانسان الى دفع ورقات لعبك
لانهم بدلونها لك بغيرها وهم يقرطون الشمعة.
واحفظ ورقك من ان يمس بالقشط او الصقل
وبما يعرف سو الطالع. واعلم ان كنت شاطرا
انه في المطابخ والاصطبيلات تفرز في الاوراق خلائل
او تطوى لتعرف من الشقوق وان لاعبت اناسا
ذوى مروءة فاحذر من الورق لانها منذ المطبعة
حبل بها بالاثم. فيكفي ان تاتي الورقة مخالفة
ليعرف ما فيها. ولا تثق بالورق التنظيف لان مايريك
منظرا جميلا ويحتفظ باكثرها نظافة (3) هو في

معانيها الضغو اي الغش في اللعب وبه استعمالها
هنا. ثم استعمالها بمعناها المعروف.

(3) اي بالمال.

الواقع وسخ. وان لعبت بالورق فاحذر حين يخلطها
المكلف بذلك ان يقوس الصور - حاشا الملوك -
وهو يطويها اكثر من بقية الاوراق لان ذلك
انتقويس انما هو من اجل مالك المرحوم.

واحذر ان لا يعطبك المورع من فوق ما نفاه
عنه من تحت واسع في ان لا تطلب اوراق بالاصابع
تتحرك بينها ولا بالجوف الى الاحرف الاولى من
الكلمات.

ولا اريد ان ادلك على غير هذه الخيل فهي
تكفيك لتعلم ان عليك ان تعيش حذرا لانه من
المؤكد اني اطبق شفتي على الكاير منها. فهم
يسمون عن جدارة الاستيلاء على المال امانة
والحيلة على الصديق شطارة ولغموضها (4) لا
بفهمونها و مزدوج. من يقود السذج لسنخ
جلودهم هؤلاء النشالون و ابيض من سلمت

(4) أتى المؤلف بجناس في كلمتي reversa
ومعناها حيلة و reversada ومعناها غامض.

فبنه وحابيت سريرته كالحبز و اسود من خابيت
آماله واخفقت مساعيه

فبهذه اللغة (5) وهذه الحيل بلغت اشيلية وبمال
الرفاق دفعت اجرة البغال ومن نزل الفندق
كسبت ثمن الطعام ومالا آخر احتفظت به.

وبعد هذا ذهبت لانزل في فندق المورو
فالتقيت بأحد رفاق الدراسة في القلعة واسمه ماطا.
وقد استبدل اسمه لاعتباره اياه قليل الرونق باسم
ماطورال وكان يناصر نالارواح وعنده حانوت
لبيع المشاجرات ولم تكن تجارته كاسدة وفي
وجهه نموذج (6) من بضاعته. وبالطعنات التي تلقاها

١٥ كان المشطار لغة اصطلاحية خاصة
والكلمات التي أوردتها المؤلف في هذه القطعة
مثال على ذلك. وكانت تسمى germaniá خرمانية
وفي معجم اللغة الاسبانية الذي نشره المجمع اللغوي
يجد القارئ المعاني الاصطلاحية للكلمات في هذه
اللغة.

(6) اتى المؤلف بجناس في كلمة cuchillada

كان يقرر اتساع وعمق 'مى سمعها' مذوره.
ويقول: 'لا معلم كالمطعون في وجهه ونعم' 'قول'
لان وجهه فان كصدرة من جلد وهو نفسه احد
منوش. ودعاني الى تناول 'لغنا' معه ومع رفاً
آخريين واعداءى تابههم بصحونى للرجوع الى
المندق

فذهبا واذا بلعنا مثواه قال لى: 'انزع عمتك'
'معتف' 'مظهر' بمظهر الرجولة فانك ر' هذه 'لغنا'
خيرة ابنا' اشبيلية واخض الزيقائلا بعسروك متخنا
واحن ظهرك وليكن معصفت ساقطاً - لاننا 'لغنا'
نسير ساقطي المعاطف (17) - وات بحركات عن
بمينك وعن يسارك والفض الحاء هاء' و'ها' خا' (8)

فاسعملها اولاً بمعنى 'مستاجرة' ثم بمعنى 'معة'
وهو معنى قوله 'في وجهه' 'مودج' من 'مضاعفة'
(17) تعبير 'اسباني' يقصد به 'مودج' 'الحال' وفد
'مى' 'المؤلف' بجناس بين 'المعى' 'الحقبة' و'المجازي'
(8) منذ اواسط القرن السادس عشر أخذ 'لفظ'
الحرف 'حبن' 'نقده' 'او' 'والحرف' 'حبن' 'نقده'

وقال معي «خريدا، و.موخينو، و.خومو، و.موهارة»

u.o.a يقترب من لفظ حرف z بالفرنسية (اي كالجيم العربية) وما عثم ان التبس لفظ هذين الحرفين بلفظ حرف x (وهو كالشين العربية) وبينما كان هذا الابدال بـ e في التخاطب بين المثقفين كان لفظ حرف x (اي الشين) بين العامة ينقلب الى لفظ يشبه لفظ الهاء العربية. وكان هذا اللفظ يمثل حينئذ بحرف h فقط في الكلمات المأخوذة من اللاتينية وفيها حرف f او من العربية وفيها الهاء او الحاء. ومع ان هذا الابدال لم يلبث ان عم استعماله فانه في الثلث الاول من القرن السابع عشر (وهو تاريخ وضع هذا الكتاب) كانت المبالغة في اخراج تلك الحروف من ميزات الشجعان في اشبيلية. ويستدل من معلومات كثيرة ان اللفظين كانا مستعملين في آن واحد دون ان يفرق بينهما بصورة فاصلة. ولذا كانت العامة تخط في هذا الباب خبط عشواء مستبدلة حرفا

ودهامالي، ودهارو، من الشراب (١٨) فحفظت هذه
الكلمات عن ظهر قلبي. واتارني ساحبي خنجراً
يصح فيه هذا الاسم لعرضه. واما لطوله فهو اولى
ان يدعى حساما. ثم قال لي: «اشرب هذه الزجاجة
من الخمر الصافي لانك ان لم تتصاعد من انفاسك
رائحة الحمرة فلا تبدو شجاعاً، وبينما نحن في
هذا وقد تركتني الراح نشوان اذا باربعة منهم
قد دخلوا بوجوه كانوا قدت من جلد يمشون
مرتجحين لا تغطيهم معاضف. وعلى اوساطهم احزمة
مشدودة وفوق جباههم قبعات مرفوعة الحافات

بآخر على هواها وذلك امر ثابت ومعلوم في
تاريخ التخاطب والمقطع السابق مثال على ذلك.

(٩) «خريدا، بدلا من «هريدا، اي مجروحة،
ودموخينو، بدلا دموهينو، اي حردان، ودخومو
بدلا من «هومو، اي دخان، ودموهار بدلا من
«موخار، اي ابل، و«هابالي، بدلا من «هابالي،
اي الهلوف، ودهارو، بدلا من خارو، اي الابريق
وهي مأخوذة من العربية «جرة.

كأنها تيجان تعلو رؤوسهم. وعلى جوانبهم مقابض سيوف
 قدر ما في دكاتني حديد. وقد بدوا مستقيمي العراقيب
 خافضي الاعين حادي الابصار، مفتولي الشوارب
 مقصوصي اللحى. فاتوا بحركة بافواههم ثم قالوا
 لصاحبي - بصوت حرد مستبقين من الكلمات
 انصافها - «ايها السيد! فاجاب مدبري: «ماذا يا
 رفيقي؟، فجلسوا. وارادوا ان يسألوا عنى فلم
 ينبسوا بينت شفة بل نظر احدهم الى «ماطورالس»
 وفتح فاه واخرج لسانه واداره نحوي مشيرا الي.
 فارضاه معلمي بقبضه على ذقنه والنظر الى تحت
 علامة الايجاب. واذاك نهضوا جميعا جذلين
 وعانقوني وابدوا فرحا عظيما وانا كذلك فكنت
 كآني ذقت اربعة اصناف من الخمر.

ثم حانت ساعة العشاء. واقبل للخدمة على
 المائدة بضعة شطار كبار اسماهم الشجعان «مدافع» (10)
 فجلسنا جميعنا حول الخوان وجىء بالكبر واذاك

(10) كلمة cañon ومعناها «مدفع» تطلق في لغة

الشطار على «الشاطر المتشرد».

بدأوا يشربون - قرحيا بي - نخب شرفي والحق
 اني ما عرفت قط ان عندي منه هذا المقدار حتى
 رأيتهم يشربون نخبه ثم حضر السمك واللحم
 فاكلنا جميعنا بشهية الظمان. وكان على الارض
 جرن مملوء خمرًا وامامه ينبطح من اراد ان يقابل
 بالمثل من شربوا نخبه اما انا فاستفيت بالقارورة
 وما انت عليهم دورقان حتى اصبحوا ولا يعرف
 احدهم الاخر فبدأت الخطب الحربية وترددت
 الايمان وبين نخب وآخر هوت رؤوس عشرين
 او ثلاثين رجلا دون ان يترك لهم اجل للاعتراف
 ووصفوا لصاحب المظالم الف طعنة. واتوا بالحديث
 على الطيبي الذكر «دومنفوتيشنادو (11) و غايون» (12)

-
- (11) كان «دومنفوتيشنادو» هذا خلاسيا حرفته
 صانع معجنات. وقد ذكره كيبيدو في مؤلفه خاكار،
 (12) كان «غايون» احد شجعان ذلك العهد
 المشهورين ومبتكر طعنة قتالة. وقد ذكره كيبيدو
 في مؤلفات اخرى. وكذلك ذكره لوبي دي سغا
 في «مسرحيته» امة مغازلها.

واهرقوا خمرًا غزيرًا ترحمًا على نفس «اسكاميا» (13)
والذين اثار السكر فيهم الشجن بكوا من اعماق
قلوبهم المرحوم «الونصو الباريس» (14) وامام هذه
الامور كلها اصيب رفيقي بعطل في عقربي ساعة
دماغه واذا به يقبض بكلتا يديه على قطعة من الخبز
ويحرق بصره بالنور قائلاً بصوت مازجته البحة:
«قسما بهذا الذي هو وجه الله وذلك النور الذي
خرج من قم الملاك انه لا بد لنا ان نقضي الليلة
على ذلك الجلوز الذي لحق «بالاعور» (15) المسكين،
فتعالت اصواتهم بالصياح واخرجوا خناجرهم واقسموا
واضعين ايديهم على حافة الجرن ثم ارقموا حوله

13 كان اسكاميا واسمه بدرو باسكيس دي
اسكاميا سفاكا للدماء مشيورا في ذلك العهد. ومات
على اعواد المشنقة.

14 كان «الونصو الباريس» شاعرا وشاطرا
من اشبيلية توفي ايضا فوق اعواد المشنقة وقد ترجم
له الكاتب الكبير ضون فرنسيسكور وودريغث مارين
15 اشارة الى الونصو الباريس.

يعبون ويقولون: كما نشرب هذه الخمرة هكذا
سنشرب دم كل مترحم، فسألت اذاك قائلاً: «من
هو الوصلو الباريس، هذا الذي عم الاسى لموته؟
فقال احدهم: «هو فتى مكافح شجاع ذو يدين
حديديتين ورفيق نعم الرفيق، هيا بنا! فاز الالباسة
توسوس لي، وهكذا خرجنا من الدار سعياً وراء
جلاوزة نصطادهم واذ كنت مستسلماً للخمرة
وبين يديها وضعت حواسي كلها لم اشعر بالخطر
الذي تعرضت له.

بلغنا شارع البحر، حيث يصني لنا
العسر. فما كدنا نراهم حتى جردنا عيوفنا
وهجمنا عليهم. ومثل رفاقي فعلت وفي الصدمة
الاولى نزعنا من جسم جلاوزين روحيهما الخبيثتين. فولى
المأمور هارباً في الشارع يصيح مستنجدا ولم نتمكن
من اللحاق به لانه سبقنا في العدو فلجأنا اخيراً
الى الكنيسة الكبرى حيث احتمينا من صرامة
العدالة. ونمنا الوقت الكافي ليتبخر الخمر الذي
كان يغلي في رؤوسنا. ولما عدنا الى نفوسنا

هالني ان تكون العدالة فقدت جلوازين والمأمور
ولى هاربا امام عنقود عنب واذاك كنا نحن ذلك
العنقود.

اقمنا في حرم الكنيسة على احسن ما يرام
لانه على رائحة المنعزلين اقبلت غادات تتعرين
لتلبسنا. وعلقت بي : لاغراخاليس، والبستني
جديدا من لوان اثوابها بفراق ذلك فى عيني
واستطبت هذه الحياة اكثر من كل حياة
اخرى وعزمت ان اعيش الى جانبها حتى
الموت ودرست فنون السفها ولم تنقض سوى
ايام قليلة حتى كنت استاذ الاخرين. لكن العدالة
لم تكن لتغافل عن طلبنا ولا ييارح رجالها
ابواب الكنيسة. ومع هذا كله كنا نخرج بعد
نصف الليل مقنعين وتجول فى المدينة دون ان
يدرى بامرنا.

ولما رايت ان هذه الحالة قد طالت كثيرا
واكثر منها اصرار الحظ العاثر على ملاحقتي
قررت - لامعتبرا لانى لست عاقل الى هذه الدرجة

بل تعباً كخاطي "عنيد بعد ان استشرت لاغرا خاليس"
اولاً في ذلك ان انتقل معها الى الهند (14)
لعلها اذا بدلت موطني ودينائي يحسن حظي، لكن
النتيجة جاءت بالعكس. فازدادت حالي سوءاً لانه
لن يحسن حالاً من يقتصر على تبديل موطنه
ولا يبدل حياته وعاداته.

(14) راجع الحاشية رقم 1

فهرس

صفحة

5	سيرة الشطار في الادب الاسباني
19	كبييدو
21	سيرة الشاطر ضون بابلوس
22	الى القارىء
	الفصل الاول - وفيه الكلام عن نسبه
27	ومسقط رأسه
	الفصل الثاني - في ذهابي الى المدرسة
36	وما وقع لي فيها
	الفصل الثالث - في ذهابي الى مدرسة
	داخلية بصفة خادم لضون دبغو
47	كورونيل
	الفصل الرابع - في تعافينا ودهاننا للمدرسة
67	في قلعة هنارس

- الفصل الخامس - في دخولنا قلعة هناريس
ودفع ضريبة التلمذة وما لحقني من
81 هزء لجدتي في المدرسة
- الفصل السادس - في فظائع الوصيفة وما
95 اتيت به من كياسة
- الفصل السابع - في رحلة ضون ديبغو
واستخباري ب وفاة والدي وما عزمت
114. عليه في شؤونني للمستقبل
- الفصل الثامن - في الكلام عن الطريق
بين القلعة وشقوبية وما جرى لي
فيه حتى ريفاس حيث بت تلك
121 الليلة
- الفصل التاسع - في ما وقع لي مع شاعر
حتى وصولي الى مدريد
135
- الفصل العاشر - في ما فعلته في مدريد وما
جرى لي حتى وصلت الى ثرثديا
142 حيث بت ليلتي
- الفصل الحادي عشر - في خيانة خالتي
وزائريه وقبض قريكتي وعودتي
167 الى العاصمة

الفصل الثاني عشر - في قراري وما حصل

180 لي حلاله حتى بلغت العاصمة ...

201 الكتاب الثاني من حياة الشاطر

الفصل الاول - في ما وقع لي في العاصمة

203 منذ وصولي حتى الليل

الفصل الثاني - وفيه يتابع الموضوع اندو

211 به وغيره من الحوادث الغريبة ..

الفصل الثالث - وفيه بنابع الحدث حول

الموضوع نفسه حتى ينتهي الامر

234 بايداعهم السجن جميعا

الفصل الرابع - وفيه وصف السجن وما

جرى فيه جرى خروج العجوز مجلودة

والاصحاب الى العار وخروجي انا

239 بضمانة

الفصل الخامس - في عثوري على سوى

246 والمصيبة التي دهمتني فيه

الفصل السادس - وفيه يتوالى الكلام

على الامر نفسه وعلى عدة حوادث

266 اخرى

الفصل السابع - وفيه يتلو الكلام على
القصة نفسها وعلى غير ذلك من
الحوادث الغريبة والنكبات
الخطيرة.....

278

الفصل الثامن - في شغائي وغير ذلك من
الحوادث الغريبة.....

296

الفصل التاسع - وفيه اتعاطى التمثيل
والشعر ومغازلة الراهبات.....

309

الفصل العاشر - في ما جرى لي في اشبيلية
حتى ركوبي البحر الى الهند.....

331

الاطباء المطبعية

الواردة في الكتاب

صفحة	سطر	خطاً	صواب
61	9	علم	عليهم
64	7	اسنانة	اسنانه
82	2	رائحة شم الخنزير	رائحة الخنزير
93	6	ويقولون	وهم يقولون
104	1	وبعد	وبعد هذا
139	2	الخنزير الوحشية	والخنازير البرية
152	3	الحاضر	الحاضرين
196	2	لنا فركب	لنا ان فركب
211	12	فتنقضي	فينقضي
212	1	قبض	حتى قبض
244	10	يضر بونه	يضر بوه
256	1	الفصل الثاني	الفصل الخامس

صفحة	سطر	خطاً	صواب
266	1	الفصل الرابع	الفصل السادس
268	2	لم تقع	لم تقل
273	14	احداهن	احداهما
296	2	شقائي	شقائي
296	2	الغربة	الغربة

تحت عنوان: «القسم الثاني من قصة لاثاريو دي
طورميس» لترجمان اللغة الاسبانية ه. دي لونا
H. de Luna لكن المؤلف خرج فيه عن أسلوب
القسم الأول وحشاه بالمشاهد الخلاقية التي يندي
الجين بمطاعتها أما من الناحية الفنية فيفوق القسم
الأول.

والآن لا بد لنا ان نقف للتساؤل عن أصل
هذا الفن الأدبي وعلاقته الحقيقية بالمجتمع الاسباني
تحت عصر لنموه. فهي والحق يقال من المسائل التي
أثارها البعثة عظم العناية وتضاربت حولها آراء
مؤرخي الأدب. ولقد أراد بعض النقاد ومعظمهم
من الأجانب ومن يبغون النبل من إسبانيا وهي
في 'بان مجدها ان يروا في قصص الشطار تصويرا
لمجتمع الاسباني في ذلك العصر ليستنتجوا من
هذا الصواب ان مستوى المعيشة في إسبانيا كان
محمضا وان الفقر كان يخيم على طبقاتها الشعبية وان
عند 'كسار' الطفولين كان واقرا. لكن الأبحاث
الصاعدة قد دلت على خلاف ذلك وقدمت البراهين